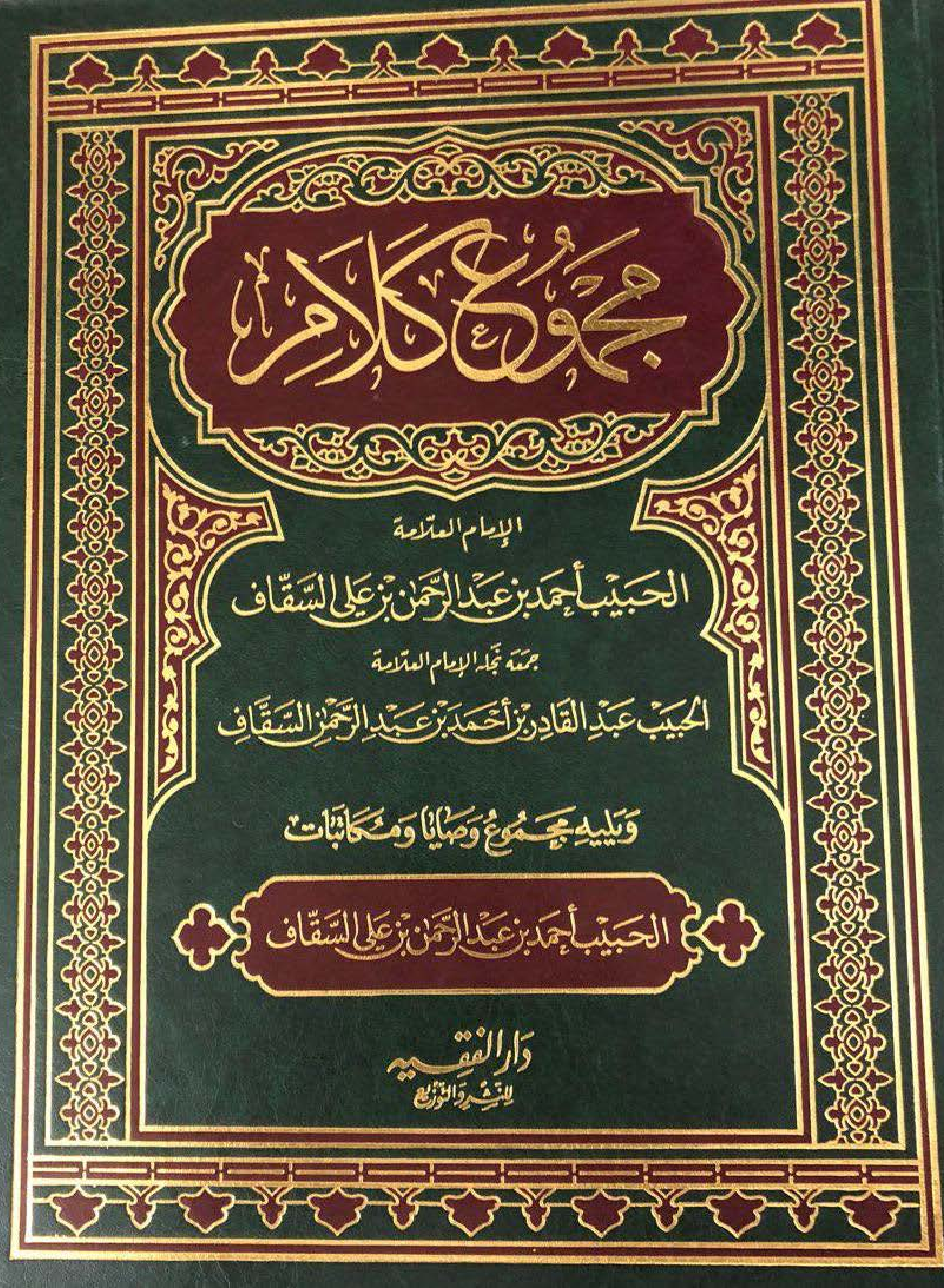


مجموع كلام
الإمام العلامة
الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف
جمعه نجله الإمام العلامة
الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف
ويليه مجموع وصايا ومكاتبات
الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف
دار الفقيه
للنشر والتوزيع



مجموع كلام

الإمام العلامة

الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف

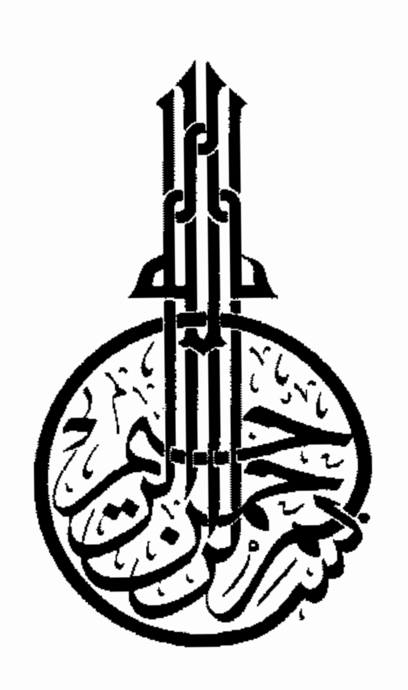
جمعه نجله الإمام العلامة

الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف

ويليه مجموع وصايا ومكاتبات

الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف

دار الفقيه
للنشر والتوزيع





الإمام العلّامة

الحبيب أحمد بن عبد الرّحمن بن علي السّقّاف

جمعه نجله الإمام العلّامة

الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرّحمن السّقّاف

ويليه مجموع وصايا ومكاتبات

الحبيب أحمد بن عبد الرّحمن بن علي السّقّاف

دار الفقيه
للنشر والتوزيع

الطّبعَة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار الفقيه للنشر والتوزيع
الجمهورية اليمنية
تريم ـ حضرموت
تليفون/ ٤١٦٩٦٧ ٥ ٠٠٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصَالحات وتَعُمُّ البركات، والصَلاة والسَلام على سيِّد الكائنات وإمَام أهل الأرض والسَماوات، وعلى آله وأصحابه الهداة القادات.

أمّا بعد: فإن من توفيق الله سبحانه وتعالى أن هيأ لنا الظروف والأسباب لخدمة هذا المجموع المبارك، والذي يحتوي على نفائس عظيمة وجواهر ثمينة لا تُقدَّر بقيمة، نَطَقَت بها لسان طاهرة، لجميع الشمائل والصفات المحمدية وارثة، وهو قليل من كثير وقطرة من بحر كبير، وإذا كانت الغايات لا تُدْرَك فالميسور منها لا يُتْرَك.

وقد قسّمنا هذا الكتاب المبارك إلى ثلاثة أقسام على النحو التّالي:

القسم الأول: مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبدالرّحمن السقّاف.

القسم الثّاني: الوصَايا والمكاتبات.

القسم الثالث: مقتطفات من أربع كتب وهي:

١ـ منحة الإله في الاتّصال ببعض أولياه للحبيب سالم بن حفيظ بن عبدالله.

٢ـ نفح الطّيب العاطري في مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشّاطري للحبيب محمد بن سالم بن حفيظ.

٣ـ النفحة الشذيّة إلى الدِيار الحضرمية للحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط.

٤ـ مجموع كلام الحبيب علي بن محمَّد الحبشي.

وقد اعتمدنا في نَسْخِ هذا الكتاب على ثلاث نُسَخٍ مختلفة مخطوطة «م.ب.ج»

أسأل الله الحيّ القيُّوم ذا الجلال والإكرام أن يتقبله مِنَّا وأن ينفع به جميع المسلمين. كما نسأله أن ينفعنا بصاحب الأنفاس في الدُّنيا والآخرة ويحشرنا في زمرته إنَّه على ما يشاء قدير والحمدُ لله ربِّ العَالمَين.

النَّاشِر

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال رضي الله لما انشدت بين يديه قصيدة

الحبيب ابي بكر العدني التي مطلعها

ما حسن العشق غير حسن التي ها مثلها محبوب

تكلم سيدي رضي الله عنه على القصيد بكلام نفيس

ابى الله ان تحفظه الافهام القاصرة فلم يسنح

بخيالي ولم يقف ببالي ثم قال بعده نفعنا الله به

في البيت الاول طوى تغزلاتهم كلها وجعلها في

جانب وطرحها بشنوي وكن بلبني عن محبوبهم وهي

الحضرة الاحديه ثم قال ولا جمال يذكر بكل معنى

حسيا ومعنويا اوغير الا وهو ماخوذ من سناها

ثم قال من اراد ان يحي بها فيفنا في عشقها المرغوب

اي من اراد ان يبقى بها فيفني ويستهلك في محبتها

وعشقها وذوقها وطاعاتها ثم اخبر عنها بان لا جمال

يذكر الا وهو منسوب لها ولا خلق لحسنا حسن

الا من بهاها ثم قال رضي الله عنه

اموات ما فيهم سواي احيا من انسها والجانب

هذا

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة (أ)

١١٢

وسل ربك التوفيق ما عشت واستعن

به فهو نعم المستعان لمن قصده

فيارب يا الله يا منتهى الرجاء

اعذنا وايدنا الى منتهى الابد

وسخر لنا الاسباب واشرح صدورنا

بنورك والحقنا بمحبوبك الاود

محمد المحبوب واختم بجاهه

بخير بجاه المصطفى اكمل العدد

والعارفين بالله رضي الله عنهم اعطوا مقاما عظيما

في الدنيا ومقاما عظيما في الاخره وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى اله وصحبه وسلم انتهى ما جمعه ابنه عبد القادر

بن احمد ابن عبد الرحمن السقاف

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده يا ربنا
لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحانك
لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك سبحانك
لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم نسألك اللهم
بجلالك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد أسيد أهل
الوجود الواسطة في إنعامك على كل موجود الذي أكرمته
بالمقام المحمود وعلى آله وصحبه السالكين سبيله إلى
اليوم الموعود وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين
يا رحيم يا ودود وبعد .. فهذه كلمات وردت على اللسان
من فتح الرحيم الرحمن قيدناها أن ينتفع بها نحن
والإخوان فنسأل الله أن يجعلها وسيلة لنا في
هذه الدار نتصل بها شفاعة النبي المختار وآله وأصحابه
الأخيار في هذه الدار ودار القرار وأن يجعلها خالصة
لوجهه الكريم إنه أرحم الراحمين وهو الرؤف الرحيم
قال رضي الله عنه في عشرين شوال ١٣٥٢هـ ليلة
السبت بعدما أمر المنشد أن ينشد بقصيدة الحبيب
عبد الله الحداد التي مطلعها
تفيض عيوني بالدموع السواكب * ومالي لا أبكي على خير ذاهب
هات القصيدة إن كان أحد يا يتعظ أو يا يعمل أين
المستمع العامل أين المستيقظ من نومه أين من
لا يصرف وقته إلا فيما يرضي ربه وبعدما أنشد
المنشد قال نفع الله به سمعنا الحبيب علي بن محمد
الحبشي يقول إن فتح بن شخرف بكى الدمع عشرين

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة (ب)

وسل ربك التوفيق ماعشت واستعن به فهو نعم المستعان لمن قصد
ياربا ه فيالله يالله يامنتهى الرجاء اعذنا وايدنا الى منتهى الابد
وسخر لنا الاسباب واشرح صدورنا بنورك والحقنا بمحبوبك الاود
محمد المحمود واختم بجاهه بخيراً فجاه المصطفى اكمل العدد
والعارفين بالله رضي الله عنهم عطوا مقاما
عظيما في الدنيا ومقاما عظيما في الاخره ينتهي
كلام الحبيب العارف بالله احمد بن عبد الرحمن
السقاف

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (ب)

—(١)—

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده
يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك
سبحانك لا نحصي ثناءً عليك انت كما اثنيت على نفسك سبحانك
لا علم لنا الاّ ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم، نسألك اللهم
بجلالك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد سيد أهل الوجود
الواسطه في انعامك على كل موجود الذي اكرمته بالمقام المحمود
وعلى آله وصحبه السالكين سبيله الى اليوم الموعود وعلينا معهم
وفيهم برحمتك يا ارحم الراحمين يارحيم ياودود « وبعد »
فهذه كلمات وردت على اللسان من فتح الرحيم الرحمن
قيدناها رجاء ان ننتفع بها نحن والأخوان فنسأل الله ان يجعلها
وسيلة لنا في هذه الدار نتصل بها بشفاعة النبي المختار وآله
واصحابه الاخيار في هذه الدار ودار القرار وان يجعلها خالصة
لوجهه الكريم أنه ارحم الراحمين وهو الرؤف الرحيم .
وقال رضي الله عنه في عشرين شوال ١٣٥٣ سنة ليلة السبت
بعد ما أمر المنشد أن ينشد بقصيدة الحبيب عبد الله الحداد
التي مطلعها .
تفيض عيوني بالدموع السواكب * ومالي لا ابكي على خير ذاهب
هات القصيدة ان كان احد بايتعظ او بايعمل، اين المستمع
العامل اين المستيقظ من نومه، اين من لا يصرف وقته
الاّ فيما يرضي ربّه . وبعد ما انشد المنشد « قال نفع الله به »

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة (ج)

(٢١٥)

والعارفين بالله رضي الله عنهم أعطوا مقاماً عظيماً في
الدنيا ومقاماً عظيماً في الآخــرة

انتهى كلام الحبيب العارف
بالله احمد بن عبد الرحمن
بن علي السقاف
نفعنا الله به
والمسلمين
آمين
في ١٣ محرم سنة ١٤١٠هـ يوم الأثنين

بقلم الفقير الى الله الملك الديان
هود عبد الله محفوظ حسان
سامحه الله

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (ج)

ترجمة الإمام العلامة

الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف

نقلاً عن كتابه الأمالي

وُلِدَ في ١٩ شعبان سنة ١٢٧٨هـ، ولاحظته عناية مولاه، وتربّى تحت نظر والده الهُمام الحبْر الإمام وجيه الدِّين عبد الرَّحمن بن علي، وقد بُشِّر به قبل وجوده فتوجه بنظره إليه وزاده على الإخوان ورجا أن يفوق كثيراً من الأقران، ولاحظه جدّه لأمه الشيخ محمّد بن عبد الله بارجا الخطيب نحواً من سنتين وفرح به فرحاً شديداً ورجا فيه رجاءً بعيداً.

وشرع والده في تعليمه القرآن وأدخله المكتب وساعده المعلمون من أهل المكتب وغيرهم من إخوانه وأخواله، وقرأ القرآن في مدة قريبة وأعطاه الله قوة في معرفة السواد[1] وأمده بإمداد، ثم ابتدأ في طلب العلم الشريف فابتدأ في رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي على والده وسفينة النجا للشيخ سالم بن عبد الله بن سُمير ثم المختصرات الثلاثة لأبي فضل وأبي شجاع وحفظ الزُّبَد والملحة والرَّحبيّة والباكورة في التّجويد ولم يزل يزيد، وأمره والده بالتردد إلى العلماء الأعلام مشايخ الإسلام كالحبيب صافي بن شيخ بن طه والحبيب العارف بالله محمد

١ـ معرفة السَّواد أي معرفة القراءة ولو كان الخط رديئاً أو ضعيفاً أو بدون نقط.

ابن علي، ثم ذهب به وبأخويه جعفر وعبد القادر إلى بيت الحبيب علي بن محمد الحبشي وطلب منه أن يَحُطَّ نظره عليهم ويُقرئهم في النحو والفقه ويجعل لهم وقتًا مخصوصًا ويلاحظهم، فأعطاه الحبيب علي ما طلب.

ولم يزل والده يأمره بقراءة القرآن بعد صلاة الصبح وبعد الظهر ثم يقرأ عليه ما تيسر من الفقه والتصوف في كثير من أوقات النهار بُكرة وبعد الظهر وبعد العصر، وقرأ عليه كثيرًا من الكتب مثل مختصر أذكار النووي للشيخ بحرق وشرح ابن قاسم، ويقرأ في الكتب التي يقرأ فيها أخوه جعفر في بعض الأوقات، وكان يُفَضِّله على سائر الأولاد ويُحبه أشد المحبة ويخصّه ببعض أسرار، ثم توفي والده وصلى خلفه يوم موته آخر صلاة صلاة الصبح يوم الجمعة ثلاثين شعبان سنة ١٢٩٢هـ وقد استكمل سِنّه أربع عشرة سنة.

ثم توجهت إليه عناية ونظر مشايخه الكرام الأئمة الأعلام الحبيب محمد ابن علي بن علوي بن عبد اللاه والحبيب القطب علي بن محمد بن حسين الحبشي والحبيب عبد القادر بن حسن بن عمر بن سقاف والحبيب صافي بن شيخ السقاف ومن أجَلِّهم الحبيب العارف بالله والدال عليه أحمد بن حسن العطاس فإنه أمره بصحبته والأخذ عنه الحبيب علي بن محمد الحبشي وقد قرأ عليه كُتُبًا كثيرة ومكث لديه شهورًا عديدة وتردد إلى بلده، كما صحب الحبيب محمد بن علي إلى حريضة وإلى دوعن وإلى بعض وادي عَمْد وإلى تريم وعينات مرات وقرأ عليه كثيرًا من الكتب ولاحظه وأمده ببركتهم وبركته.

وانتفع بالقراءة على كثير من علماء بلده مثل الوالد الفقيه المحقق علوي بن عبدالرحمن والوالد العلامة عبدالله بن محسن والوالد العارف بالله المنور عبيدالله بن محسن والحبيب شيخان بن محمّد الحبشي - المولود سنة ١٢٥٩هـ والمتوفى بسيؤن سنة ١٣١٣هـ - والحبيب العارف بالله الفقيه المحقق المدقق محمّد بن عبدالقادر بن حسن السقاف والحبيبين الكريمين الأفضلين المحقق العلامة محمّد بن حامد وأخيه العارف بالله تعالى الفقيه الصوفي عمر بن حامد وانتفع به انتفاعاً كثيراً في القراءة والمطالعة مع الطبقة الذين هم فوقه كالحبيب علوي بن سقاف بن أحمد والحبيب الفقيه هادي بن حسن بن عبدالرحمن السقّاف والحبيب عمر بن عبدالقادر.

وحضر مجالس وإملاءات ومذاكرات الحبيب عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي وانتفع به في حضور مجالس شيخه الحبيب علي بن محمد الحبشي وغيرها، وقرأ عليه كثيراً واستجاز منه مرات ولبس منه ومن أكثر المذكورين قبله.

وانتفع واستمع وتأدّب بالحبيب عبدالرحمن بن محمّد المشهور واستمد من الحبيب عمر بن حسن الحدّاد والحبيب علي بن حسن الحداد والحبيب محمّد ابن ابراهيم بلفقيه والحبيب علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم والحبيب الحسن بن أحمد العيدروس والحبيب عبدالله بن عمر بن محمد بن سميط والحبيب أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار والحبيب أحمد

ابن محمّد المحضار والحبيب طاهر بن عمر الحدّاد والحبيب محمّد بن صالح بن عبد اللَّه العطاس وغيرهم الكثير من علماء وصلحاء وأولياء تريم وحضرموت ودوعن والحرمين الشريفين. ومن أولياء الزمان الذين أظهرهم اللَّه بعدهم وشرّف بهم زمانهم كالحبيب أحمد بن عبد اللَّه بن طالب العطاس والحبيب أبي بكر ابن محمّد السقّاف والحبيب أحمد بن محسن الهدّار والحبيب محمّد بن عيدروس الحبشي والحبيب محمّد بن أحمد المحضار وغيرهم من صلحاء تلك الجهات والإمام المُقَدَّم على الأقران الفائق بالعرفان الفقيه الصوفي وارث السلف الحسين بن محمّد بن حسين الحبشي والشيخ العارف باللَّه العلامة محمّد بن سعيد بابصيل والشيخ العلاّمة الفاضل مُحِب أهل البيت الطاهر ومحبوبهم عمر بن أبي بكر باجنيد رضي اللَّه تعالى عنهم وأرضاهم وجزاهم اللَّه عنّا وعنهم خير الجزاء وجمعنا معهم في مقعد صدق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في جوار ربّ العالمين بحضرة سيد المرسلين صلى اللَّه عليه وآله وسلم وتقبّل دعواتهم فينا وفي غيرنا وحقّق رجواهم وظنهم الجميل وهدانا سبيلهم القويم آمين. وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد للَّه ربِّ العالمين. اهـ

ومن أثناء ترجمة للحبيب أحمد بن عبد الرّحمن السقّاف منقولة من كتاب «البيان الجلي» لمؤلفه السيّد مصطفى بن سالم بن محمّد السقّاف قال فيها: «وقد أثنى عليه - أي الحبيب أحمد - مشائخه العلماء العارفون مثل الحبيب

أحمد بن حسن العطاس فإنه نوّه بشأنه ونَشَر فضله وهو حاضر في مجلسه فقال: هذا السيد - يُشير إليه - ما انْتَقَدْتُ عليه لا بظاهري ولا باطني، ولو وزنتوهم كلهم ما حد يطلع ميزانه، وله وقت ... إلى آخر ما قال».

ومثل الحبيب علي بن محمّد الحبشي فإنه ذكره في مجموع كلامه الذي جمعه السيد الشريف عمر بن محمد مولى خيله، وقد أخبره - أي الحبيب علي - بعضهم أنه أتى عائداً من عند المذكور - أي الحبيب أحمد - وهو يشتكي من وجع عيونه، فقال الحبيب علي: «هذا الولد - يعني سيدي أحمد - عيونه عيوننا، ولا معي أحد يقرألي إلا هو، الله يشفيه ويبارك لنا فيه، لمَّا شكى الحبيب عيدروس ابن عمر الحبشي ضعف بصره قلت له: وأنا كذلك، قال لي: إنت معك أحمد بن عبد الرحمن يقرألك، وهذا الولد رجل عالم عامل ورع مُعْتَرِف لا يشهد لنفسه علماً ولا معرفة، وهو مجهول عند أبناء الزمان في بلادنا خاصة لموت نفسه وأخلاقه الحسنة ما كأنه عالم، يُعَظِّمون أناساً ما عندهم عُشر معرفته وهو أوْلَى بالتعظيم، وهو اليوم أفقه أهل الجهةِ الحضرميّة، لو أشْكَلَت على الناس مسألة ما يحلها إلا هو، وقد أثنى عليه أخونا العلامة حسين بن محمد الحبشي لما طالع هو وإيّاه في البهجة وأعجبه كثيراً ووجده واسعاً في العلم فقال: لو دخلنا به مصر لقرَّت به أعيننا عند علمائها، وقد طالع كتباً عديدة وحفظه قوي، تسأله عن المسألة في التحفه فيأتي بعباراتها من حفظه، وتسأله عن الحديث في البخاري وغيره فيُمليه من حفظه، فهو عالم محقِّق وسواده قوي

هات له الكتاب الكبير الغَلِق يمر فيه ولا يَلحَن أبدًا، وسواده يُقارب سوادي كنتُ أيام قوة بصَري لا أتوقف في الكتاب الذي ما فيه نُقَط.

ثم توجَّه - أي الحبيب علي رضي الله عنه - في تلك الساعة بوجهة قوية في حصول الشفاء العاجل لتلميذه المذكور من وجَعِه، فاستجاب الله دعاءه وما غربت شمس ذلك اليوم إلا وجاءه البشير بالعافية، وفي صباح اليوم الثاني أتى إلى شيخه بارئًا بحمد الله، وقد مكث في بيته من وجع العيون نحو شهرين. اهـ

وسمعت العالم الناسك السيد عبد الباري بن شيخ العيدروس بمسجد الحبيب طه بن عمر يُثني على سيدي أحمد المذكور وينشر فضائله ويحث الحاضرين على ملازمته واقتفاء سبيله والتأدب معه، حتى أملى جملة من شمائله وسِيَره وأخلاقه وكلام مشائخه فيه، وفي آخر كلامه قال: أخبرني الأخ العارف بالله عبد الله بن عيدروس العيدروس قال: لا أرى في هذا الوقت خليفة لله في أرضه مثل أحمد بن عبد الرحمن، فإنه خليفة الله في أرضه أو كما قال نفع الله بالجميع.

ثم إني أقتصر على ما ذُكِر، وهو نَزْرٌ يسير، ولا سبيل إلى الإحاطة بعُشر ما أودَعه المولى فكيف بالكثير، وقد ترجمه إبنه الماجد الأخ عبد القادر بن أحمد بترجمة طويلة وكلها مفيدة فليرجع إليها مُريد المزيد، وذكره السيد الفاضل الصوفي محمد بن حسن عيديد في كتابه المسمى «تحفة المستفيد» وعدّه الشيخ

التاسع والتسعين من مشائخه.

وله نفع الله به وصايا ومكاتبات وكلام نفيس جمع بعض الإخوان وتراجم للعلماء الأعلام ففي ذلك الغُنية والكفاية، فالله ينفعنا به وبمشائخه ولا يحرمنا بركاتهم ومعارفهم» اهـ

وقد توفي لأربع مضت من شهر محرم سنة ١٣٥٧ سبع وخمسين وثلاثمائة وألف، ودفن بسيؤن قريبًا من والده داخل القُبَّة رحمه الله رحمة الأبرار وإيانا آمين.

القِسم الأوَّل

المحتويات:

مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربِّ العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنّك أنتَ العليم الحكيم.

نسألك اللهم بجلالك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمّد سَيد أهل الوجود، الواسطة في إنعامك على كل موجود، الذي أكرمته بالمقام المحمود، وعلى آله وصحبه السالكين سبيله إلى اليوم الموعود وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين يا رحيم يا ودود.

وبعد: فهذه كلمات وردت على اللِّسان من فتح الرَّحيم الرّحمٰن، قيدناها رجاء أن ننتفع بها نحن والإخوان، فنسأل اللهَ أن يجعلها وسيلة لنا في هذه الدار نتصل بها بشفاعة النّبي المختار، وآله وأصحابه الأخيار، في هذه الدار ودار القرار، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه أرحم الرّاحمين وهو الرؤوف الرّحيم.

قال رضي اللّه عنه في عشرين شوال سنة ١٣٥٣ ليلة السبت بعدما أمر المنشد أن يُنشد بقصيدة الحبيب عبدالله الحدّاد التي مطلعها:

تفيض عيوني بالدّموع السّواكب ... ومالي لا أبكي عَلى خير ذاهب

قال: هات القصيدة إن كان أحد با يتّعظ أو با يعمل، أين المستمع العامل، أين المستيقظ من نومه، أين من لا يصْرِف وقته إلاّ فيما يُرضي ربه.

وبعدما أنشد المنشد «**قال نَفَعَ اللّه به**»: سمعنا الحبيب عليّ بن محمّد

الحبشي يقول : إن فتح بن سخرف بكى الدّمع عشرين سنة وبكى الدّم عشرين سنة أخرى فلما مات أُحضر بين يدي اللهَ عزوجل فقال له : ياعبدي فتح بن سخرف بكيتَ الدمعَ عشرين سنة من أي شيئ؟ فقال : من تقصيري في واجب حقك ، قال: وبكيتَ الدم عشرين سنة من أي شيئ؟ قال :خوفاً على الدموع أن لا تُقبل ، قال اللهَ عزوجل: وعزّتي ماصَعد لي حافظاك منذ عشرين سنة بسيئة واحدة ، فقال سيدي: جَاهَدوا حتى أدركوا أملهم وبَلَغوا مارامُوه، وهكذا السَّلف الصَّالح.

جزى اللهَ سيّدنا عبدالله الحدَّاد ذكرلنا عيوب أنفسنا وعدَّد النقائص كلها في قصيدته ، معاد تحتاج شرح ولاتبيين ، ولكن اللهَ يُلقي إليها الأسمَاع (فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ) وَقَال عزّ من قائل (لَقَدْ أبلغتُكم رِسَالاَت رَبِّي وَنَصَحْتُ لكُم وَلكِن لاَتُحِبّونَ النَّاصِحِين) يكفي الإنسان المتعظ كتاب «النّصائح الدّينيّة» للحبيب عَبدالله الحدّاد إذا حققها الإنسان وَتأملها بقلبٍ وَاعي ، وقبْله الإمام الغزالي وبعده الحبيب عَبْدالله بن حسين بن طاهر، وكلاَم سَيّد المرْسَلين وحبيْب رَبّ العَالمين ، الإنسَان يشل الميزان ويوزن به ويتحقق بالعجز ويُشمّر فيما يُرضي مولاه ، وإلاّ إيش الفائدة من جمع العلماء بالله الكتُب النّافعة مثل نظم الحدّاد شي فائدة أوهي إلاّ تدخل من الأذن ذِي وتخرج من الأخرى (وَإذَاخرَجُوا مِن عِنْدكَ قَالوا لِلذِيْنَ أوتُوا العِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا) قسَت القلوب . الحبيب عَبْدالله الحدَّاد يقول :

ولو أنني أبكي الدّموع وَبعْدَها الـ — دِّماء على مافاتني يامُعَاتبي

لكان قليلاً من كثيرٍ وما عسىٰ يردُّ البكا مِن ذاهب أيِّ ذاهب

من أحق بالبكاء نحن أو عبد اللَّه الحدّاد، ما هو قال:

مواريثهم فينا وفينا علومهم وأسرارهم فليسأل المترامي

وقال في الأخرىٰ:

وأحمل نفسي ما استطعت على اقتِفا سبيلهمُ حتى أوسّدَ في الرَّمَل

من بايحمل نفسه على اتباع سلفه في أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، وكم مواعظ في القصيدة لو اتَّعظنا، وحِكَم لو عَقَلنا (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم).

وفي ذلك المجلس أُنشدت بين يديه رضي اللَّه عنه قصيدة الحبيب محسن بن علوي السقّاف التي مطلعها:

ضاعت الأعمار في قيل وقال وخيال واشتغال بالمَحال

فقال سيدي: قال الخطيب في الخطبة: اجعلوا سِيَر الأولين في الدّنيا أسماركم، وأجيلوا فيما صَنَع الدّهر بهم أفكاركم، أين أهل المعاقل المنيعة والمنازل الرفيعة والأبنيه العجيبة والأفنية الرَّحيبة، والوجوه المنعَّمة والمحال المعظَّمة، أين من أطال الأمل واستعذب المهل وأرجأ العمل واستكثر العبيد والخَوَل، أين المحجوب المنَّع، أين المهيب الممتَّع، أين الذكي الأروع، أين الفصيح المصقع، أين من كان فيه منظر ومسمع وخلال الشرف أجمع أمطرتهم واللَّه من الشتات سحبٌ همَّع، وحامت عليهم من الآفات طيور وقَّع، وعصفت بهم من الممات ريح زعزع ... الخ، لكن ماهناك اعتبار

ولا ادّكار، قست القلوب، والسبب في ذلك حُرمة المطعم أورثت النسيان في أمور الخير، قال الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) ذكر المفسرون في هذه الآية معنيين: الأول: لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى من شرب الخمر، والثاني: لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى من محبة الدنيا والفكر في جمعها، لا يدخل الإنسان الصلاة إلّا وهو بقلب حاضر، ما هو مشغول بشيء من أمور الدّنيا، خالي عن الأدناس والغش وغيره، شو السلف ما بلغوا المقامات العَوال إلّا بالمجاهدات والمكابدات وتحرّي طُعمة الحلال، قال صلّى الله عليه وسَلم: «الرجل يَمُدُّ يديه ياربّ ياربّ ومطعمه حرام وملبسه حرام فأنّى يستجاب له»، وقال صلى الله عليه وسَلم: «من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أم لم يعلم، ومن أكل الحلال أطاعت جوارحه شاء أم أبى، عَلم أم لم يعلم»، وقال صلى الله عليه وسلم: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات .. الخ»، قال الحبيب محسن بن علوي:

فلذا منا الضمائر كُشفت　　　شانها بل رانها ضدُ الحلال

وضد الحلال هو الحرام، وشانها من الشَّين وهو الفُحش ورانها غطّاها بالرّان غشاوة بعد غشاوة حتى طُبع عليها بالران (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم).

معاد فوقه وعظ، كل يوم المذكّر يُذكّر ولا أحد انتفع، كأنكم ما تقرأون القرآن (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ) (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه فَهُوَ فِي عِيشَةٍ

رَاضِيَة وَأَمّا مَنْ خَفَّت مَوَازِينه فأمّه هَاوِيَة) (وَنضَع المَوَازِيْن القِسْط لِيوْمِ القِيامَة فَلا تُظْلمِ نفْسٌ شَيئًا) أين الإدّكار، أين الإعتِبَار، قال اللّه تعَالى (هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِينذَرُوا بِهِ وَلِيَعلَمُوا أنَّمَا هُوَ إلَه وَاحِد وَلِيذّكر أولُوا الألْبَاب) هذه الآية جمعت أربعة أشياء: البلاغ والإنذار وَالعِلم بأن لا إلَه غَيْر اللّه والإدّكار لأهل الألباب، اللّه يُزيّن القلوب ويُنَوِّر البصاير، ما نفعت الآيات ولا المواعظ، القلوب تزداد قسوة ومحبه للحطام، الآن الجمعة في الثمان مرة تراهم يتأخرون عنها، تطلع بعد الأذان تحصِّل المسجد خلي (الهَاكُمُ التَّكَاثُر) (شَغَلتْنَا أمْوَالنا وَأهْلُونَا) (وَإذَا رَأوا تِجَارَةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إليْهَا وَتَرَكُوكَ قَائمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللّه خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَة وَاللّه خَيْرُ الرَّازِقِيْن) شوها تترك الديار بلاقع، قال الحبيب عبد اللّه الحدّاد:

ولو مررتَ بها والبومُ تندُ بها   في ظُلمة الليل لم تلتذَّ بالوسَن

وقال الحبيب محسن بن علوي:

تندب البومات في أرجائها   ولأصوات الصدا فيها ارتجال

البُوم هذه الدميا تُبَرِّح فيها وتصيح تقول: شو الجمعة عيد من أعياد المؤمنين لا تهملونها، وهي إلاّ في الثمان مرة، ذا يشتغل ببيعه وشراه وذا بِغداه وذا بثيابه. اللّه يرفعنا من هذه الحالة إلى حالة يرضاها لنا، ويُنَوِّر بصائرنا كي نَقبل الحق ونوفَّق للعمل، شو العلم ما هو شي إلاّ بالعمل.

وقَال رَضي اللّه عَنه: أعمال القلوب أو معاصيها أشد من أعمال الجوارح.

وقَالَ رَضيَ اللّٰهَ عَنه : الإعتراف خيركبير، وحسن الظن خيركبير، ثمرة الاعتراف العمل بما جاء عن العلماء الأشراف، اذا جاء السيد عند ضعيف قال له: دعْ لي، قال الضعيف : ما الدعاء إلّا منكم إيش نحن، لعل اعترافهم هذا ورؤية أنهم لاشيئ يوصلهم إلى رضاء مولاهم، روي أن عابدًا أوىٰ إلى جبل، فقيل له في النوم ائت فلانًا الإسكاف، واسأله أن يدعو لك، فسأله عن عمله، فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويُطعم عياله ببعضه، فرجع يقول: إنَّ هذا لَحَسَن، ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله، فأُتي في النوم ثانيًا، فقيل له في النوم: ائت فلانًا الإسكاف فقل له: ماهذا الصفار الذي بوجهك، فأتاه فسأله، فقال له: ما أتيت أحدًا مِنَ النّاس إلّا وقَعَ لي أنه سينجو وأهلك أنا، فقال العابد: بهذه، والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالىٰ: (يُؤتونَ ما آتو وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربّهم راجعون) أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من عدم قبولها.

ثم قال سَيدي: وقد كان السلف الصالح يبذلون النصيحة لكل مسلم ويعتقدون أنه أفضل منهم وخير منهم، لأنه ربما كان قدره عند الله عظيمًا، وربما سبقت له من الله الحسنىٰ وخُتِم له بخير، قال الحبيب عَبْدالله الحدّاد :

ماذا يقولُ المنكرون ... فيمن لَه قلبٌ سَليم
على جَميع المُسلِمين ... وقصده المولىٰ الكَريم
ويعتقد في نفسهِ ... بأنّه عَبدٌ ذَميم
لولا عناية ربه ... لكان بطّالًا ضَلول

اللهَ حسبي وَكفى ١ قلْ مَا تشا ياذا الفضول

وقال رضي اللهَ عنه : في هذه الآيَة (أفَأمنوا مَكر الله فَلا يأمَن مَكرَ اللّهِ إلاّ القَومُ الخَاسِرون) هذه الآية صيرّت عيون العلماء بالله في خُورِهِم.

وقال رضي الله عنه ليلة السَّبت في الرَّوحَة ٢١ شوال سنة ١٣٥٣ عندما يقرأون العَامّة دعَاء الحبيب أحمَد بن عمر بن سميط المنظوم جمعًا الذي أوّله:

ربّنَا انفعْنا بمَا علَّمتَنَا ربِّ عَلِّمنا الّذي ينفعنَا

قال: أخذ الحبيب أحمَد بن عمر قوله «وعَلى الصّحب المصابيح الغرر» من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» والثاني من قوله صَلى اللهَ عليه وسلم: «أنتم الغُر المحجّلون من آثار الوضوء»

أين الاقتفاء لأصحابه صلى اللهَ عليه وسلم، أين الاقتداء بهم، أين الاتباع لهم، مضت الأعمار سُدى والأوقات مُهملة، كل نَفَس من أنفاسك جوهرة لاقيمة لها (وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاّ لِيَعبُدُون مَا أرِيدُ مِنهُم مِن رِزقٍ وَمَا أرِيدُ أن يطعِمُون) تكفَّل المولى بالرزق، قال اللهَ (إنَّ اللهَ هُوَ الرزّاق ذُو القُوّة المَتِين) وقال رسول اللهَ صلى اللهَ عليه وآله وسلم: «لَن تَموتَ نفسٌ حتى تستكمل رزقها».

وقال رضي الله عنه : أعمال الباطن مثل مكابدات النفس ومجاهداتها، وأعمال الظاهر مثل الصدق والورع والزهد في الدنيا.

وقال رضي الله عنه : كان السلف الصالح يتواضعون غاية التّواضع، يعرفون قدر العلم ويعطونه حقه، ويعرفون قدر المنصبة ويعطون صاحبها حقها، وكل واحد

منهم يعطي قرينه زائداً على حقه، يُقيِّدون العلم بالعمل.

وقَالَ نَفع اللَّه بـه في يوم الأحد اثنين وعشرين من شوال سنة ١٣٥٣ في المَدرس الكائن بمسجد الجدطه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

قال سيدي: كان السلف رحمة الله عليهم يُعَرِّبُون لهم نيات ويصلحونها، ما يدخل رمضان إلّا وقدهم مشمِّرين عن ساق الجد، مبادرين للعمل بما يُرضي مولاهم، ونحن تذهل عنَّا هذه النيات، يدخل رمضان ويخرج كغيره من الشهور، يذهلون عن النيات الصالحة، غايتهم يقومون كالعادة ما يقولون بغينا نية صالحة لهذا الشهر، ومن أقبل على مولاه أقبل عليه المولى.

نبي الله زكريا لما اهتم بالذرية دعا ربه (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدعَاءِ) فبشَّره بقوله (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ) ومعنى قوله صَلى الله عليه وسلم «إيماناً واحتساباً» في الحديث المتقدم، إيماناً أي تصديقاً بما وعد اللّه به من جزيل الثواب وعظيم الأجر، واحتساباً أي خالصاً لِلّه لا لغرض يشوبه من أعمال الدنيا.

وقَالَ رَضِيَ اللّه عَنه في نفس المَدرس: قرأ الولد حسن لنا يوم الجمعة في بهجة المحافل للعامري وملأ أسماعنا واستحسنَّا أن يقرأ ذلك الفصل في المَدرس للعامة بل وللعلماء خصوصاً والمتعلمين عموماً، لأنه في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة السلف الصالح، جزى الله الشيخ العامري، أهدى لنا هدية عظيمة

بايعلِّمنا صَلاة النّبي صَلى الله عليه وسلم والسّلف الصالح، اقرأ ياحسن إن كان هناك استماع، عسى شي أسماع واعية، اسمعوا وَعُوا وانووا العمل بما تسمعونه.

وقال رَضيَ الله عَنه في أثناء القراءة في ذكر الصلاة : الصلاة الوسيلة العظمى بين العبد وربه، قال صلى الله عليه وسلم «وجُعِلت قرة عيني في الصلاة»، وكانت الوسيلة لنبي الله زكريا لما دعا ربّه بالذريّه فبشّره بيحيى، هذا دليل على ثواب الصَّلاة وعِظَمها في الشّرع والاهتمام بها.

وقد قال سيدنا الوالد علوي بن عبد الرحمن السقاف : إن عمي عبدالرحمن بن علي يقول : إذا نزلت بك حاجة دنيويه أو أخرويـة فاستعن عليها بالصلاة، ثم أتبعها بقوله ﴿وَلاَ تَمدنَّ عَيْنَيكَ إلى مَا متَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً منهُمْ زَهْرَةَ الحيَاة الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُم فِيه وَرزْقُ رَبّكَ خَيْرٌ وَأبقى وَأمُرْ أهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْألُكَ رِزقًا نَحنُ نَرْزُقكَ وَالعَاقِبة لِلتّقْوَى﴾

وكثيرًا ما نذكر في المذاكرة أن من قرأ آخر سورة طه هذه الآية كفاه الله ما أهمه، لكن صلاتهم ليست كصلاتنا، صلاة بحضور وتدبر وخشوع، أما صلاتنا هذه والعياذ بالله فوزرها أكثر من نفعها، لأنّها من غير حضور ولا تدبر كالجسم الذي بلا روح.

وقَال رَضيَ الله عَنْه : الصوفية المحققون زادوا ثلاثة أركان للصَّلاة فوق التي يذكرونها أهل الفقه وهي: "الخشوع والتدبـر" والخضوع والإخلاص، بدليل قول

اللّه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)

الآن تجد الإنسان يجي للصّلاة وقلبه معلّق بدُنياه أو ببيعه وشراه، أنساه مادرى كم صلى، ولا أي سورة قراها الإمام في الصلاة، ولا استحضر معاني الفاتحة والسورة، كأنه ماهو داري أنه بين يدي علاّم الغيوب، أو يخاطب مَنْ، شو الغفلة عمَّت والعياذ بالله وتملَّكت الأفئدة، ما مَثَل ذلك إلاّ مثل من طرح الخمر والعياذ بالله وسط صندوق المصحف، الصورة صلاة وهي مشحونه بالخبائث، ماشي نية وهي روح الصلاة، اللّه يخلّصنا من أسر النفس.

قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الرجل تَشِيب عارضاه ما تُقبل له صلاة» من يوم يبلغ خمسة عشر سنة إلى ستين سنة ما تُقبل له صلاة صحيحة، كل ذلك من عدم الخشوع في الصّلاة؛ من يوم يدخل المسجد وهو يودّي يفر، ما هو داري متى باتُمّام الصّلاة با يخارج منها كما الدَّين، وهذا أمر عظيم، لاسيما علينا معشر العلماء والمترسمين بطلب العلم عظيم الخطر، وأما العامة قدهم يفرحون بالصلاة الخفيفة فلان صلاته خفيفة وأما فلان والعياذ بالله صلاته ثقيلة، هذا والعفو منكم إن طوّلنا عليكم المجلس، بضائع تُعرض ما تُقوَّم بقيمة، لكن أين المشتري لها، ما با يحصلها إلا الموفّق.

ومَن صدّ عنّا حَسبه البَيْن والقِلى   ومَن فاتنا يكفيه أنّا نفوته

طال المجلس، لكن لا بأس فيه نفع للناس ظاهر وباطن خاص وعام.

وكان رضي الله عنه يقول : خذوا البادر من كلامي، شوها تخرج مؤيدة نصيحه وفيها صالح لكم وفوائد كثيرة ، قُلتُ: وقد جرَّبنا ذلك مرارًا فصار الأمر كما قال رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه : إذا عمل الإنسان عمل من أعمال البر كصلاة وصدقة وتلاوة تجده يشوبه بالعجب، يقول : أنا لقّيت كذا كذا ركعة كذا كذا تسبيحة، من أين با يجي نحن البلا وأنا لقّيت كذا وأنا صليت لله كذا ركعة، كلها أعمال مكدرة بالعُجب، يدخل علينا الشيطان، شو العُجب يسلب النعمة التي خوّلك الله إيّاها، قال الله (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) من يأمن مَكر الله، هُوَ مِنْ لي وفّقك للقراءة، هُوَ مِنْ لي وفقك للقيام والصيام، كلها نِعَم مَنَّ عليك المولى بها جلّ وعَلا، شو السلف يشوفون التقصير في في أعمالهم ويخافون أن يدخلها عُجب أو غيره مع أن أعمالهم مؤيدة بالجد والتشمير وسالمة من الشوائب، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) وفي الآية الأخرى (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) قال الشيخ عمر بامخرمة

من لبس مسدرة غبرا فر الغرب وافرا — وان حمل مسبحه واقبل بلا قلب يقرا
قال لي منزله داخل وهو قيم برّا — فاحتلقن اللّحى وامسوا في الفتنة اسرى
لا ادركوا الذة الدنيا ولا فوز لاخرىٰ

وقال رضي الله عنه : الإنسان يجاهد نفسه ويكابد المشقات كما قال تعالى

(فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَة) شوها كما مطلع السنود، اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه، قال تعالى (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) أين العمل المبرور لي با يطّلع عليه اللهَ وبا يرضاه والرسول، با تقول لهم آه، قال لك ربك لأي شي خلقتك، آه با تقول له، با تقول للأكل والشرب والجماع وملاذ الدنيا وهو يقول (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) يا ويلك ويا خسارتك ويا حسرتك (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) قال الشاعر:

لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تُشترى ... بملءِ السما والأرض أيّة ضيعة

تظلم نفسك يا سفيه الرأي وتغبنها، قال اللهَ تعالى (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)

وقال نفع اللهَ به: أهل الإيمان الكامل مثل الأكابر يشهدون التقصير مع غاية التشمير، ويعملون الأعمال الشاقة الموجبة لرضا اللهَ مع أنهم متحققون بالعجز ويرون أن أعمالهم عدم، والخوف والوجل آخذ بنواصيهم، وأما نحن والعياذ باللهِ إذا عَمِل الواحد مِنّا عمل ركز راسه، وظن أن ما حد عمل مثله، وأخذه العجب فصار العمل وبالاً عليه، هُوَ مَنْ لي خلقك، هُوَ مَنْ لي رزقك، هُوَ مَنْ لي وفقك لهذا العمل، تتكبر بأي شيء، وتُعجب بأي عمل، وتركن إلى الدنيا الدنيّة، قال صلى اللهَ عليه وسلم «إنّ النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح، قيل: هل لذلك من علامة يا رسول اللهَ، قال: نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله» قال سيدي: قال اللهَ تعالى (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) اللهَ يعرفنا

حَقِيقةَ أنفسنا، ويرزقنا العمل بما جاء عن الصّادق المصدوق، ويشرح صدورنا وينوّرها، ويمن علينا بالاقتداء والاهتداء بهدي السّلف الصّالح، قال الشاعر:

لولم تُرِد نيل ما أرجو وأطلبه ... من فيض فضلك ما ألهمتني الطلبا

قيل للحبيب علي بن محمّد الحبشي: آه لي حملك على جمع المال لبناء الرّباط، قال: الذي حمل عوض بن عمر القعيطي على جمع المال للفتن، سبحان الموفق، حد يُرضي ربه بعمله وحد يُسخطه، لأي شيً ماتعمل مثل هذا الحبيب، لآه ماترجع إلى مولاك، لآه ماتنفق بعض مالك ابتغاء مرضات الله، قال الله تعالى: (وَانفِقُوا مِمّا جَعَلَكُم مستَخلفِين فِيه) ماهو شغلك، هُو مَنْ جاء بالمال لك، هُوَمنْ لي جَعل لك الحظ فيما قُسِم، هُومَن لي أوصله إليك، كيف ماتفكر، كيف ماتنغط، لي أفقر الغني يقدر يفقرك كما أنه يقدر يغنيك الآن من لقَى شي قال لقيت أنا فعلت، با تصلك فين هذه الكلمة، شو المولى قال لأكرم الخلق عليه (وَمَارَمَيتَ إذْ رَمَيتَ وَلَكِنّ اللهَ رَمَى) وقال لأصحابه: (فَلَم تَقتُلُوهُم وَلَكِنّ الله قَتَلَهُم) ما أنت إلاّ قلم بيد محرِّك، لآه تُعجَب بعملك، إذا وفقك للخير ورزقك رزق واسع تكبرت على الفقير، ربما إنّ الله يعطيه مثل مال قارون أو أكثر، آه ما معك عند مال قارون، وهَبْ أن الله أعطاك أنت مثل قارون وتعمّرت مائة سنة أو أكثر وبعد المائة السنة با تصير في قبر، كما قال الحبيب عَبدالله الحدّاد: «في بطن قبرٍ من فلاة بلقع».

آه قدمت لسؤال القبر ونكاله وغُصصه وعذابه، تحقق أن الدنيا ممر مافيها بسط لعاقل.

وأما الآن والعياذ بالله تكالبوا على الدنيا، يطلع الولد الصغير بين ظهرانينا وأوّل مايُميِّز

الدرهم والدينار، وفوق ذلك أنه من حين يقبضه يبخل به، ولو تصدق به قالوا له أنت مغروم تقسّم مالك وعَدُّوهُ من المجانين .

وأمّا العاقل والحاذق عندهم لي ما يفرط في الدينار والدرهم، ولي هو يجمعها وهي حيات وعقارب تلدغه في قبره، ولا عرف فيها حق الله، ولا عرف واجب ولا صلة رحم ولا صدقة على فقير، والعياذ بالله يكنزونها، قال الله ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ .

ذكروا الفقهاء أن الكفار معاقبون على عدم إخراج الزكاة مع امتناعهم من دين واتباع محمّد صلى الله عليه وسلم، ولا يغتر بهم الإنسان يقول يوم ربي أعطاهم المال الكثير، ذلا تزيين لهم بما لا طائل تحته جل الخالق الرازق «حكمٌ حُكِمَت بيدٍ نُسِجَت» ما يُسمون عُقّال أهل الأموال، لو أوصى واحد بمائة ريال لأعقل الناس ما يعطاها هذا، بل يعطاها الزاهد في الدنيا لأنه هو العاقل، عرف أن الدنيا ممر فتهيأ للسفر وجاهد وشمّر .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنه : لا يستغني الإنسان على ذكاه وفطنته وعقله بل يجمع ذكاه إلى ذكاء أخيه المؤمن، وفطنته إلى فطنة أخيه أيضاً، وعقله إلى عقله، قال

تَعَالىٰ (وأمْرهُم شُوْرَىٰ بَيْنَهم) وقال لنبيه (وَشَاوِرْهُم في الأمر) وقال صلى الله عليه وسلم: «ماخاب من استشار ولاندم من استخار»، وقد كان السلف يعملون هذا العمل اقتداءً واتباعًا للمحبوب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبالكُبراء من أهل بيته مثل الحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر ومن ضاهاهم، فاعمل أيُّها الإنسان عَمَلهم ولاتغترَّ بنسبك إليهم، كما قال الحبيب عَبدالله الحداد :

ثم لا تغترَّ بالنسب … لا ولا تقنع بكان أبي

واتَّبع في الهدي خير نبي … أحمد الهادي إلى السَّنن

وقال الآخر:

لئن فخرت بآباءٍ ذوي شرف … لقد صدقتَ ولكن بئسما ولدوا

بغينا سِيَرَ أهلنا وسلفنا ونحن بمعزل عنهم وبُعد كثير بيننا وبينهم، أين الصفات الحسَنة، أين الكرم ومكارم الأخلاق، أين التقوىٰ، أين الصدق، أين الورع والعفاف، ندَّعي أن نحن نسير بسيرهم ونحن علىٰ الضد من ذلك.

لباسهم التَّقوىٰ وسيماهم الحَيَا … وقصدهم الرَّحمٰن في القول والفعل

وقال في هدية الصِّديق :

سيماهم التَّواضع … وقطع كل قاطع

قال الحسن بن علي : إني لأرجو أن يؤتى الرجل المحسن منَّا أهل البيت أجره مرتين، وأخاف أن يؤتى المسيئ العاصي وِزره مرتين من باب قوله تعالى: (يَانِسَاء النَّبِي مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَة مُبيِّنَة يُضَاعَف لهَا العَذَاب ضِعْفَيْن) والعالم كذلك

يضاعف عليه الوزر مرتين، من باب قوله: (يا أيُّها الّذينَ آمنوا اتّقوا اللهَ وآمنوا برسُوله يؤتِكُم كِفلَيْنِ مِن رَحمتِه ويَجعَل لكم نُوراً تمشُونَ به ويَغفِر لكم) وقوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب وآمن بنبيه، وعبد مملوك قام بعبادة الله وخدمة مولاه، ورجل كانت عنده أَمَةٌ فأدّبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها» (أُولَئِكَ يُؤتَونَ أجرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ويَدرَؤُونَ بِالحَسَنةِ السّيئَةَ وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ).

وقَالَ رضيَ اللهَ عَنه في ليلة السبت ثمان وعشرين شوال سنة ١٣٥٣

بعدما أُنشدت بين يديه قصيدة الحبيب عبدالله الحدّاد التي مطلعها:

أقوم بفرضِ العامريّةِ والنّفل وأصدقها في القصدِ والقولِ والفعل

قال: هذه القصيدة من أنفع المواعظ وأحسن الحِكَم، وقد جمعت ماجمعت من التحلّي بالصفات المستحسنة والتخلّي عن الصفات المستقبحة والحِكَم والتذلل والخضوع، وفي هذا البيت منها:

إلهي بحق القومِ مُنَّ بتوبةٍ من الذّنب تغسلنا بها أبلغ الغَسل

ومابعده نهاية الإقرار ونهاية الصدق ونهاية التذلل والافتقار، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: (لَقَد تابَ اللهُ عَلى النّبِي والمهاجرينَ والأنصار الّذِينَ اتّبعُوهُ) والآية الأخرى (وعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلِّفُوا) شوهم لما تابوا توبة نصوح تاب الله عليهم، تُوبوا إلى الله باطناً وظاهراً، وأسباب التوبة ثلاثة: أن تندم على فعلك المذموم، وتُقلع من

الذنب في الحال، وتعزم على أن لا تعود مجرد قولك لربك ﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ مع الإخلاص والصدق فيها والاستحضار لأسبابها، كما في هذه النية ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ والذنوب تنقسم إلى قسمين: ذنوب يعرفها العبد، وذنوب يجهلها، أما الذنوب التي يعرفها كالزنا والمحرمات، والذنوب التي لا يعرفها كفرحه بالمعصية التي نزلت بأخيه المسلم، اعزموا على التوبة وارجعوا إلى مولاكم، المقصِّر في صلاته يتوب وصاحب الغيبة يتوب، وصاحب الزنا يتوب، والمرتكب للمحرمات مثل الغش وهتك أعراض النّاس يتوب، شو الإنسان داري بالحرام ولا ينزجر منه ولا يتفقد في نفسه.

ثم هذه القصيدة معاد تحتاج، غَنِيَّة عن الشرح، بل كله كلام الحبيب عبدالله الحدّاد معاد يحتاج تبيين، ولم يزل يُتلى بين أكابر السّلف، ولهم ذوق ووَجْد عند هذا الكلام، وكلها فصول يعرفها من له أدنى تحقيق وذوق قال في أوّلها:

«أقومُ بِفَرْض العَامِريّة والنّفْــل»

صلاة أهل الصّدق، أهل العبودية، أهل المعرفة بالله، أهل الأذكار، ماهي صلاتنا يا أهل الغباوة والجهل والتقصير فيها، نتبع النفس والهوى، ضللنا وأضللنا، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ الله يحفظ ويسلّم من المهالك ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: «أعْدَىٰ عَدُوّك نفسك التي بَيْنَ جنبيك» أما أهل الغَفْلة والعياذ بالله تعَالىٰ تمر عليهم هذه المجالس الزينة مرور الطيف في الحلم ما يجنون لها ثمر، قست القلوب وتمردت، الله يجعل لنا واعظ

من أنفسنا يردعنا عن كل زيغ وضلال، ويردنا إلى الهدي المبين طريقة سيد المرسلين وحبيب ربِّ العالمين محـمَّد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المخلوقات أجمعين

ثم قال الحبيب عَبدالله الحدّاد :

وآتي إلى ما تشتهيه وإن يكن مريراً وجدت المر مثل جَني النحل

لا يدخل الإنسان في مداخل كبيرة موحشة وداري أن عاقبتها صراط ونار وعقاب وحساب، من مر على الصراط سَلِم، ومن سقط منه كان في جهنم والعياذ بالله تعالى :

" عَلى المرء أن يَسعىٰ لما فيه نفعه "

ثم ذكر منها أبيات في الزمان وأخبار أهله وماهم عليه، إلى أن قال :

لقد عزَّ في هذا الزمان موافقٌ يُعينك في مجدٍ وينهاك عن سُفل

غيره

وخالف النفسَ والشيطان واعصِهمَا وإن هما محضَاك النصح فاتَّهمِ

ولا تُطِع منهما خصماً ولا حَكماً فأنتَ تعرف كيد الخصم والحَكَم

وأما نحن بضد ما قاله البوصيري، تبِعنا النفس والهوىٰ، لآه ما نقول كما قال الحبيب عبدالله الحدَّاد :

سأمضي لشأني واطرحها وشأنها فشُغلي بها قد بان من أقبح الشُّغل

ماهو عبدالله الحدَّاد تكالب على الدُّنيا، إلاَّ نحن تكالبنا على الدُّنيا ولا فكرنا في حسابها ومعنىٰ البيت أن الحبيب عَبدالله أكرمه الله بالتنبه والاستقامة والرجوع، وأكرمه بالمعرفة وقوة اليقين والثبات عَلىٰ ماجاء به سيد المرسلين صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم، ثم قال :

واصلت من غمدِ السجية مُرهَفاً   من العزم ماضٍ قد تحاشا عن الغلّ

سيف حاد قاطع للنفس الأمّارة بالسوء، لأنها مغوية وتدعوا إلى كل ضلال، الله يكرمنا بما أكرمهم به، بغينا نحن كما هم، جاهَدوا نفوسهم وكابدوا المشقات (وَالّذِيْنَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنا وَإنّ اللهَ لَمَعَ المحسِنِيْن) وفي الحديث «رَجَعنا مِن الجهَاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» جهاد النفس التي تُرديك وتغويك، فمجاهدتك لها توصلك إلى كل خير، وتُبلغك إلى كل مَا تؤمله، ولكن عزّ مَن يجَاهد نفسه، كما قال سيدي عبدالله الحدّاد:

لقد عزّ في هذا الزّمان موافقٌ   يُعينك في مجدٍ وينهاك عن سُفلِ

وَقالَ في الأخرىٰ:

خليليّ هَل من مُسْعدٍ منكما عَلىٰ   سلوك سبيلٍ دارسٍ وخَفِيَّةِ

تأخّرَ عنها الأكثرون وأعرضوا   لِمَا عَلِمُوا في قطعِهَا من مشقةِ

شو جهاد النفس بترك المكروهات، لأنها تدعوك بعد المجاهدة إلى مجاورة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ومجاورة السلف الأكابر رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين، ودخول الجنة بسلام، وكله هذا ما يجي بالأنس والبسط، ولكن يجي بالتعب والنصب وهجر النوم

ثم قال:

وإنّ امرأً تلقاه يطلبُ حَقّه   وَيَذهَلُ عن حقٍ عليه لذو جَهْلِ

كمثلنا نحن يا المتأخرين، بغينا لي لنا ولا نفعل ما يُطلب منّا ويتوجّه علينا، نحن الجهال كما قال «لذو جهل» أي صاحب جهل وحُمق وغباوة، ثم أردفه بقوله:

وَشَاهِدُ إفلاسِ الفتىٰ جهلُ عيبه   وذكرُ عيوبِ العَالمين من العقلِ

وهذا واقع فينا نجهل عيوبنا، تجد الإنسان يصلي ولا يدري كم صلّى ولا قرأ الإمام أي سورة، وقد قال الحسن البصري: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع، مثل صلاتنا خفيفة والقلب مضيَّع مشغول بالدنيا والفكر فيها، هذا دليل على إفلاسنا عن المعالي وعن الأمور العلوية، بما يحصِّل الإنسان نظيرة[1] أسود بالذنوب والمخالفات والمكروهات. ثم قال:

فإياك أن تختار صحبة من ترى ... له ظاهراً يُعْجِبْك من قبل أَنْ تَبلي

عبَّر به عن رؤيتك ظاهر الإنسان وتختاره صديقك لأنه أعجبك ظاهره من قبل أن تختبره، تجده ظاهره حسن وباطنه مغشوش بالغل والكبر والعجب والحسد والغيبة والنميمة وما ضاهاها، وقد فشا بيننا هذا الداء واستحكم في قلوبنا إلا من رحم الله وقليل ما هُم، كما قال:

لقد عزّ في هذا الزمان موافقٌ ... يُعينك في مجدٍ وينهاك عن سُفلِ

أين المساعد في طلب العلم وفي محبة الله تعالى والمسارعة إلى مرضاة الله وطلب الفضل من مولاه، لقد عزّ والله كما قال الحبيب، الله يرد ما فات علينا من سِيَر أهلنا وسلفنا، وينهض بنا إلى الأمر العلوي من الحضيض السفلي، وتحفظ لنا ما بقي من مآثرهم ورسومهم، ويكرمنا بما أكرمهم، ثم قال:

أما إنّ هذا الدهر قد ضلَّ أهلُهُ ... همومهمُ في لذة الفرج والأكلِ

ضلَّت العقول، راحت الهموم في المنكح والمنظر والمطعومات والملبوسات والأكل، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِزْقٍ

1. نظيره: دفتره أو صحيفته.

وَمَا أُرِيْدُ أَن يُطْعِمُوْنِ) أينكم من قوله تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيْدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) وعاد أكبر من ذلك جمع المال خوف الفقر، وأعظم من ذلك أنه معاد يفكر جمعه من حله أو شبهة، كل ذلك خوف الفقر. وهذا الفقر الذي استعاذ منه النبي صَلى الله عَليهِ وَآلهِ وَسَلم كما قال الحبيب أحمد ابن عمر الهندوان.

قال الحبيب عبدالله الحدّاد مرة للحساوي: مابدا سألك الحبيب أحمد بن عمر الهندوان عن مسألة. قال: نعم، سألني ما الفقر الذي استعاذ منه النّبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بما أحفظه من كلامكم: هو خلو اليد من المال مع التضجر والتبرم، فقال له الحبيب عبدالله الحدّاد: المرة الأخرى إذا سألك عن شيء فقل له مستفيدين منكم هو أو غيره، لا تُخبرهم بما عندك انته، فلما خرج للدرس الآخر أعاد الهندوان له السؤال، قال: مستفيدين منكم، فقال الحبيب أحمد: ماهو منّك، الفقر الذي استعاذ منه النّبي صَلى الله عَليه وسلم هو خوف الفقر ولو معه الدنيا كلها وهو خائف من الفقر فهو عَسِر، فلما عَلِمَ بذلك الحبيب عبدالله قال للحساوي: هذه الكلمة أغنت عن معاني كثيرة، قال الوالد أحمد بن عبدالرّحمٰن: مايعتمدون على مولاهم الذي خلقهم، بغوا الاعتماد إلا على الصندوق. الله ينظر إلينا ويردنا مرداً جميلاً، نسلك مسلك أهلنا ونقتدي بهم في القول والفعل وكل ما هم عليه من حسن الخلق ونيل المكارم العليّة والتحلّي بالمحاسن

والصفات الحميدة، كما قال:

وقد درج الأسلاف من قبل هؤلاء وهمتهم نيل المكارم والفضل

ماقال نيل الدنيا ولا اتباع الفانيات ولا الشهوات المضادة عن سبيل الله واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأسلاف مثل الفقيه المقدم وابنه علوي وعبدالله باعلوي وعبدالرحمن السقاف وأولاده السكران والمحضار وغيرهم من الزاهدين والصالحين والعلماء العاملين والعبّاد القانتين وجميع عباد الله وأحبابه المقربين.

لقد رفضوا الدنيا الغرور وما سَعَوْا لها والذي يأتي يُبادَرُ بالبذلِ

ففيرهم حرٌ وذو المال منفقٌ رجاء ثواب الله في صالح السُّبلِ

لباسهم التقوى وسيماهم الحيا وقصدهم الرحمن في القول والفعلِ

أين قصدنا من قصدهم وعملنا من عملهم وفعلنا من فعلهم ولباسنا من لباسهم وحيانا من حياهم، ولكنهم كما قال:

خضوع لمولاهم مثولٌ لأمره قنوتٌ له سبحانه جل عن مِثْلِ

ما بلغوا هذه المراتب إلّا بالخضوع وامتثال الأمر واجتناب النّهيّ، لا يخافون في اللهِ لوْمَةَ لائم، ولا يركنون مع نفس أمّارةٍ أو دُنيا دَنيّة فانية، ثم قال:

فَقَدْنَا جميعَ الخير لما تَرحّلُوا ومنهم خَلاَ وعْرُ البسيطةِ والسّهل

وَقَالَ أيضاً:

على نفسه فليبكِ من ضاع عمرهُ وليس له منها نصيبٌ ولا سهمُ

أين الباكي على نفسه، أين الباكي على مافات من عمره، أين الباكي على مافاته من سِيَر أهله وشمائلهم وصفاتهم الحسنة، كل واحد منكم له سلف ينتسب إليهم نسبة صحيحة، لآه ما يقتدي بهم في جميع العلوم والعمل بها مع الإخلاص، لآه ما تعمل مثل أعمالهم، لآه ما تخلَّى بصفاتهم وشمائلهم الزينة يا ما أحسنها واحلاها، شو نحن فقدنا بفقدهم شيء كبير وخير كبير، وحتّى الأرض أجدبت لفقدهم، أين الوجوه الناظرة التي إلى ربِّها ناظِرة:

وصرنا حيارىٰ في مفاوز جهلنا　　　نَشَبَّهُ بالبهْمِ السُّوَيْرِحَةِ الغُفْلِ

كالمعز والضأن أو أخس أوْ أسوأ حالاً، لأنا ضللنا عن الرشد وعما درج عليه السّلف

نُخَبِّطُ لاندري الطريق إلى النّجا　　　وبالجورِ نمحُو سُنَّةَ البرِّ والعَدْلِ

«وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم» القلب يعصي واللسان تعصي والأذنين تعصي وجميع الأعضاء تعصي، نرتكب المحرمات ولا ننزجر عنها ولا نترك المحذورات، كأنا لم نقرأ قوله تعالى: (فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ).

« وَبالجَورِ نمحُوا سُنّة البرِّ والعَدْلِ »

إنّا لله وإنّا إليهِ رَاجِعُون وَلاحَوْلَ وَلاقُوّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، شهد علينا زماننا وشهدوا الأكابر علينا وسيُؤدُّون شهاداتهم يوم العرض الأكبر (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ) (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ • إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ • فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) ثم قال: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

كِتَابَه بِشمَالِه فيقُول يَا لَيتَنِي لَمْ أوتَ كِتَابِيَه وَلَمْ أَدْرِ مَاحِسَابِيَه) بانتدمون حيث لاينفع الندم (يَوْمَ لايَنفَعُ مَالٌ وَلابنُون إلاَّمَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم) وَالآيَة الأخرىٰ (وَأمَّا مَن أوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه فَسَوْفَ يَدْعُوا ثبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا).

اعملوا للمنقلب، بادروا بالأعمال فِتنًا كقطع الليل المظلم، واقتدوا بمن اقتدى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام على الطريقة البيضاء النقية التقية (وأن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوه وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه) وقوله صلى الله عليه وسلم: «سَتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة، وهي ما أنا عليه» الله يدلنا على ما عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ويحيينا على ملته ويميتنا عليها، ويحفظ علينا دين الإسلام، ويضاعف حسناتنا ويتجاوز عن سَيِّئاتنا آمين.

إلهي بحق القوم مُنّ بتوبةٍ ... مِن الذَّنب تغسلنا بها أبلغ الغَسل
أغث يامغيث المستغيث قلوبنا ... بغيثِ هُدىً يُحيي القلوب من المحل

وقَال رَضِيَ الله عَنه في قوله عز وجل: (اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاح) : المشكاة عند العلماء المحل الذي يوضع فيه المصباح (فِيهَا مِصْبَاح) أي نور الإيمان، المصباح نور الإيمان (فِي زُجَاجَة) هي قلب المؤمن العارف بالله (الزُّجَاجَة كَأنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌ) نجم ثاقب مضيء (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَة) هيَ أحسن الشجرات فيها الدّواء والغذاء والدّهن الصافي وهي الدّين الحنيفي والملّة

المحمدية (لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) لا يهودية ولا نصرانية (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ) هدىً على هُدَىٰ، هذا قلب المؤمن العارف بالله.

وَأَمّا المغترون بالدنيا والجُهّال فقلوبهم (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) في ماءٍ كثير (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن النّور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح، قيل: هل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» بكثرة الصّدقات والصّلاة والصيام واستعداده لليوم الآخر.

وأمّا المغرور ماشي معه يقين بما بعد الموت، يقول آمنت بالله وهو على خلافه، أين اليقين القاطع والإيمَان القوي، يظن أنه من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناجين الذين يمرون على الصّراط كالبرق الخاطف، أو يظن أن الآخرة بردًا وسلامًا ماشي عقاب ولا حساب ولا صراط ولا نار (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) أقسم الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال له: قل لهم: (بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) با يعطونك كتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها إذا فعل الإنسان المحظور قال: الحساب إلّا على أهل النّار، كأنه يقطع بأنه معصوم من النار وهو يرتكب أمورًا توجب له الدخول في النار (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) لا يغرك حلم الله ولا عفوه إنّه شَديد العِقَاب.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن ذكر قصة سَفَر سيدنا عمر بن الخطاب إلى الشام فقال سيدي : عوتب سيدنا عمر في ذلك على بذاذة زِيِّه. فقال سيدنا عمر: إنَّا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره .

ثم قال سيدي رَضِيَ الله تعالى عنه : لاحت لهم بشائر القبول، وظهرت لهم أمارات الوصول، فتحلوا بما تحلّى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واقتفوا أثره واتبعوه قولاً وفعلاً وعملاً وعادة وعبادة، واقتفوهم خيار التابعين وبعدهم سلفنا الصالحون الذين تحلوا بما تحلّى به رسول الله. الله يعطينا ما أعطاهم وفوق ما أعطاهم

« رجالٌ إلى الرحمن سَاروا بهـمّة »

ومضوا على قصد السبيل إلى العُلا قَدَماً على قدمٍ بجدٍ أوْزَعِ

امتثلوا الأوامر وانتهوا عن المناهي وتخلقوا بأخلاق خير المخلوقين وصدّقوه فيما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم « لباسهم التقوى وسيماهم الحيا ». قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) من اتبعه ظفر ففاز بالمطلوب. يا بختهم عكفوا على باب لا يخيب راجيه ولا يُرَدُّ من لجأ إليه، باب كريم ما يمل السائل ولا يضجر من الداعي، عادُه إلّا يحب ذلك من عباده ويفرح منهم، قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وفي الآية الأخرى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ) الله يفتح مُغلقات قلوبنا وَيَهب لنا ما وهبه لكُمّل العباد، ويُرقّينا من حالتنا هذه إلى حالة أحسن منها ويزهدنا في الدنيا

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم السبت إحدى عشر الحجة سنة ١٣٥٣ بعد ما أنشد

المنشد بفصل من عينية الحبيب عبدالله الحدّاد التي أوّلها :

يَاسائِلِي عَن عبرتِي ومَدَامِعِي ... وتنهُّدٍ ترتجُّ مِنه أضالِعِي

وَهُوَ قَوْلُـــه :

والقصد ذكر نصيحة ووصيـــة ... للنفس والإخوان إن كانوا معي

الحمد لله، نِعَم المولىٰ علينا متواترة العامة والخاصة لا تنقطع، تتجدد بتجدد الأيّام وتكرر السنين والأعوام، وأعظمها نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة الإرشاد ونعمة التّوفيق ونعمة الإسعاد ونعمة الإسلام وكم من نِعم لا تُحصىٰ، ما خَلَقَنا إلّا لنربح عليه لا ليربح علينا، وأعظم ربح ونعمه أن جعل نبيّنا خير الرُّسل صَلىٰ الله عَليه وسلم وجَعل أمته خير الأمم (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

بشرىٰ لنا معشر الإسلام إنّ لنــا ... مِنَ العِنَايَة رُكناً غير منهدِمِ

لمّا دَعَا الله داعِينَا لطاعتِه ... بأكرم الرّسلِ كُنّا أكرم الأمم

ومن نعمه أن أسعدنا بنعمة القرآن التي لا تُضاهى ولا تُسامى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) لكن أين المتذكر، أين المدّكر، أين المعتبر، أخذت الغفلة بنواصي أفئدتهم (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) يَاخير رب معنا، خلقنا ورزقنا وحفظنا من الآفات ونحن نعصيه وهو يحلم عنّا ويسترنا ويغفر لنا إذا تبنا إليه. قال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث القدسية « عَلِمَ عبدي أن له ربًا يغفر الذنب، قد غفرت لعبدي »، والحديث الآخر ينزلُ ربُّنا كُلّ ليلةٍ إلىٰ سَمَاءِ الدُّنيا فينادِي: هل مِن مستَغفِرٍ، هَل مِن تائب، هَل مِن طَالب حَاجَة إيش ذا العطا الوهبي الواسع الجم

ماهو بكسب بل هو بفضله ورحمته.

يُحكى أنَّ عابداً عبد ربه خمسمائة سنة، ولما مات وقف بين يدي الحق فقال له: ياعبدي ادخل الجنة بفضلي، فقال: لا بل بعملي، فقال للملائكة: حاسبوه على نعمة البصر، فلم يَفِ شكره بها، فقال: اذهبوا به إلى النار، فقال: يارب إني أريد الجنة بفضلك ورحمتك، قال: الآن ردوه إلى الجنة فردُّوه، سبحان المتفضل المنعم، ياما أحسن عطاه وياما أحلا حلمه ويا ما أوسع كرمه، يغفر ولا يبالي ويصفح عن المسيء إذا أقبل عليه وندم على تفريطه، قال في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف فبي عرفوني». قال العلماء: ماخلقهم إلا ليعرفوا ما الرسل والأنبياء، يُعرفونهم شُكر باريهم وأمر بها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وجعل لهم موقف عرفات حيث قال: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم) وقال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً»، الحمد لله، الله يدخل المسيء في بركة المحسن، ويرفعنا إلى أوج المعالي وإن كنا مقصرين.

يارب مامعنا عمل ... وكسبنا كله زلل
لكن لنا فيك أمل ... تحيي العظام الرامه

بلغتكم قصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم سار يسأل أحد العلماء: هل له من توبة وقد قتل تسعاً وتسعين نفساً، فقال: لا، فقتله ثم سار إلى عالم آخر يسأله

فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة، سِر إلى محل كذا وكذا فإن بها أُناساً يعبدون الله فاعبده معهم وتُب إلى ربك يغفر لك ويقبلك، فسار فلما كان في أثناء الطريق توفي، فاختصمت فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرّحمة نحن أحق به جاء تائباً، وقالت ملائكة العذاب: نحن أحق به، فخرج بينهما مَلَك في صورة حكم عدل بينهما، فقال: اذرعوا الأرض التي بينه وبين القوم الذين يعبدون الله وبين المحل الذي أتى منه، فذرعوه فوجدوه إلى الأرض التي بها القوم أقرب «وفي رواية» فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي وإلى هذه أن تباعدي. شوفوا اللطيف الحليم الرؤوف الرحيم، عاد أكبر من هذا الذنب قتل النفوس بغير حق إيش عندهم من ذنب له قتلهم على غير طريق، وعاد المولى به رؤوف رحيم، أوحى الله إلى الأرض هذه تقرّبي وإلى الأخرى تبعّدي، آه العطا الوافر، آه الكرم الجزيل، الله لا يخيب أمل آمل ولا يضيع عمل عامل، رحمته مبسوطة في الوجود كله على العاصي والمطيع والمحسن والمسيء، قال الله تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) عاد كيف تعصيه وهو يتودد إليك بالنعمة ويتحفك بالتحف الجزيلة، ما عوّدك إلا كل جميل، يا خسارتك يا نحسك ويا حسرتك.

كيف تعصي الذي من نطفة جلّ سواك ... ثم غذّاك بإحسانه ونمّا وربّاك

أيّها الغافل استيقظ ومهّد لمثواك

انتهوا عما نهاكم الرسول عنه (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً

عَظِيمًا) حافظوا على الخيرات واحضروا مجالس الخير، شوها ما تجتمع أُمّة من المؤمنين إلّا وفيهم عظيم لو قال للجبل زِل لزال، واسمعوا الوصايا واعملوا بها والقوا إليها الأسماع، كانوا السابقين يحافظون على مجالس الخير ويعملون بما يسمعون ولكن أين هم، وأين كاهم، أين أهل النفوس الأبية والقلوب العلية، أين أهل الآذان الواعية، أين طلاب الآخرة، اقبلوا على العلم الشريف، شوه اندرس في ذا الوقت القريب، ألا إنه انمحى أثره، تدخل المسائل ما يحصّلون حد يفتي فيها، الله يرد علينا ما ضاع من هدي السلف الصالح وسِيَرهم ومآثرهم وأخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم وأذواقهم ومشاربهم يا خير أوجه وجوههم (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) يا خير وقت وقتهم مر على صفا وطيب، من كاهم بايجتهد، من كاهم بايعمل لأجل يحمد المنقلب، ما الدنيا إلّا مر، مرّوا وباغر نحن كاهم، إلّا أنهم أحبوا المنقلب ولقاء الله يوم معهم أعمال صالحة ووجوه بيض، ونحن كرهنا المنقلب ولقاء الله يوم وجوهنا سود ولا معنا أعمال صالحة، هذا مصير الدنيا أولها المهد وآخرها اللحد (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ) ولا تتعدوا الحدود (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يظلم الإنسان نفسه في شيء حقير، ما يفكر ليوم العرض الأكبر يوم الحساب على النقير والقطمير «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، واعلموا أن كل امرئ على ما قدّم قادم وعلى ما خلّف نادم» (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) قبل (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ) (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى

الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وكيف لا يرى الظالم وهو مطلع على هواجس السرائر وخفيات الضمائر ويعلم السر وأخفى، فكروا واعملوا للمنقلب، شوها نار جهنم (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ) (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) قال الإمام الغزالي: لا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله بالجوارح السبعة وهن: البطن واللسان والأذنين والعينين واليدين والرجلين والفرج، وأعظم من ذلك الغيبة: وهي أن تذكر أخاك المسلم بما يكره، قال العلماء: ولو كنت صادقاً، والنميمة: وهي نقل الكلام بقصد الفتنة لا بقصد الإصلاح، استسقى نبي الله موسى بأمته فلم يسقوا، فقال موسى: استسقينا فلم تسقنا، فقال الله تعالى له: لا أسقيكم وفيكم نمام، فقال: يارب دُلّنا عليه حتى نُخرجه من بين أظهرنا، فقال الله له: أنهاكم عن النّميمة وأكون أنا النمام، فخرج موسى إلى بني إسرائيل فقال: من كان منكم نماماً فليخرج، فبعد مدة طلعت سحابة وسُقوا فقال: يارب كيف سقيتنا ولا خرج منا أحد، قال الله له: إنه تاب.

والحذر من الكلام على أولياء الله تعالى وعباده الصالحين، شو من تكلم عليهم بسوء ممقوت، ومعنى المقت البغض والطرد عن الله، قوم (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)، لهم ما يشاؤون عند ربهم، قال الشيخ عمر بامخرمة:

«ماجزا من تحب إلا كما قيل يحتب»

وإيّاكم والرّبا، فقد جاءت الآيات الكريمة بتحريمه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده

وكل من أعان عليه» وكم من آيات كريمات وأحاديث محكمات وردت بتحريمه والتحذير من شؤم عاقبته الوخيمة، وكذلك الأيمان الكاذبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم «إياكم واليمين الغموس» والغموس لي تغمس صاحبها في النار، آه فائدتك تبيع دينك بدنياك عرض فاني، لا تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: (اشْتَرَوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً) (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة) (وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّه) .

والحذر الحذر من الكذب والفجور فإنه ديدن من لا خلاق له في الآخرة قال الله تعالى: (إنَّمَا يفتري الكَذِبَ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّه وأولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُون) وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليكذب المرة أو المرتين حتى يُكتب عند الله كذَّاباً» وفي الحديث الآخر «إذا كذب المؤمن نُكت في قلبه نكتة سوداء حتى يَسْوَدّ القلب ثم يُطْبَع عليه، فذلك هو الرّان» وقوله تعالى: (وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَاذِبِين) .

وإيّاكُمْ وَالحَرَامَ فقد ورد: «أن من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى عَلِم أم لم يعلم، ومن أكل الحلال أطاعت جوارحه شاء أم أبى عَلِم أم لم يعلم» ولم يقبل الله له صوماً ولا صلاة، «ومن غصب ثوب مسلم لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه بعض ذلك الثوب»

حافظوا على امتثال الأوامر واجتناب المناهي، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «تركتكم على المحجّة البيضاء» الطريق البتية التي لا عِوَجَ فيها ولا أمتا، من اهتدى بهدي حبيبه سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ما يندم ولا يزل به القدم يوم الفزع الأكبر، قال الله: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَة) (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَق

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) (نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) هذا لمن خالف النبي صلى الله عليه وسلم، اعتقوا أنفسكم من النار «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، واعلموا أن كل امرئٍ على ما قدَّم قادم وعلى ما خلَّف نادم»، شو كم قادمين على يوم طويل، يوم تشيب فيه الولدان يوم الغرق يوم الحرق يوم العرق منا يسيل يوم تشهد الأعضاء، قال الله تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) عاد حد با يعتبر أو عاد حد با يدَّكر أو قد غُلق الرهن بما فيه، كلَّت الألسن من التذكير، كل يوم وكل ساعة المذكر يُذكِّر والواعظ يعظ والخطيب يخطب والداعي يدعو (فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) شو يوم القيامة بانها فتون في النار والنبي صلى الله عليه وسلم با يقول: أُمَّتي أُمَّتي، با يُقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك «إنكم لتتهافتون في النار وإنِّي لآخذ بحجزكم» يا خير رب معنا، يضاعف لنا الأعمال إلى سبعمائة ضعف إلى ما لا نهاية، الأصل أنك تُقبل عليه، وإذا همَّيت بالحسنة ولم تعملها كتبها لك حسنة. فإن عملتها كتبها لك عشر حسنات، وإذا همَّيت بالسيئة ولم تعملها لم يكتبها عليك، وإن عملتها كتبها سيئة واحدة، وإن استغفرت منها وتبت محاها عنك، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أذنب العبد ثم تاب يقول الله: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب غفرت لعبدي، ثم أذنب وتاب، يقول الله

عز وجل: «عَلِم عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب غفرت لعبدي، ثم إذا أذنب وتاب يقول: فليفعل ما شاء» ياخير رب شو تحنُّنه على عبيده وتعطفه عليهم، يغفر لهم الذنوب الكثيرة.

وقد قال الله في الحديث القدسي: «إذا تقربَ العبد إليّ شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، وإن تقرب مني ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» الأصل أنك تقرب إليه قليل هو بايتحفك بعطاياه الجليلة وهباته الجزيلة وموائده الجميلة.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن اللَّهَ يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل» آه العطا الكبير الرباني والفضل الرحماني ومكتوب عنده فوق العرش «إنّ رحمتي سَبَقت غَضَبي».

لا تبعد من ربك، تقرَّب إليه بالأعمال الصّالحة والعبادة والإقبال على الآخرة والزهد في الدنيا وعدم الإغترار بها وطلب العلم والصدقات وصلة الأرحام والأخلاق الحسنة لي علّمها نبيه صلّى اللّهَ عليه وسلم بقوله: (ادْفَع بِالّتِي هِيَ أَحْسَن السيئة) وبقوله: (وَلا تمدنّ عينيك إلىٰ مَا متّعنا به أزواجًا مِنهُم زَهرَة الحيَاة الدُّنيَا لِنَفْتِنَهم فيه وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيرٌ وَأَبْقَىٰ، وَأْمرْ أَهْلَكَ بِالصّلاةِ وَاصطَبِر عَلَيهَا لا نَسْأَلكَ رِزقًا نّحنُ نرزُقكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتّقوَىٰ) قالت سيدتنا عائشة رضي اللّهَ عنها: «كان خُلُقُه صلى اللّهَ عليه وسلم القرآن» تخلّق بهذه الأخلاق إن بغيت تحشر تحت لواء حبيبك محمّد صَلى اللّهَ عليه وسلم وتحشر في زمرته وتدخل في غِماره واقتد بخلفائه الذين ما خالفوه ولا مالوا عن طريقته، اقتدوا به قولاً وفعلاً وعملاً

وعادة وعبادة وعلما، قال الحبيب عبدالله الحداد:

«واقتد هداك الله بالأسلاف»

وطريقتهم سهلة جم ما فيها صعوبة، جمعها الحبيب علي بن محمد الحبشي في بيت واحد بقوله:

وهاهي أعمال خلت عن شوائب   وعلم وأخلاق وكثرة أوراد

وكم خولنا من نعم لا تحصى وأيادي لا تستقصى، أعظمها نعمة الإيجاد، أوجدك من العدم، وخلق لك الأنف تشم به وتخرج منه الأذى، والعين تبصر بها وتتفكر في مخلوقاته العظيمة، والأذن تسمع بها، وزين صورتك، وأعطاك العقل أي الجوهرة التي لا قيمة لها وميزك على سائر الدواب، وخلق فيك اللسان تنطق بها.

تفكر في النعم التي لا قيمة لها، لو شكرت ربك مدة عمرك كله ما قمت بشكر بعض نعمه، ثم زادك حباك بنعمة الإسعاد، ثم بنعمة الإسلام، أسعدك بحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، وأنعم عليك بالدين الإسلامي والملة الحنيفية ويسره عليك، وأرسل لك أكرم الرسل وأفضل الخلق وأعظمهم مكانة عنده وصاحب الحوض والشفاعة واللواء المعقود سيد الناس كافة، قال في البردة:

فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ   ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمِ
محمدٌ سيد الكونين والثقلين   والفريقين من عُرْبٍ ومن عجمِ
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته   لكل هولٍ من الأهوال مقتحم
بُشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنا   من العناية ركناً غير منهدم

لما دعا الله داعينا لدعوته ... بأكرم الخلق كنا أكرم الأمم

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ياخير نبي صلى الله عليه وسلم، كنا بسببه خير أمة أخرجت للناس، لكن إن اتبعناه واقتدينا به واهتدينا بهديه واقتفينا أثره وسرنا في كل دحقه دحقها.

وهديه صلى الله عليه وسلم هو الهدي القويم والصراط المستقيم (دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إبراهيم) ومضمونه التقوى أي تقوى الله في السر والنجوى، شو من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم بايحصّل لي بغاه وبا يفوز في دنياه وأخراه وبايسعد (يَوْمَ تَجِد كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ).

احذروا ما حرّم الله عليكم وانتهوا عن مناهيه (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) القرآن يحذر نحن، والسنة تنذر نحن، والداعي يدعو نحن، والواعظ يوعظ نحن، ولكن (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى)

قال الحبيب عبدالله بن علوي الحدّاد:

إن المواعظ لا تغني أسير هوى ... مُقفَّل القلب في حيدٍ عن السَّنن

تمر علينا الساعات والأيام ولا عملنا فيها حسنة. الله يحفظ من أن تكون ترة علينا وحسرة، وعاد أكبر منها إذا عملنا فيها محظور، غايتك يا الإنسان تصلّي الفرائض والرواتب بلا حضور ولا خشوع ولا تدبر ولا تأمّل، قال سيدنا الحسن البصري: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي للعقوبة أسرع، تكذب على ربك تقول فيها:

«وجّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض» ووجهك مشغول بشيء ثاني، يامتاع يازوجة ياولد ياخرقه، ومثل هذه لاتنفع من أدنى شيء يضرك. لآه ما تصرف وقتك فيما يُرضي ربك، تغانم العمر هو إلا ساعات قريبة (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)، «الموت أقرب غائب ينتظر» جالس مابكْ شي ساعة وقدك في النزع وباتقول: (ياحسرتى على ما فرّطتُ في جنب الله وإن كنتُ لمن الساخرين) باتقول آه لربك ولنبيك صلى الله عليه وسلم ولسلفك الصالح إذا عُرضت عليهم باتسوّد وجوههم باتخزى على نفسك (يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية) يفرح الإنسان بمرور الأيام والساعات، وهي إلا مرور أيامه وعمره المحسوب عليه، ماهو داري أنها عليه أنفاس وساعات معدودة:

يَسُر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

كل نَفَس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها تضيعها في لا شيئ. ليه ما تعبد ربك، ليه ما تسبحه، ليه ما تقدسه، ليه ما تفكر في مخلوقاته وفي مصنوعاته ترى العجب العجاب وتعلم أن الله تعالى خلقها لفائدة بل لفوائد جم. تسبح الله وتحمده فيها، قال الله تعالى: (وإن مِن شيءٍ إلا يسبّح بحمدِه ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقال نبي الله سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: «إنَّ بعض الطيور يقول لِدُوا للموت وابنوا للخراب، وبعضهم يقول: ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت».

وقال: نبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعد ما لَطَم عزرائيل وعَوَر عينه، قال له الله جلّ وعلا: قل له ضع يدك في جلد ثور وكل

شعرة تحت يدك بسنة زيادة في عمرك، قال له موسى: وبعد هذا، قال: الموت قال: إذا كان الموت فمن الآن، فقبض روحه، والآن كلنا غافلون عن مصرعنا وعن المنقلب، كأن الموت على غيرنا كُتِب، وكأن الحق على سوانا وجب، وكأن الذين نُشَيّع من الموتى سَفْرٌ عمّا قريبٍ إلينا راجعون نُبوِّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، الله يجعل لنا واعظا من عند أنفسنا، ويُعرِّفنا الحق حتى نعمل به، ويعرِّفنا الباطل حتى نتركه، ويهدينا إلى سواء السبيل، ويرشدنا ويدلنا على ما فيه نجاتنا.

اللهم اهدنا بِهُداك واجعلنا ممن يسارع في رضاك، ولا تجعلنا ممن خالف أمرك وعصاك. اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شرَّ ما قضيت.

قال سَيّدي الجد القطب عمر بن سَقّاف: إذا أتى الإنسان بالقنوت ينبغي له أن يأتي به بلفظ الجمع، وينوي بذلك عافية الأبدان والأديان وجميع ما يتعلق به جميع المسلمين والمؤمنين، ولا ينبغي له أن يأتي بلفظ الإفراد لما فيه من تحجير رحمة الله تعالى وسعة عطفه على خليقته وعبيده وتحننه عليهم، لأن المولى جل وعلا يحبهم يتعطفون له ويتحننون إليه ويلجؤون إليه بأكف الضراعة والابتهال، وهو يا يقبل دعاهم ويا يعطيهم مطلبهم، قال الله عز وجل: (ادعُوني أستَجب لكُم) (وَإذا سَألكَ عِبادِي عَنِّي فإنِّي قريب أجيب دَعْوة الدّاعي إذا دَعَان) (هُو الحيّ لا إلهَ إلا هُو فادعُوه مُخلِصِينَ لَه الدِّين) (أمَّن يُجِيبُ المضطرّ إذا دعَاه ويَكشِفُ السُّوءَ) قال صلى الله عليه وسلم: «يُستجاب

لأحدِكُم ما لم يَعْجَل، فيقول: دعوت فلم يستجب لي» وسبب العَجَلة ضعف الإيمان وعدم الثقة بضمون الله عز وجل، وإلاَّ فالمقدَّر كائن، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يكثر همُّك ما قُدِّر يكون» آه فائدتك من الاعتراض على القضاء والقدر، تكسب لك ذنوب وإثم فيما لا طائل تحته، اعمل لك شيء يعود نفعه عليك، لا تكسب لك شر ولا تكون أوقاتك مهملة تصير عليك ترة أي حسرة وندامة.

قال الإمام الغزالي في مراقبة النفس: مُحتَّم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وخطراتها، فإن كل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة لا عِوَض لها، يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز التي لا يتناهى نعيمها أبد الآباد، فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل، فإذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي له أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس، كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته، فيقول للنفس الأمارة مالي بضاعة إلاَّ العمر، ومهما فني رأس المال وقع اليأس عن التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم عليَّ به، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل صالحاً، فاحسبي أنك قد توفيت ثم رُددت، فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم، فإن كل نَفَس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها، واعلمي يا نفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وقد ورد في الخبر: «أنه ينشر للعبد في كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة، فيفتح له معها خزانة

فيراها مملوءة نورًا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فينا له من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لَوْ وُزِّعَ على أهل النّار لأدهشهم ذلك الفرح عند الإحساس بألم النار، ويُفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة ويفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي السّاعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قُسِّمَ على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمهم، ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسرُّه ولا ما يسوءه وهي السّاعة التي نام فيها أو غفل واشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غُبن ذلك ما ينال القادر على الرّبح الكثير والمُلك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه وناهيك به حسرة وغبناً » وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره إلى آخر ما قاله رضيَ اللهَ تعالى عنه وأرضاه .

وسمعته رضي الله عنه مرة يتكلم بكلام طويل نفيس لم أحفظ منه إلاّ قوله: ويكفي المتعظ آية من كتاب الله أو حديث من سنة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم أو بيت شعر كما قيل .

أما الآية فهي قوله تعالى : (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ) والحديث قوله صلى الله عليه وسلم: « ما قُدِّر لك فسيأتيك وما لم يقدَّر فلا » الحديث بلفظه أو بمعناه، والبيت قوله :

من حطّ ثقل حموله بباب مولاه استراح   إن السّلامة كلها جُعلت لمن ألقى السّلاح

وَقَال رَضيَ اللهَ عَنه على قوله صلى الله عليه وسلم: « اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك

قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك»، قال: هذا الحديث فيه ترتيب:

الأول: الشباب قبل الهرم، ويشمل العقل والذكاء والفطنة والحجا والتدبير كل ذلك قبل الهرم، حتى لا تندم حيث لا ينفع الندم ولا تفيد الحسرة، قال الله تعالى (يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) (يَوْمَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا).

وبعده الصحة والعافية وماضاهاها قبل الألم والأسقام وتحوّل الأحوال والبلاء والبلايا والأمراض وجميع أنواع البلاء، مازلت صحيح الأعضاء تغانم الصحة قبل المرض.

وبعدها الفراغ قبل الشغل قبل أن يشغلك الأهل والمال والولد، قال الله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) اجتهد مازلت فارغ البال غير مشدوه حتى تشكر في المستقبل، وقبل لا تأخذك الغفلة، وقبل الأكدار والعلائق وسائر المشوشات والموحشات.

وبعده الغِنى قبل الفقر، لا تأخذ الدنيا بناصيتك وتملكك بزمامها حتى لا تقدر على تركها والزهد فيها، وقبل ما تجري بك حوادث الأيام وتُشتت بالك وتأخذ قلبك وتتركك بلا لُب تسعى كالمجنون.

وخامسها: حياتك قبل موتك، قبل أن تقول ياليتنا نُرد فنعمل غير الذي كُنَّا نعمل، قبل ما ترى سوء ما قدّمت وجزاء ما عملت وذنب ما فرّطت (قَبْلَ أَن تَقُولَ

نَفۡسٌ يَاحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) قبل أن تقول لخزنة جهنم: (ادۡعُوا رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ) قال الحبيب عبدالله الحدّاد:

واعلم بأنك عن قريبٍ ميتٌ ... فاذكر مماتك واخش سوء المصرع

واذكر بأنك عن قريبٍ صائرٌ ... في بطن قبرٍ من فلاةٍ بلقع

وفي الحديث الآخر «اعمل لدنياك كأنك لا تموت أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» أي اعمل عملاً تكتب به من الصديقين الفائزين في معادهم ومنقلبهم ورجوعهم إلى مولاهم، وأيقن أنك عن قريب راحل عن هذه الدار إلى دار القرار، وتفوز بالجنة وتكون في جوار الكريم الغفار الكبير الجبار، وجوار المصطفى المختار، صلى الله عليه وسلم وآله الأطهار، آناء الليل وأطراف النهار، أو تصير إلى النار في جوار فرعون وهامان ومن غَضِب عليهم القهار، وتُسَوِّد وجه نبيك قدوة الأبرار، وإمام أهل الله الأخيار صلى الله عليه وآله وسلم، اختر لنفسك تحب تكون من أي فرقة وفي أي محل، إلى الجنّة أو إلى النّار، اعمل لما اخترته حتى تبلغه.

جاء واحد يسأل السيّد علي بن أحمد الرُّوش الحبشي عن شُرب التنباك أهو حلال أم حرام، فقال له السيد: أمّا حبيبك علي بن أحمد الرُّوش ما يعرف ولا يقرأ إلاّ أنه با يقول لك شُف السيد محسن بن علوي وعبدالرّحمن بن علي ومحمّد ابن علي وأمثالهم ما يشربونه، وأمّا عزّان بن قمه وفلان بن فلان من أمثاله شفهم يشربونه، وأنت مخيّر إن استحسنت حالة حبيبك محسن بن علوي وأمثاله اتركه، وإن استحسنت حاله عزّان بن قمه وأمثاله اشربه.

أوزن الأشياء بميزان عقلي لك وعليك، وتحقق أن ما هُو لك لم يكن تخطئك، وما أخطأك لم يكن يصيبك، والأشياء بيد الله، والمقضي كائن، ولابد يصلك ماقدّره لك وما لم يقدّره ما با يصلك، لكن الله جلّ وعلا ربط الأسباب بالمسببات، لا تقول كذه مقدّر لي إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، بل اعمل على قدر وسعك وطاقتك واجتهد واقبل على ربك بالأعمال الصّالحة (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) وبا تعرض أعمالكم على من يعلم السر وأخفى، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين العلماء بالله العارفين العاملين بما أوتوا من علم وعمل وزهد وتقوى وصدق وورع وأعمال صالحة خَفِيَّة وصدقات في السر والنجوى وتوبة كل يوم وتجديد نية كل ساعة وإغضاء العين عما لا يحل النظر إليه (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) ومجاهدة النفس الأمّارة بالسّوء في جميع المعاملات الحسنة والنيات الصادقة والمكابدات الشاقة، وأنت احرص على هذا حتى تلحق بهم، وحتى تصير مُقرّب إلى مَلِك الملوك، وتكون من المربّين أهل السير والسلوك، وبهذا تُدرك جميع ما دَرَج عليه أسلافك الكرام وما فاتك عنهم من الأسرار العظام وخلّفك عنهم في جميع الأمور، قال البوصيري:

فورى السائرين وهو أمامي سُبلٌ وعرةٌ وأرض عراءُ

ويقول الإمام الحدّاد :

وقد درج الأسلاف من قبل هؤلاء ... وهمّتهم نيلُ المكارم والفضل

لقد رفضوا الدنيا الغرور وما سعوا ... لها والذي يأتي يُبادر بالبذل

فقيرهم حرٌ وذو المال منفقٌ ... رجاء ثواب الله في صالح السُّبل

لكن لمَّا اتصفوا بهذه الخِلال وتحققوا بالمزايا العظام، تنزل الرحمة عند ذكرهم ويستجاب الدعاء ببركاتهم، ويغمر المنزل وأهله إذا ذُكروا الأنوار والأسرار والسّكينة والتؤدة والوقار والإجلال والمهابة، قال الحبيب عبدالله الحداد في هذه القصيدة :

إلهي بحق القوم مُنَّ بتوبة ... من الذنب تغسلنا بها أبلغ الغسلِ

أغث يامغيث المستغيث قلوبنا ... بغيث هدىً يحيي القلوب من المحلِ

وفي الأخرى في مدح السّادة أهل البيت يقول :

ربِّ فانفعنا ببركتهم ... واهدِنا الحسنى بحُرمتِهم

وأمتنا في طريقتِهم ... ومعافاةٍ مِن الفِتن

وسفينٌ للنجاة إذا ... خِفت من طوفان كل أذىٰ

فانج فيها لا تكون كذا ... واعتصم بالله واستعن

أهل بيت المصطفى الطهر ... هم أمان الأرض فادَّكر

شُبِّهوا بالأنجُمِ الزهر ... مثل ما قد جاء في السنن

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن

تخلّف عنها غرق» وكذلك العلماء بالله من اتبعهم واقتدى بهم نجا ومن تخلّف عنهم وتركهم ضلّ وغرق وخسر خسرانًا مُبينًا وباء بغضب من الله وفاز برضا الشيطان، وبلّغ الشيطان ما أمّله فيه، والآن قلّت المجاهدات، قال الحبيب عبدالله الحدّاد في وصف السّادة الأبرار:-

لقد رفضوا الدنيا الغرور وما سَعَوا لها والذي يأتي يُبادر بالبذل

وأمّا الآن اقبلوا على الدُّنيا الغرور وغرتهم زهرتها وزينتها، قال الله تعالى: (فَلَا تَغرَنَّكُمُ الحيَاةَ الدُّنيَا وَلَا يَغرَنَّكُم بِاللَّهِ الغَرُور) (وَمَا الحيَاةُ الدُّنيَا إلَّا مَتَاعُ الغُرُور) قال الحبيب عبدالله الحدّاد:

فلا يغرنك ما شاهدت من دعةٍ مَعْ مؤثريها بكثر الحرص والتعبِ

فلا يغرك ما منّت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل

والحديث الآخر في وصف أهل البيت الطاهر «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب النجوم أتى أهل السّماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يوعدون إلى آخره».

وَقَال رَضِيَ اللَّه عَنه: جَرَت مناظرة بين الإمام الغزالي والزمخشري وكانت الغلبة مع الغزالي، حتى إنه أرسل إليه أبياتًا مطلعها:

قل لمن يفهم عني ما أقول قصّر القول فذا شرح يطول

أنت أكل الخبز لا تعرفه كيف يجري فيك أم كيف تبول

إلى آخره، ثم قيل للغزالي كيف وجدت الزمخشري، قال: وجدته طودًا شامخًا

من علم لولا أن اللهَ نصرني عليه، وقيل للزمخشري كيف وجدت الغزالي، فقال وجدته طويلب علم لولا أن اللهَ نصره عَلَي.

وَقَال رَضيَ اللهَ عَنه: لَمَّا بلغَت مولانا الحبيب علي بن محمد الحبشي قصيدة السيد العارف بالله شيخ بافقيه التي مطلعها:

كم في سِماران من خُرَّد وفيها غواني ... مقطبات الحزام

قال الحبيب علي معارضًا له كالجواب:

الله يهنِّيك يا شارب كؤوس الدّنان ... منَّا عليك السَّلام

لا يلاحظ الإنسان المعنى الظاهر، إنما الصوفية يُكَنُّون بالغواني والمحبوبات كقول الشيخ عمر بامخرمة:

يا فضيضة غنيمة مَرْوُهَا يندر النار ... يندر النار بالتزمير من غير مزمار

وكثير في ديوان الشيخ عمر من أمثاله، بل أغلب ديوان الشيخ عمر، وكثير من شعر السَّادة الصوفية كذلك، والقصد المحبوب الأعلى وهو الحق جل وعلا أو الحضرة المحمدية والخلاصة المصطفوية صلى اللهَ عليه وسلم، وقد قيل في هذه التشبيهات

عباراتهم شتَّى وحُسنُك واحد ... وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

منهم من يكني بلبنى، ومنهم من يكني بحسنى، ومنهم من يكني بسلمى، ومنهم من يكني بليلى، والمرجع والمحط واحد.

ثم ذكر رضي اللهَ تعالى عنه السيد أحمد الهدّار فقال: كان ذلك السيد من الأولياء المجاذيب صاحب كشوفات خارقة، ويُحكى أن له صاحب من السَّادة آل البيض

بالشحر، وكان صاحبه صاحب متجر كبير، وفي سنة من السنين وقع عليه فوات كبير في متجره، ولا وجد حيلة ولا سبب يرد عليه مافات، فقال ما معي إلاّ شيخي أحمد الهدار بالاعزم على الخروج إليه، ثم عزم على الخروج إلى عينات وشيخه أحمد الهدّار ساكن فيها، فما خرج من بيته إلاّ وقد السيد أحمد يُراعيه وينظره في مشيه، لمّا بلغ جبل عينات قال السيد أحمد: باخرج باتلقّى السيد البيض خرج من الشحر قاصداً إلينا، فخرج يتلقاه إلى الوادي كشفاً منه حتى أدركه، فحينما رآه السيد البيض خرج عن راحلته وتعجّب جداً حيث وجد السيد أحمد في تلك الفلاة، فلما قصده للمصافحة قال له: قف ما شي مصافحة، جيت بغيت الخامّة، شي معك رادي هاته، فأعطاه رداءه ثم ولّى ظهره حصاه وطرح للسيد البيض سلحة كبيرة في الرادي أقدره الله عليها وطوى الرادي وصافحه وأعطاه إياه وقال له: ارجع إلى مكانك ولا تفك الرّادي حتى تصل بيتك، فلما وصل بيته فك الرّادي فإذا ما فيه انقلب سبائك ذهب، فعجب السيّد غاية العجب.

ثم قال سيدي رضي الله تعالى عنه: يتفكر الإنسان الملهوف على الدنيا قاطب قلبه قفاها، شوها مثل هذا، ولو فيها خير لما امتنع منها النبي صلى الله عليه وسلم حين قالت له جبال مكة: إني ذهَب لك يا محمد فأبى، ولو فائدتها أكثر من نفعها لاختارتها البعوضة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»، ولو رجحت عند الله لاختارها لأنبيائه وأوليائه وأصفيائه، ذلاّ انه ياسفيه تُحب وتجمع حلالها وحرامها

ولا تفكر في حسابها وعاقبة أمرها وما يصير صاحب المال إليه. قال سيدي الحبيب عبدالله الحدّاد:

تفكّر في فناها وفي كثرة عَناها
وفي قلّة غِناها

فطوبى ثم طوبى لمن منها تحذر وطلقها وفي طاعة الرحمن شمّر

وقال الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر في هدية الصديق:-

حلالها حساب حرامها عقاب

ثم قال سيدي رضي الله تعالى عنه: ومرة اشترى بعض السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم مُهرة، فاستدعاه السيد أحمد الهدار وقال له: إن بغيت الكرامة باوصّيك إلى عند صاحب لي بتريم، وبغيتك تسير هذه السّاعة وتركب على فرسك وتخُب في الطريق غاية مشي المهرة وترد الخبر حالاً ولا تتوقف في الطريق ولا تتعدى مكان ثاني، فامتثل أمره وسار ومشى على فرسه في تلك السّاعة وكلفها مشي فوق مشيها المعتاد حتى وصل تريم وقصد صاحب السيد أحمد، وإذا بالسيد أحمد قائم في ضيقة صاحبه، فقال له: كلّفتنا علم أحمد وامتثلت أمرك وتجي انته بنفسك إلى عند صاحبك وأخذه العجب، قال له: بغيتك تدري أيات أقوى فرسي أو فرسك.

ثم قال له: هيا بغيت الكرامة منك، قال له: آه بغيت، قال له السيد: المهرة حامل وبغيتها

تجيب مهرة، قال له: ياولدي إن في بطنها حصان وقبض خصيتها في بطنها بيده، وقال له: تعال شفه هذا ظاهر، قال السيد: وإن كان، فلما ألح عليه قال له: لزقنا المهرة بالحصان وبا تجيب اثنين مرة.

ثم بعد حين ولدت اثنين تصديقاً لما قاله الحبيب أحمد، وذلك من الغريب ما تجيب المهرة إلا واحد، ولكن الأولياء (لَهُم مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِم) وعاد لهم أكبر من هذا وهو رضاه عنهم ومحبته لهم والنظر إلى وجهه الكريم، كما قال الشيخ عمر بامخرمه:

« مَا جَزَا من يُحب إلا كما قِيل يُحتب »

(رَضِيَ اللّه تعالى عنهم ورضوا عنه) (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) والآية الأخرى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ).

وكم من آيات بيّنات ذكرهم الله فيها وأحاديث كثيرات أثنى عليهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبشّرهم فيها، أمر نحن بالاقتداء بهم، لأنهم اقتدوا بالرسول في أفعاله وعباداته وعلومه وأعماله وأقواله وحركاته وسكناته بقوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) قال الحبيب عبدالله الحدّاد: -

وجاهد تشاهد واغنم الوعد بالهدى هدىً نصُّه في العنكبوت بآيـة

أي هذه الآيـة.

ثم قال سيدي أيضاً: وكان هذا السيد «يعني أحمد الهدّار» إذا عارض امرأة في الطريق قبصها كائناً ما كان، فقال بعض السادة لزوجته: إن خليتي عم أحمد يقبصش لا تلومين إلا نفسش، وحذّرها وأنذرها، ففي يوم من الأيام خرجت من دارها وإذا بالحبيب أحمد يمشي قفاها، فلما رأته أسرعت في مشيها، وإذا بزوجها عارضها والسيد أحمد يطردها حتى أدركها فقبصها سبع قبصات، وقال لها: على خزا زوجش بسبعة عيال، فقال لها زوجها: إذا كانت القبصة بولد حتى بغيت أكثر من هذا.

وقال رضي الله عنه في بلد عينات بمحفل يُقرأ فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم أقيم من أجل سيدي سنة ١٣٥٣ قال بعد المقام: ما خلق الله الوجود إلاّ لشرف أكرم مولود وخير عباد الله وأفضلهم على الإطلاق، كما قيل:

وأفضل الخلق على الإطلاقِ نبيُّنا فمِل عن الشِّقاقِ

الإنسان الكامل سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، رزقنا الله الاتباع له والاهتداء بهديه والسلوك على منهاجه القويم واللحوق بأتباعه أولي الصراط المستقيم وحزبه المفلحين أولي السواد الأعظم والفرقة النّاجية، عسى بجاهه عند الله يمطر على القلوب بوابل صيِّب من عنده، حتى تتأهل لعبادة مولاها والاتباع له ولا سبيل إلى اتّباعه إلاّ بالعمل فيما عمله وما أقدم عليه والتأخر والإحجام فيما تأخر وأحجم عنه، ولا بايفرح مننا

النبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا اتبعناه وامتثلنا أمره، فإنه كل يوم تعرض عليه أعمال أمته وكل ساعة وكل لحظة، وهو كما وصفه المولى جل وعلا بقوله: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) بنا كما قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) والآية الأخرى (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا).

وقال في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «إنكم لتتهافتون في النار وإني لآخذ بحجزكم» أي - بعصركم - وتتهافتون في النار بظلم النفس الذي يكرهه الله ويغضب منه، قال الله تعالى: (وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) كما قال سيدي عبدالله الحداد:-

ظلمتَ وما إلا لنفسك يا فتى ... ظلمت وظلم النفس من أقبح الوصف

وكثرة المعاصي بسائر أنواعها، ولكن نرجو كما قال سيدي القطب علي بن محمد الحبشي:

عسى غافر الزلات من ذا البلا يشفي ... عسى واسع الألطاف يدرك باللطف

وعلى الإنسان يقيم على نفسه الميزان ويتذكر ما فرّطه من أيامه، من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو خاسر، ومن كان يومه خيراً من أمسه فهو رابح وفائز.

الآن ما تحصّل حد يومه أحسن من أمسه، إن لا كان مثل أمسه الله يحفظ من

أنْ يكون شرًا من أمسه.مايفكرون للمنقلب، كأنهم غافلون عن الموت، وهم كل يوم يشيعون جنازة أوجنازتين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامت، الناطق القرآن والصامت الموت» والحديث الآخر «تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي، وأُنشدُكم الله في أهل بيتي، قالها ثلاثاً» عسى المواعظ تنفع وتثمر وتلقي سبول.

والله الله في التقوى، وهي الامتثال بما به الله أمر، والانزجار لما نهى عنه وزجر، والعمل بما جاء به القرآن وحديث سيد ولد عدنان صلى الله عليه وآله وسلم، بَشَّر وأنذر (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (وبشّر المؤمنين القانتين بالجنة وأنذر غيرهم بشيرًا ونذيرًا) (وبشّر المؤمنين وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ) الله يرزقنا العمل بما جاء به السيد المعصوم حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشي على طريقته، وأهل البيت لا طريق لهم ولا لغيرهم إلا باتباعه (قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) (أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ).

بيّضوا وجه نبيكم محمّد صلى الله عليه وسلم، وعاده بايُباهي بك إذا بيضت وجهه وعملت بما أتى به، مثل ما باها بالغزالي الأنبياء، كما قال سيدنا الحداد:

والحجّة الحبر الذي باهى بـه   أهل النُّبوة خيرُ كلِّ مشفع

وبايفرح منك وبايستنير وجهه إذاجيت على طريقته، قال الله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) إيّاك أحسن لك يوم تبيض وجه نبيك وأهلك

وسلفك الصالحين ويقربونك ويرحبون بك أهلاً بولدي ومرحبًا بإبني ، أو يوم تسوّد وجه نبيك ووجه سلفك وينفونك منهم ، يقولون ماهو ولدي ولا أنا أبوك ولاجدك ، ولا تغرّك الأنساب يوم أبوي كان ، يوم أبوي فعل ، أنا با أدخل في شفاعته ، وإيّات أولى لك يوم تدخل لظْيه وتدخل قفاهم ، قال الله تعالى حكاية عن نوح : (إنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي قَالَ إنّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِح) أو يوم تدخل بجيش عظيم تسحبهم قفاك وأنت مقدّمهم ، قال الحبيب عبدالله الحدّاد :

ثم لا تغترّ بالنّسب　　لا ولا تقنع بكان أبي
واتَّبع في الهدي خير نبي　　أحمد الهادي إلى السنن

وفي الأخرى يقول غيره :

لئن فخرت بآباءٍ ذوي شرف　　لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

لآه ماتتبعهم تخلي النبي صلى الله عليه وسلم يفرح منك وأهلك وسلفك الصالح يفرحون منك ، وتُقبل على مولاك بالعلم والعمل والاجتهاد ، حتى تفوز بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من عَمِل بما عَلِم ورّثه الله علم ما لم يعلم » وحتى تكون من المقربين ، وتقول أخبرني قلبي عن ربي ، وتحظى بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويعلمك المولى عز وجل بقوله : (وَعَلّمنَاهُ مِن لَدُنّا عِلمًا) ، (وَعَلّمَكَ مَا لَم تَكُن تَعلَم وَكَانَ فَضلُ اللهِ عَلَيكَ عَظِيمًا) ، (رَبّي زِدْنِي عِلمًا) .

والتقوى هي ترك المناهي من قطيعة الرّحم وأذيّة الجار وأخذ أموال النّاس بالباطل وإيذاء المسلمين والغيبة والنميمة ، لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة ، وأما حقوق

اللَّه فمبنية على المسامحة، قال بعض السلف وقد اغتابه رجل وأرسل إليه يطلب الحِل منه، فقال له: لا أُحِل ما حرَّم اللَّه، والآخر لمَّا اغتابه رجل أرسل له بهدية وقال له المرسول: هذا جزاك يومك أهديت له حسناتك.

قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأصحابه يوماً: «أتدرون من المفلس، قالوا: المفلس من فات ماله ولا بقي منه شيئ، قال صلى اللَّه عليه وسلم: ليس هذا أعني إنما المفلس من يأتي يوم القيامة وله أعمال وحسنات كثيرة، فيأتي وقد شتم هذا وثلم عِرض هذا وسبَّ هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أُخِذَ من سيئاتهم فوضع عليه ثم قُذِف به في النار». شؤ عاقبته عاده يحمل ذنوب فوق ذنوبه وإثم فوق ما اقترفه ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ آه يجازيك تحمل أوزار غيرك، قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَوْزَارًا مَعَ أَوْزَارِهِمْ﴾ ولا بأس يُنجيك مِن هَذَا إلاَّ طلب العِلم الخَالِص مِن جميع الشوائب مثل العُجب والرِّيَاء والسمعة والكبر، قال اللَّه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهل اللَّه له طريقاً إلى الجنة».

قال الإمام الغزالي: فإن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا، فأنت ساع في هدم دينك وإهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك، فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة، ومعلمك معين لك

على عصيانك وشريكٌ لك في خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق، «ومن أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكًا له فيها»، وإن كانت نيتك وقصدك من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر، فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مَشَيْت، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سَعَيْت، ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيئ أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية، وظاهر وباطن، ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها.

ثم قال بعده: إعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال: رجلٌ طلبه ليتَّخذه زاده إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، فهذا من الفائزين، ورجلٌ طلبه يستعين به على حياته العاجله وينال به العز والشرف والجاه والمال، وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخِسَّة مقصده فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبة خِيف عليه من سوء الخاتمة وبقي أمره في خطر المشيئة، فإن وُفِّق للتوبة قبل حلول الأجل وأضاف إلى العلم العمل وتدارك ما فرط فيه من الخلل التحق بالفائزين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ورجلٌ استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع، ويدخل بعلمه كل مدخل سوء رجاء أن يقضي من الدنيا وطره، وهو مع ذلك يُضمر في نفسه أنه عند الله بمكانة لِاتِّسَامِه بسِمَةِ العلماء وترسُّمه برسومهم في الزي والمنطق، مع تكالبه

على الدنيا ظاهراً وباطناً، فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين، إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين، وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا من غير الدجّال أخوف عليكم من الدجال، فقيل: وما هو يا رسول الله، قال: علماء السوء». وهذا لأنَّ الدجَّال غايته الإضلال، ومثل هذا العالم إنْ صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم إليها بأعماله وأحواله، ولسان الحال أنطق من لسان المقال، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله، إذ لا يستجرئ الجاهل على الرَّغبة في الدنيا إلاَّ باستجراء العلماء، فقد صار علمه سبباً لجراءة عباد الله على معاصيه، إلى آخر ما قاله رضي الله تعالى عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «علماء أمَّتي كأنبياء بني إسرائيل، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وركعتان من عالم أفضل عند الله من سبعين ركعة من جاهل» آه العطا الرباني، عليك الإقبال ولو قليل وعليه العطا الجزيل والملك المخلد، لكنك لا تغتر بعلمك كما قال الغزالي: فيُلقيك في الخسارة العظمى والنكبة الدهمى. وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا مشى العبد إلى طاعة الله كُتُب له بكل خطوة يخطوها حسنة».

وحافظوا على الصَّلاة في الجماعة فإنها من الدِّين بمنزلة الرأس من الجسد وهي عماد الدِّين وقرة عين سَيد المرسَلين حيث يقول: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم

ثلاث: النساء والطِّيب وجُعِلت قرّة عيني في الصَّلاة، الصَّلاة الصَّلاة عباد اللهَ، فإنها تُعرض كل يوم، فإن صلحت وحسنت قُبِلت، وإلاّ لُفَّت كما يُلَفُّ الثوب الخَلِق ويُضرب بها وجه صاحبها».

ثم الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، اللهَ اللهَ فيها، بادروا بإخراجها، وهي إلاّ خفيفة سهلة جم، في الطعام والتمر وكل ما تسنون فيه نصف العُشُر، وإلاّ العُشُر إن كان مَسْقَاه من السيل والنهر، وفي النقد في الخمس والعشرين القرش نص قرش وثمن، ارحلوا إلى عند العلماء واسألوهم، والحمد لله هم اليوم بين ظهرانينا، الأصل إنك تسير إليهم.

ثم الصيام وهو الركن الرابع من أركان الإسلام «للصائم فرحتان: فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه» والحديث الآخر «كل عمل ابن آدم له إلاّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» وتجديد النية واجب فيه كل ليلة يبيِّتها، «إن للجنة باباً يُقال له الريَّان لا يدخل منه إلاّ الصَّائمون».

وحج بيت اللهَ من استطاع إليه سبيلاً وهو الركن الخامس، وزيارة المصطفى صلى اللهَ عليه وسلم قال: «من حجَّ ولم يَزُرني فقد جفاني»، حافظوا على شعائر الدين، قال صلى اللهَ عليه وسلم: «لا صلاة لمن لا جمعة له» والجمعة واجبة علينا معشر الأمة المحمدية، وفيها ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل اللهَ حاجة إلاّ أعطاه إياها، وهي مُبْهَمة في جميع اليوم، وقال صلى اللهَ عليه وسلم: «أكثروا من الصَّلاة على رسول اللهَ صلى اللهَ عليه وسلم والدعاء

وقراءة الكهف يوم الجمعة » .

واحفظوا الجوارح السّبعة من المخالفات وترك المأمورات ، العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل ، لاتسعى برجلك إلى المخالفات ، اسع بها إلى مايُرضي رب البريات ، وكذلك بقية الأعضاء ، العين تزني وزناها النظر إلى ماحرّم الله ، وزنى الأذن السمع إلى ما لايحِل ، وزنى اللسان الغيبة والنميمة وكل كلام محرّم ، وزنى البطن أكل الحرام ، واليد مدّها إلى المخالفات والرجل المشي إلى المعاصي .

قال الإمام الغزالي في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ أي النّار لايتعين لتلك الأبواب إلاّ من عصى الله بالأعضاء السبعة المتقدمة .

إئتمروا بالأوامر وانتهوا عن المناهي واتقوا الله بالعمل بالطاعات وترك المعاصي والمنكرات ، أما الطاعات كلٌّ بايقدر لها ، وأما ترك المعاصي مايقدر لها إلاّ الصديقون المقربون : « أولئك ورّاثُ النّبي ورهْطُه » ،

الله يُلحقنا بهم ويقرّب إلينا كل بعيد ولايخلفنا عنهم ، اتّبعوا النبي ففازوا برضاء ربهم ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

الحمد لله تخوّلنا ربي برحمته ومغفرته ، اشكروا الله حيث صوّركم على شكل وصورة زينة ، وكنتَ عدم محض ثم أوجدك وأسعدك وهداك لملة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، وحنّن عليك الوالدة والوالد يعطفون عليك برحمة ورأفة وشفقة من قلوبهم ، ربُّوك وكالفوك إلى أن بلغت رشدك ، وبعد ذلك

حَبْلك على عاتقك، إن عملت خيراً وإن عملت شراً تجازى به كله، إما الفرح وإما الندم ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وأنعم علينا أن هدانا للإيمان والإحسان وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وغذانا بالأرزاق الحسية، ونطلب منه أن يغذّينا بالأرزاق المعنوية، حتى نجد لذة التلاوة والعبادة والقيام والصيام والأوراد، ونطق اللسان، مِنن لا تُحصى ومواهب لا تُستقصى، اشكروه شكر حقيقي من صميم أفئدتكم.

فالشكر على ثلاثة أنواع: شكر اللسان وشكر الجنان وشكر الأركان ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وكما أن المطر إذا بذروا فيها البذر تنبت وتحيى وتخضر الأرض كذلك تُثمر القلوب صدق النية وصفاء الطوية والعمل بما أمرت به الشريعة المحمدية والملة الحنفية بقراءة الآيات والتدبر والتفكر في آلاء الله ومحاسبة النفوس الغوية، كما قال: «حاسبوا النفوس قبل أن تحاسبوا ومهدوا لها قبل أن تعذبوا واعلموا أن كل امرئ على ما خلّف نادم وعلى ما قدّم قادم» والحديث الآخر: «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت أو تصدّقت فأبقيت والباقي تخلفه». «لحادث الدهر أو للوارث الشاني»

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

فاتحة ختم بها المجلس

ثم ختم المجلس بهذه الفاتحة فقال: الفاتحة نتوسل إلى سيد المرسلين وسلفنا الصالحين أن يقبلنا ربنا ويردنا إلى الطريق، ويُبدِّل سيئاتنا حسنات ويقوِّمنا إذا اعوججنا، ويختم بالصَّالحات أعمالنا، ويرزقنا التوبة النصوح، ويزكينا بها جسماً وقلباً وسرًّا وروحاً، ويكفينا طوارق الأيام إلا طارقاً يطرق بخير، ويعطينا كتابنا بيميننا، ويفرحون سلفنا بنا إذا قرَّت عيون أهل الصلاح بأبناء الصَّلاح، ويُعطينا ما أعطاهم، ولا يقطع فضله عنَّا، ولا يحرمنا خير ما عنده لشر ما عندنا، ويجعلنا ممن يخافه ويخشاه ويتولاه ويرعاه، ويجعلنا من الذاكرين الله كثيراً ومن الَّذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهَ، ويُرقِّينا فيمن رقَّاه، ويزيدنا رغبة ومحبة في الخير، ولا يؤاخذنا بما نسينا ولا ما جهلنا، ويجعلنا من أهل الأسرار والأنوار، ويبارك لنا فيما أعطانا ويكفينا شرور أنفسنا، ولا يقطع فضله ولا مدده الساري عنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، ويفتح لنا باب الصُّلح بيننا وبين سلفنا ونبينا، ويختم لنا ولكم بالخاتمة التي ختم بها لأولياه وأصفياه وأحبابه، ويجمع بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم ويُرينا وجهه يقظة ومناماً، ويجعلنا ممن إذا أشكل عليه الحديث أخذه من النبي وممن إذا سمع أجاب، ولا يُسلِّط علينا إبليس ولا النفس ولا الهوى ولا حُبِّ الدنيا الغوية ولا الأعداء، وإلى حضرة النبي محمَّد صلَّى الله عَليهِ وآله وسَلم.

وتكلّم رضي الله تعالى عنه بعد نزول الرّحمة سنة ١٣٥٣ بقوله: قال الله تعالى في معرض الامتنان على عباده: (ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرضُ مُخضرّة) بالأزهار العجيبة والأشجار الغريبة والأثمار المنوعة والبساتين الزاهرة، ينظر الإنسان في تباين الأشجار ذي خضراء وذي صفراء وذي بيضاء، وأزهارها وأثمارها ذا حلو وذا حامض وذا ممزوج بحلاوة وحموضة وذا قارمُرّ وذا معتدل وذا بارد وذا حار (وهو الذي أنزل من السّماءِ ماءً فأخرجنا بهِ نبات كلّ شيءٍ فأخرجنا منه خضراً نخرجُ منهُ حباً متراكباً ومن النّخلِ من طلعها قنوانٌ دانية وجنّاتٍ من أعنابٍ والزّيتون والرّمان مُشتبهاً وغير متشابهٍ انظروا إلى ثمرهِ إذا أثمر وآتوا حقّه يوم حصاده ولا تُسرفوا إنّه لا يُحبّ المسرفين) والآية الأخرى: (إنّه لا يحبّ المعتدين)

وفي معرض التهديد قال الله تعالى: (واضرب لهم مثل الحياة الدّنيا كماءٍ أنزلناه من السّماءِ فاختلط بهِ نباتُ الأرض فأصبح هشيماً تذروهُ الرّياح وكان الله على كلّ شيءٍ مُقتدراً) والآية الأخرى (إنّما مثل الحياةِ الدّنيا كماءٍ أنزلناهُ من السّماءِ فاختلط بهِ نباتُ الأرضِ ممّا يأكل النّاس والأنعام حتّى إذا أخذت الأرضُ زُخرُفها وازّيّنت وظنّ أهلُها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصّل الآيات لقومٍ يتفكّرون).

وفي مقام العلم قوله تعالى: (ألم تر أنّ الله أنزل من السّماءِ ماءً فسالت أودية

بِقدرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيهِ فِي النَّارِ ابتِغَاءَ حِليَة أَومَتَاع زَبَدٌ مِثْله كَذَلِكَ يَضرِبُ اللَّهَ الحَقَّ والبَاطِل فَأما الزَّبَدُ) العلوم المدخولة المغشوشة المغيرة (فَيَذهَبُ جُفَاءً) فيضر ولا ينتفع به بل مضرته أكثر من نفعه (وأمّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمكُثُ فِي الأرض) العلوم الزينة الخالصة من من جميع الشوائب المصفاة من الكدورات، التي هي لله ولنفع عباد الله فيمكث في الأرض يبقى في الأرض لينتفع به الناس ويستفيدون منه ويلتقطون جني ثمراته.

ثم قال أيضاً نفع الله به: إن الصواعق النازله من السَّماء نِعَم من نِعَم المولى أنعم بها على عباده ليذَّكروا ويعتبروا ويتفكروا (أوَلَم يَنظُروا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرض وَمَا خَلَقَ اللهَ مِن شَيءٍ وَإن عَسَى أن يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ أَجَلُهم فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ يُؤمِنُونَ) ويرجعون إلى مولاهم بصدق التوبة وحسن النية وصفاء الطوية، قال في الزُّبد:

واعرض التوبة وهي الندم	على ارتكاب ما عليك يحرم
تحقيقها إقلاعه في الحال	وعزم ترك العود في استقبال
وإن تعلقت بحق آدمي	لابد من تبرئة للذمم

هذا إذا كانت فيما بينك وبين الله، وأما فيما بينك وبين الخلق فاقض لكل ذي حق حقه، واطلب المسامحة ممن آذيته أو اغتبته إذا كان حياً أو استغفر له إذا كان ميتاً.

وكم لله من نعم فينا ظاهرة وخافية تتجدد بتجدد الأيام وتتكرر بتكرر السنين والأعوام، وفي الآية الأخرى: (ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلّب الله الليل والنهار إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار).

ثم قال رضي الله عنه: من اعتقد الأولياء لعصمتهم حُرم بركتهم، ومن اعتقدهم لحسن ظن ونية كاملة حسنة حظي منهم بالمطلوب، وأدرك المأمول والمرغوب، ولاحظته عناية الرّب، وسهل أمره بحسن مشهده فيهم وفاز بأوفر حظ، ومن تفكر في مخلوقات الله وآياته أورثه الله إجلالاً وجمالاً وبهاءً وصفاءً وهناء.

وأمر رضي الله عنه بالإنشاد، فأنشدت بين يديه قصيدة الإمام الحبيب عبدالله بن علوي الحدّاد التي مطلعها:

هواكم بقلبي والفؤاد مقيم وشوقي إليكم مُقْعِدٌ ومُقيم

فقال رضي الله عنه: الخطاب في هواكم إلى آخره للمولى جلّ وعلا أو الحضرة المحمدية أو العارفين بالله رضي الله عنهم أجمعين، والفؤاد هو داخل القلب وسره.

ثم قال في أثناء كلامه : قيل لبعض العارفين بم عرفت ربك ، قال : بنقض العزائم ، فقيل له : وما نقض العزائم ، قال : أريد خراسان فيردني إلى طبرستان

وقال بعد كلام طويل : كتَبَ الحبيب عمر بن حسن الحدّاد إلى السيد عبْد الرّحمن بن علي الجنيد أن اجعل دعاء الحبيب غوث البلاد والعباد عبدالله بن علوي الحداد في قصيدته التي مطلعها :

يامن هواهم في فؤادي مقيم ... وحُسْنُهم في مشهدي مستقيم

لك ورداً خاصاً ، وهو قوله :-

يارب هَبْ لي منك حسن اليقين ... وعصمة الصدق وقلباً سليم

وهمةً تعلو وصبراً جميل ... ونور توفيق به أستقيم

وحسن تأييد وعوناً يدوم ... فإنك الدائم وجودك عميم

أرجوك تعطيني الذي أرتجي ... بمحض فضلك لا بجهدي الذميم

ثم قال سيدي رضي اللّه عنه : هذه دعوات عظيمة ، يرسلها اللّه على لسان أوليائه ، قلت : وكان كثيراً مايدعو بها سيدي .

وقال رضي اللّه عنه في روحة السبت في مسجد الجد طه بن عمر سنة ١٣٥٣ : قال اللّه تعالى : (فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه) المواعظ كثرت والمجامع كثرت ، والسّلف الصالح حذروا وأنذروا ووعظوا والنبي صلّى اللّه عليه وسلم قبلهم بشَّر من عمل بما أتى به

وأنذر من خالفه وعصاه، لكن ما ولجت المواعظ إلى الأسماع ولا استقرت في القلوب، قال الله تعالى: (وَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يُخشى من آخر هذه الآية ما دفوقه من تحذير وإنذار لمن عصى الله، وتبشير لمن أطاعه وعمل بما جاء به نبيه الكريم ذو الخُلُق العظيم صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ).

(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بايقول ربك استطعمتك فلم تطعمني، فتقول له: كيف أطعمك يارب وأنت أكرم الأكرمين، بايقول لك: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ولو أطعمته لوجدتني حاضراً عنده، ثم يقول لك: مرضت فلم تعدني، فتقول له: كيف أعودك وأنت أرحم الراحمين بايقول لك: مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده، ثم يقول لك: استقرضتك فلم تقرضني، باتقول له: كيف أقرضك يارب وأنت أرحم الراحمين، بايقول لك: استقرضك عبدي فلان فلم تقرضه ولو اقرضته لوجدتني عنده.

ما أكثر الاجتماعات، المدارس كل يوم والرَّوح كل ليلة والصلوات كل يوم خمس مرات، لكن ماهناك اعتبار ولا ادّكار ولا تفكّر ولا استبصار، تعبر وقت بلا شُغل، إنا لله وإنا إليه راجعون، ما نفع فينا لا قرآن ولا حديث ولا كلام العلماء بالله ولا ولا، قال الله: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

دخل شهر رجب وخرج وتبعه شعبان وشهر رمضان، الأشهر المعظمة التي تزيد فيها الأعمال وتتضاعف وتنمو، ولا سمعنا بأحد زاد عن حالته التي كان عليها أو ساعد المُقِلِّين وقال مثل قوله تعالى: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ).

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما قالت له: ذهبت الشاة إلاّ الكتف، قال: بقيت الشاة إلاّ الكتف، سيلقى كل إنسان ما قدم، إن قدَّمت خيراً بالتلقاه وإن قدّمت شراً بالتلقاه، كل امرئٍ مُجازىً بعمله «أو تصدّقت فأبقيت»، كأن الصدقة والقرض آية منسية بيننا أو نفراهن في القرآن والحكم منسوخ، لا لا إنا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تسمعون في الحديث إنّ القرض بسبعمائة ضعف، وقال الله تعالى: (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) كل ذلك سببه قبض الدرهم والدينار والاغترار بالدنيا والعُكوف عليها وجمع حطامها والحرص عليها كأننا مخلدون لها، نسمع هذا ثم نلوي عنه حرصاً على الدنيا ولذاتها، قال الله تعالى: (فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ).

اليوم الوعظ كثُر والآيات كَثُرت ولا رأينا أحداً انتهى عما هو عليه، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ).

شو الخلق محتاجين والدروع ملآنة والأغنياء بخلوا بها، كأنهم ما سمعوا بوجوب سَدّ رَمَق ذوي الفاقات، معاد بَقِيَت معنا إلاّ لفظة الشهادتين «أشهد أن لا إله إلاّ اللهَ وأشهد أنّ سيدنا محمّداً رسُولُ اللهَ»، وإلاّ الفروض ما قُمنا بها سَواء، والقرآن مهجور، وإن شي تلاوة هي من غير حضور وتدبر وتأمل، ولا ترتيل كما قال اللهَ تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا).

وأذيَّة الجار كَثُرت، والنبي صلى اللهَ عليه وسلم يقول: «واللهِ لا يؤمن مَنْ لا يأمن جاره بوائقه» وكاد صلى اللهَ عليه وسلم أن يورِّثه لِما لَهُ من الحقوق ونحن يا المتأخرين يتعشى الإنسان وأهل بيته ولا يتفقد رَحِمه ولا جاره يبيتون طاويين، ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبىٰ المال أن يخرج إلاّ من حيث دخل» والحديث الآخر «أبَتِ الأموال إلاّ صرفها في الماء والطين».

الأرحام مقطوعة وأرامل شرائف مخدرات ما حد انتبه منهن، كأنكم ما قرأتوا قوله تعالىٰ: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) ولا بلغكم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن لم يكافئه صاحبه فأنا مكافئه» وقوله صلى اللهَ عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» وإذا مات الإنسان شيَّعه ثلاثة، يرجع إثنان وهما أولاده وقرابته ورَحِمه وورثته وماله، وواحد يبقى عنده يدخل قبره وهي أعماله التي عملها، قال صلى اللهَ عليه وسلم: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر» ما حد

بَا يدخُل قـبر أحد .

الأحسن تبطيل المجالس وتعطيلها، ما نفعت فينا بشيء، وسبب هذا تغيُّرنا عما عليه أهلنا وسلفنا. قال الله تعالى : (إنَّ اللهَ لَا يُغيرِّ مَا بِقَومٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بَأنفُسِهم)، قال الحبيب عبدالله الحداد :

والذي أوجب هَذا كله　　أن كلاًّ منهم قد أسرفا

إلى أن قال :-

وذو الأموال منهم والغِنى　　بخلوا بخلاً قبيحًا مُتلِفا

لم يدعهم بُخلهم أن ينفقوا　　في سبيل الله مُعطي الخلفا

وبقي أهل الضرورات بها　　مثل حوت بحره قد نَشِفا

والله يقول في كتابه العزيز: (إن تُبدُوا الصَّدَقَات فَنِعمّاهِي وَإن تُخفُوهَا وَتُؤتُوهَا الفُقَرَاء فَهُوَ خَيرٌ لَكُم) (مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ ٱللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيضَاعِفَه لَهُ أضعَافًا كَثِيرَة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «إن من عبادي من لا يصلح له إلاَّ الفقر ولو اغنيته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلح له إلاَّ الغِنىٰ ولو افقرته لفسد حاله» لكن قال الله تعالى فيها: (وَانفِقُوا مِمّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيه) ماهو ملككم لا، ذلاَّ عاربة بعدمة يشلونها عليك وإلاَّ على أولادك ويصبحون فقراء (وَفي أموَالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالمحـرُوم).

الوقت ذا يها دُّون عادهم على إسقاط الزكاة يدُورون للحيل، والنبي صلى الله

عليه وسلم يقول: «مَا تَلِفَ مالٌ في بَرٍّ ولا بحرٍ إلاّ بحبس الزَّكاة» والحديث الآخر «ما نقص مال من صدقة بل يزداد بل يزداد» قال الله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) إلى غير ذلك من الآيات الكريمات (إنّ المصدِّقينَ والمصدِّقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعف لَهُم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بشِّر مال البخيل بحادث أو وارث» ما تخرج الصدقة إلاّ وقد فكّ لحي سبعين شيطاناً. وورد في البخاري: «أن رجلاً يُداين الناس، وكان يقول لغلمانه: انظروا الموسر وتجاوزوا عن المعسر، فلما وقف بين يدي الله، قال له مولاه: نحن أحق بذلك منك، تجاوزوا عنه» وكم أحاديث في مثل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وكم أحاديث مروية لجد الحسن شي في البخاري وفي مسلم وشي في السنن

لكن الله يوصلها إلى القلوب، حتى تقبل التذكير وتنجع فيها الموعظة، كل إنسان منّا بايحاسب على النقير والفتيل والقطمير، بايحاسب على المال فيما انفقته ومن أين اخذته، لأنك لو كان لك حساب عند أحد لناقشته على الخُمسية أو أقل منها، وحبس الزكاة من الكبائر، بشّر حابسها بعذاب أليم.

ومنع القريب الصِّلة قال الله: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) صورة صلاة (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ

وَابن السَّبِيل وَالسَّائلين وَفي الرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَآتَىٰ ٱلزَّكَاةَ وَالموفُونَ بِعَهْدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِيْنَ ٱلبَأْس أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقوا وَأُولَئِكَ هُمُ المتَّقُون) إن حَدْ يدَّعِي الإيمان يعرض هذه الشروط على نفسه، إن حصلها اجتمعت فيه فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن حصلها قَصُرت فإيمانه ناقص، إنها مثل حالتنا التي نحن فيها ياحافظ ياحفيظ تُخشى علينا، اللّه ينقذنا وإيّاكم من هذه الورطة، ويجعلنا ممن سمع فأجاب، قال اللّه: (يَوْمَ يَبْعَثهم اللّهَ جَمِيعًا فَينبئهم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللّهُ وَنسُوه) (يَوْمَئِذٍ يوفيهم اللّه دِينَهم الحق وَيَعلمُون أنَّ اللّهَ هُوَ الحَقُّ المبين).

تَنَبَّه يا المغرور قفاك ناقد بصير ومحاسبة على النقير والقطمير (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلهُمْ رُوَيْدًا) عسى ردّه وانقلابه لنا وإقبال على اللّه، وإلّا ما حد ينجو إلّا من حلّت فيه علامة الإيمان، وعمل بما أتى به سيد ولد عدنان، جاهدوا النفس والشيطان إن بغيتوا الرحمة الباطنة تصل إلى القلوب، لآه ما نبكي على أنفسنا، لآه ما نبكي على مرور أعمارنا في الغفلة والمعاصي، كما كان الحبيب عبد اللّه الحداد، ولا يبكي على عمره هو، أما عمره هو عدّى في طاعة ربه وما خالفه أقبل على مولاه، قال يبكي على أعمارنا الضائعة:

تفيض عيوني بالدموع السواكب ... ومالي لا أبكي على خير ذاهب
على العمر إذ ولّى وحان انقضاؤه ... بآمال مغرور وأعمال ناكب
على غُرر الأيام لما تصرّمت ... وأصبحتُ منها رهن شؤم المكاسب

على زهرات العيش لما تساقطت   بريح الأماني والظنون الكواذبِ
على أشرف الأوقات لما غُبِنْتُها   بأسواق غبن بين لاهٍ ولاعبِ
على أنفَسِ السّاعات لما أضعتها   وقضَّيتها في غفلة ومعاطبِ
على صرفِ الأنفَاسَ في غير طائل   ولا نافع من فعل فضلٍ وواجبِ

على ما لهم ... على ... على ... على ... على صحف مشحونة ... على فرص كانت ... على ما تولى من زمان ... على أنني آثرت دنيا دنية ... على عمل للعلم ... على أنني لا أذكر القبر ... حتى قال ـــــــ :

على السعي للجنات دار النعيم والـ   كرامة والزُّلفى ونيل المآربِ
من العز والملك المخلد والبقا   وما تشتهيه النفس من كل طالب
وأكبر من هذا رضا الرب عنهم   ورؤيتهم إيّاه مِن غير حاجب
فآهٍ على عيش الأحبّة ناعمًا   هنيًّا مصفّى من جميع الشوائب
وآهٍ علينا في غرور وغفلة   عن الملأ الأعلى وقرب الحبايب
وآهٍ على ما فات من هدي سادة   ومن سِيَرٍ محمودة ومناقب

على ما لهم ... على ... على الصبر والشكر اللّذَيْنِ تحققا ... على ما صفا من قربهم ...
إلى أن قال ـــــــ :

فكم بفؤادي من غليلٍ ومن أسى   ومن حسراتٍ متعباتٍ غوالب
وكم من دموع في الخدود أسيلها   تجود بها سحب العيون السّواكب
ولو أنني أبكي الدموع وبعدها الـ   ـدِّمَاء على ما فاتني يا مُعاتبي

لكان قليلاً من كثيرٍ وما عسى   يردُّ البكاء من ذاهبٍ أيّ ذاهبِ

أمّا عبدالله حداد ما ضيّع عمره، صرفه فيما يُرضي ربه، ونحن ضاعت منّا الأعمار في غير فائدة إنْ لاهي في خسارة، واجب علينا البكاء.

نعم في الزمان خبايا يُستجاب بهم الدعاء إلاّ أنهم آحاد، نتوجه بهم إلى الله تعالى أن يَرُدَ ما فات علينا من سِيَر أهلنا ومناقبهم الزينة، وأن يُلحقنا بهم، وأن يتجاوز عمّا فرطنا فيه من الأعمار، ويُبدِّل السيئات حسنات، وإلاّ ما التخلف عن أهلنا إلاّ مصيبة كبيرة.

والحذر الحذر من الغِش وغبن المسترسل والخديعة والخيانه، قال الحبيب علي بن محمد الحبشي: يوم ذاكرت عند نبي اللهَ هود، وبعد المذاكرة قال لي واحد: شُف كل ما قُلته واقع فيَّ وأنا تائب منه كله، أين مثل هذا با يرجع إلى ربه، من با يذّكر من با يُنيب، أنشد المنشد وغنّى المغنّي ولا هناك اعتبار ولا ادّكار ولا إنابة، قال الله تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فَهُم لا يَرجِعُونَ) (إنَّ إلينا إيابهُم ثُمَّ إنَّ علينا حسابهُم) (فَمَن ثَقُلَت مَوازِينُهُ فأولئك هُمُ المفلحُون وَمَن خَفّت مَوازِينُه فأولئك الّذِين خَسِرُوا أنفُسَهُم في جَهنّم خالِدُون تَلفَحُ وُجُوهَهُم النّارُ وَهُم فيهَا كَالِحُون).

تُسبِّحُون صورة بلا روح ولا حقيقة، وسبحان الله تملأ الميزان إن كان بحضور قلب وتدبر في معانيها با يحصلها بعد الموت.

الموت واعظ، والشيب واعظ (أولم نعمّركُم مَا يتذَكّر فِيهِ مَن تَذكّر وجاءَكُم

النّذِيْر) النذير الشيب، عسى يكون ارتقاء وارتفاع من حالتنا هذه إلى حالة أحسن منها، وانتفاع بمجالسنا ومدارسنا، تكون حجة لنا لا حجة علينا.

وأكثر ما نحضّكم في المذاكرات على ثلاثة أشياء: الوفاء في المعاملة، ومواساة المحتاجين وصلة الأرحام، وصلاح النية امتثالاً لأمر الله المطّلع على السرائر وخفيات الضمائر (إنَّ اللهَ لا يظلِمُ مثقالَ ذرّة وإنْ تكُ حسنةً يُضاعِفْها) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإن أحدكم ليتصدق بالتمرة فيضعها الله في كفّه فيُنمّيها ويُربّيها كما يُربّي أحدكم فُلوه» والحديث الآخر: «مثل جبل أحد» وإن كان الناقلون كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم معاد حاجة نفر أكتبهم.

ذكر الحبيب عبدالله الحداد والحبيب أحمد بن عمر بن سميط إن الظّلم زاد، وسببه الزيغ عن طريقة السّلف الصالح.

ولما أُنشدت بين يديه قصيدة الحبيب عبدالله الحدّاد التي مطلعها:-

قل للذي جدَّ بالأظعان يا حادي   سُقْهَا رويداً لِيلقَى الحاضِر البادي

تكلّم على أوّلها بكلام نفيس، ثم قال فيه: تمنّى الحبيب عبدالله اللحوق بمشائخه وسلفه الكرام وقال:

يا هل ترى تجمع الأيام في دعة   بيني وبين أُحبابي وأسيادي

ونحن بغينا اللحوق بهم في تحلياتهم وترقياتهم، أما الحبيب عبدالله وصل مقامهم وَوَرِث علومهم وَعَمِل أعمالهم قال:

ها قد علمتُ ولا شكَّ يخالطني   أن الطريقة في تركي لمُعتادي

وقبلها قال:

وأرتوي من شراب القوم في زُمَرٍ من عارفين وأقطابٍ وأوتادِ

وأوقدُ النور في مصباح واضحة نورٌ على نورٍ من فتحٍ وأورادِ

قال الله تعالى: (اللهَ نورُ السمواتِ والأرض مثلُ نوره كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرّيٌ يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لاشرقيّة ولاغربيّة يكادُ زيتها يُضيءُ ولو لم تمسسه نار نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ويضربُ الله الأمثال للناس والله بكلّ شيءٍ عليم).

نور السلوك ونور الجذب قد جُمِعا فأشرقا بين زهّادٍ وعُبّادِ

جَمَع الحبيب بين الطريقتين، نور السلوك: وهي أن لايحيد ولايخالف عن الأوامر وينتهي وينزجر عن الزواجر، ونور الجذب: بالنفحات الربانية والعطايا الرحمانية لأهل الصلاة والتضرع والخشوع والاستغفار والإنابة والتوبة وقبلها الندم ورد المظالم إلى أهلها، وقيام الدواجر وصيام الهواجر.

قال الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه في الرشفات: «وبعضهم بجذبةٍ قُدسية» والحدّاد يقول:

ها قد علمتُ ولا شكٌّ يُخالطني أن الطريقة في تركِ لمعتاد

قال العلماء: «من خَرَق من نفسه العوائد» يعني ترك اللذات وعانق العبادات، «انخرقت له العوائد» أي قرُبت له الأمور، «وحاز وفاز بالموائد والفوائد، ومن جلس بالحضيض السُفلي ورغب عن المنزل العلوي»، ولاهو داري كيف ذاقوا

كيف شربوا» بقي في حضيض النقصان، ولا ارتفع إلى أوج منازل الإيمان».

ونحن والعياذ بالله كذلك، تأخرنا عن أهلنا، هم تركوا العوائد ونحن جدّدناها وحفظناها من الضياع، يا فوزنا ويا بختنا، أمّا المصائب التخلف عن الأهل، قال سيدي علي بن محمّد الحبشي: -

تخلفتُ عن أهلي وتلك مصيبة ... بُليت بها قد أوْهَتِ الجسمَ والعظما

ما هو علي حبشي تأخر، أما هو تقدّم، التأخر إلا فينا والانحطاط إلا فينا والاعوجاج إلا فينا والميل عن الطريق عندنا والتساهل بالسنن الشرعية عندنا، غَلَبَ علينا الضياع والتقصير، ثم قال الحبيب عَبدالله الحدّاد:

وترك مألوف نفسٍ زانه خلق ... أنحو به بين أشكالي وأضدادي

صبر ومجاهدة وإيثار (وَيُؤثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ورع حاجز وصبر على أذى الإخوان وكفّ الأذى وبذل الندى وصدق مع الله وصدق مع رسوله صلى الله عليه وسلم وصدق مع عباد الله وغض الطَّرف عن المحرمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وسد خَلَّة ذوي الفاقات وإفشاء السَّلام والبِشر والبشاشة في وجه أخيك المسلم واللطف ومثل هذا لي بما يتميز به من بين أقرانه وأضداده، ثم قال:

وقد تحققتُ أن الخير أجمعه ... ضمن اتباعي لجدي المصطفى الهادي

عليه أزكى صلاة الله يتبعها ... منه السّلام بآزال وآباد

لاشك أنَّ الخير كله فيما درج عليه النبي ودرجوا عليه أصحابه وأتباعه وخلفاؤه إلى عصرنا هذا، مثل الحبائب علي حبشي ومحسن بن علوي وغيرهم ولكن آه فائدة من تحققنا بهذا إذا لم نتخلق به ونعمل عليه، يصير علمنا به حجة علينا لا لنا، ما فائده التصديق به إلاَّ إذا قارنه العمل به وتَبِعَه، داريين بما يصير إليه أمركم إما إلى الجنة أو إلى النار، إن كنت عملت أعمال أهل الجنة دخلتها وإن عملت أعمال أهل النار فزت بالنار، اللَّه يحفظنا ويجيرنا منها، ويعيذنا من شرور أنفسنا، ولا يجعل للشيطان ولا للنفس الأمارة علينا سبيل.

القرآن ملآن بالتبشير لمن عمل الخير وبالإنذار لمن عمل الشر، والسنة طافحة بذلك، وكتب السلف ملآنه مثل الغزالي والحداد والحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب محسن بن علوي، لكن لمن اتعظ واستمع، وأما من أهمل نفسه وأعطاها مُناها بالتُّرديه وبالتسيبه في لُجَّة الهلاك والخسران، داريين أن ما قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم حق موعود به، ما مَثَلكم إلاَّ كمثل من يعرف الحساب ولا معه شي من الدنيا، يعلمه ولا يعمل به، إيش الفائدة منه، آه باتحصّل فائدته، اللَّه يحفظ وبآله عليك: « ولابد اطِيرٌ مقصُوصُ الجَنَاحِين فَـر »

قرأنا القرآن وسمعنا السنّة المطهرة، وقرأنا الإحياء والبداية، والآن سمعنا كلام الحدّاد، واليوم سمعنا الخطبة وعَظ نحن ابن نُباته ولا اتعظنا (سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ) والآية الأخرى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) ولكن ما شي عمل، أين

الاعتبار، أين الادِّكار أين أين، سمعتوا الخطبة والآية ولاعملتوا، سمعتوا المذاكرة ولا اتعظتوا، الله يولجها إلى القلوب ويزيل صمم الآذان، أقاليد بلاضروس ماتفتح المنازل.

الأثمان نعرفها (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) حد بغا الجنّة، بايبيع ماله لربه أو نفسه وبايقاتل لإعلاء دين الله (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قال أبو طلحة للنبي صلى الله عليه وسلم: إنّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء فاجعلها حيث شئت، فجعلها في الأرحام، فقسّمها النبي صلى الله عليه وسلم في رحم أبي طلحة وقرابته، أعمال زينه، بايقومون يوم القيامة وأعمالهم الخيرية أمثال الجبال، آه بايقع جزاها عندالله، يابختهم بايحصلون جنات تجري تحتها الأنهار، وأكبر من هذا رضاه عنهم فلا يسخط عليهم أبدًا، ياخير حظوة حُظوا بها، قال الله تعالى: (هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وعاد فوقه (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ) (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ) من صدقة وصلة وصلاة وزكاة وصيام وإخراج الحقوق الواجبة وأداء المسنونة، أين لي بايقدّم ليوم معاده أين لي بايدّخر ليوم منقلبه، أين المستمع، أين المنصت، أين المتعظ، أجسام حاضرة صورة ولاحقيقة، تعبنا في التذكير وبقينا مثل حصاة الرحبة كلما

عليها السيل زادها ملوسة.

وَنارٍ لو نفخت بها أضاءت ... ولكن ضاع نفخك في الرماد

الحرام عمّ الجميع، العين مطلقة واللسان مطلقة والأذن كذلك واليد والفرج والبطن والرجل مطلقات، عسى رادع من المولى يردعهن ويردنا إلى الحق لا ورع ولا خشوع ولا تدبر ولا تفكر ولا اتباع لسلفنا و« الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه» قال الحبيب عبدالله الحدّاد:

يا هل ترى تجمع الأيام في دِعةٍ ... بيني وبين أُحبابي وأسيادي

وأرتوي من شراب القوم في زُمَرٍ ... مِن عارفين وأقطابٍ وأوتاد

وأوقد النور في مصباح واضحة ... نورٌ على نورٍ من فتح وأوْرادِ

نور السّلوك ونور الجذْبِ قد جُمعا ... فأشرقا بين زُهّاد وعُبّاد

هذه الأبيات الثلاثة جمعت ما لم يجمعه غيرها من الأبيات.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح، قيل: هل لذلك من علامة يا رسُول الله، قال: نعم، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله » شي عندنا من هذه الثلاث أوْلاَ، شي تجافي عن دار الغرور والدّار الفانية المُشبَّه نعيمها بالأفيا أمْلاَ، شي إنابة إلى دار الخلود بالتوبة الخالصة الصادقه المحققه أمْلاَ، شي

استعداد للموت بالصّدقة والصّلاة وإطعام الطعام (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ماعلمنا إلا الحجة علينا لا لنا، ولكن عسى ردة من المولى ترد إلينا مافاتنا من شريف أذواقهم وشرابهم الهني «اللهم خلّقني بأخلاق أسمائك الحسنى، وارزقني العثور على المطلب الأسنى والمشرب الأهنى».

فيانفحات الله ياعطفاتـه ... وياجذبات الحق جودي بزورة
ويانظرات الله يالحظاتـه ... ويانسمات القُرب أُمّي بهبّة
ويا غارة الرحمن جِدّي بسرعة ... إلينا وحُلّي عقدَ كلِّ مُلمّة
ويارحمةَ الربِّ الرحيم توجهي ... وأحيي بروح الفضل كلّ رميمة
ويا كُلَّ أبوابَ القبول تفتّحي ... فإن مطايا القصد نحوك أمّت
ويا سُحبَ الجود الإلهي أمطري ... فإن أكفَّ المَحل تلقاكِ مُدّت
بحرمة هادينا ومحيي قلوبنا ... ومرشدنا نهج الطريق القويمة

إلى أن قـال:

فيارب ثبّتنا على الحقّ والهدى ... ويَاربِّ اقبضنا على خير ملة

وإلا فنحن راجعين القهقرى، التخلّف فينا شائع وهو كثير، كل خمس سنين يزداد التأخر، الغفلة شملت، أين نحن من سِيَرِ أهلنا، أين نحن

من أعمالهم، العَلَوي ماهو عَلَوي إلاّ إن تَبِع سلفه العلويين، وإلاّ أُسْت في الماء وأنفٌ في السماء ﴿إنّ في ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

الزوايا مهجورة والمحاريب مهجورة والمساجد مهجورة والورع مات والتكالب على الدنيا زاد جم، كانوا السابقين من فاته العلم ما فاته العمل، وأما الآن العلم والعمل والسيرة الحسنة والأخلاق المرضية والشمائل المحمدية فاتت علينا كلها.

على نفسه فليبك من ضاع عُمْرُه ... وليس له منها نصيبٌ ولا سهمُ

قال الحبيب عبدالله الحدّاد في وصف هذا الزمان وأهله:

هو الزّمان الذي قد كان يحذره ... أئمة الحق من حبرٍ ومن بدلِ

هو الزّمان الذي عمّ الحرام به ... والظلم من غير ماشكٍ ولا جدلِ

أين القرآن كتابُ الله حُجّتُه ... وأين سنةُ طه خاتم الرسلِ

وأين هَدْيُ رجال الله من سلفٍ ... كان الهدى شأنهم في القول والعمل

وفي القصيدة الأخرىٰ:

أين أربابُ المثاني ... والعلوم اللّدنيّة

كلُّنا عَمَّنَا البلاء، الصالح والطالح، ماحد رابح فينا الحسيب والوضيع والشريف والنسيب، إنا لله وإنا إليه راجعون، لعبت بنا الفترة المستغرقة

واصبحوا في زمان كلُّه فِتَنٌ ... وباطلٌ وفسادٌ بَيِّنٌ وجَلي

ألا راحم نفسه، ألا نادم على ما فرّط من أمسه، ألا مرتاد لنفسه، ألا

قلب يخشع، ألا عين تدمع، ألا تائب مُقلع، ألا مُتبوِّأ لنفسه الجنة، كلّنا ألفنا الدعة والترف والثقل والكسل، قال البوصيري:

أَلِفَ البِطنة المُبطِئة السير فكانت له البِطانُ بِطاءُ

تعرضوا لنفحات الله واعلموا المصير كم (يا أيُّها الذين آمنوا استجيبوا للّه وللرّسول إذا دعاكم لما يُحييكم) والآية الأخرى (استجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يومٌ لا مردّ له) (يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ومن قبل أن تقول: (لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصّدّق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون) إذا ما تذكرت واتعظت بكلام ربك عادك باتذكر بكلام من (اقترب للنّاس حسابهم وهم في غفلةٍ معرضون، ما يأتيهم من ذكرٍ من ربّهم محدثٍ إلاّ استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم).

ما فائدة المجلس إلاّ الاعتبار والادّكار والرجوع إلى الملك الجبّار بالتضرع والانكسار، ومن دخل السوق وهو خلي با يخرج منه خلي، لماذا يدخله المفلس وهو مفلس، لا سمعنا كلام النبي ولا السّلف الصّالح ولا الحدّاد ولا الغزالي ولا غيره (ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل) لاه أضل من الأنعام، لأن الأنعام لا تعقل ولا تفقه، وأمّا نحن خصّنا الله وميّزنا بالعقل، لكن ما أعطينا النعمة حقها ولا صرفناها فيما خُلقت له. نعقل ولا

نعمل «تركت فيكم واعظين ناطق وصامت، الناطق القرآن والصامت الموت» كل يوم نُشَيِّع جنازة أو أكثر، لآه ما نفكر با يلقون به آه، وانته كماه بعد مده بايشيِّعونك «فكلُّكم رهائن للفناء» غنم مربطين للموت، كل ساعة يشلُّون وحدة (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ)

قرأ الخطيب في الخطبة (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وقال العلماء: ركن من أركان الخطبة واجب سماعها الأربعين، وبعد هذا قال: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) الله يردنا إليه ويجعل لمجالسنا ثمرة، ويجعلها حُجّة لنا لا حُجّة علينا.

وَقالَ رَضِيَ اللهُ عَنه ونفعنا به: إن السيد حسين بن طاهر الحبشي رأى الحبيب عبدالله الحداد فقال له: تقصد مَنْ بقولك:

هدى الله معشوق الجمال إلى الهدى وجنَّبه ما يختشيه من الردى

فقال أقصد بها الحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم.

وسأله عن حال بعض الأولياء منهم الحبيب محسن بن علوي وسيدي الوالد عبدالرحمن بن علي والحبيب محمد بن علي السقّاف، فتكلم على فضائلهم ومقاماتهم عند الله وما فازوا به، فقال له: والحبيب علي بن محمد الحبشي فقال: أعلى أعلى فوق فوق وفوق جم.

ثم حث على سيرة السلف واتباعهم والاقتداء بهديهم والتحلِّي بشمائلهم

الشريفه، حتى قال: وبالجملة فلا طريق إلاَّ طريقهم ولا بانتدخلون على نبيكم وربكم إلاَّ باتباعهم.

اتفق الحبيب عبدالرحمن بن مصطفى والحبيب شيخ الجفري والحبيب أبوبكر صاحب آشي على أن يعملوا بما في البداية، فبعد الختم حق البداية رأو النبي صلى الله عليه وسلم، فأعطى الحبيب عبدالرحمن بن مصطفى سفينة بياض إلاَّ أنه ما يُشكل عليه شيئ إلاَّ وجده فيها حتى دخل مصر، وفي يوم من تلك الأيام وقَع زواج عند قاضي البلد، فعزم جميع من في البلد وقسَّمهم أقسام عُلوية وسُفلية، وكان الحبيب عبد الرحمن درويش من المسَاكين، كلما با يدخل من الباب ذامنعه الحاجب وقال له: هناك منزل آخر للمساكين، فدخل فجلس فيه، فلما حضر وقت الصَّلاة قال القاضي: لا يتقدم للإمامة إلاّ من عد أربعمائة سُنَّة، فقام الأول والثاني والثالث والرابع والخامس وهكذا ولا بلغوا أربعمائة سُنَّة. فقام السيد عبدالرحمن ابن مصطفى درويش وابتدأ يعُد حتى زاد على الأربعمائة سُنَّة، فقال له: إلى هُنا قِف، ادخل صلِّ بنا، فصلَّى بهم وكثُرت عليه المسائل المشكلات وهو يحل عُقدتها من تلك السفينة، حتى استغفله بعضهم فأخذها عليه خفيه فلم يجدها الحبيب، فخرج إلى المسجد والناس فيه فأكل ثلاثة من القناديل، حتى ضجَّ أهل مصر وفزعوا، فأرسل إليه بعض إخوانه من الأولياء أبيات يُعاتبه فيها بقولـــه:

ماذا التلاعب للوجيه ... النّار يأكلها بِفِيه

وكذا الزجاح وأكله يا ذا الصفا لا خيرَ فيه
ليس الكرامة عندهم غير استقامه يا نبيه
فاصغ لنصحٍ قد أتى من ذي ودادٍ في أخيه
مقصودُه من نُصحه تكون في العليا وجيه

فأجابه بقوله:

مولاي تَسْفِيه السّفيه قد أوقع العبد الوجيه
حتى جرىٰ منه الذي أهل العلا ما ترتضيه
والعفو من مولىٰ العطا يرجوه فيما قد لقيه
لا زلت فردًا ما له بين البرايا من شبيه
سلّم ودُم في نعمة يا عالي الذوق الوجيه

فردُّوا إليه السفينه، وأُعطي السيد شيخ الجفري صحن يأكلون منه جملة بعد جملة وأُمَّة بعد أمّة ولا يغلَق، وأُعطي الحبيب أبا بكر صاحب آشي عُكَّاز، والعكاز إذا دقَّ الأرض أظهر كنوز الأرض، ثم ذكر نظم إلباسه من الحبيب عبدالله بن علوي الحدّاد.

ثم سأله الشيخ محمد عوض بافضل عن معنى الدُّعاء الوارد بعد الجلالة والتهليل لا إله إلّا الله، وهو «اللهم ثبّت عِلمها في قلبي» فقال له: على حذف مضاف أي ثبّت حقيقة علمها في قلبي أو ثبّت معنىٰ علمها في قلبي.

ثم ذكر كرامات الأولياء فقال: للشيخ عبدالرحمن السقّاف مُحِب بشبام، فكتب مرة إلى

الشيخ عبد الرّحمٰن يشتكي من جَوْر السلطان، فكَتَبَ الشيخ عبد الرّحمٰن للسّلطان يستعطفه فلما وصل مكتوب الشيخ أجابه السلطان بقوله: يا شيخ عبد الرحمن شفاعتك ما تعدّي عندنا، تُعْبُر إلّا من كحلان وشرق - كحلان حيد قاسم. فغضب الشيخ عبد الرحمن وقال: أنا بن محمد شفاعتي من قاف إلى قاف، وخرجت منه على السلطان دعوة، ثم خرج الشيخ عبد الرحمن من قميصه ليَرُدّها فلم يُدرِكها فرجع، ثم سُئل إلى أين خَرَجَت والقميص قائم، فقال: خَرَجَت مني دعوة على سلطان شبام رجعنا نُطاردها فإذا هي خرقت الحُجُبُ ولم نُدركها فبعد ذلك جاء الخبر بموت سلطان شبام، فقال سيدي: عادهم رحمة يحبون النّاس ويحنّنون عليهم.

ومثلها حصلت للحبيب عَبدالله الحدّاد، وصلت له من بعض محبيه ورقة يستغيثه من جور بعض الدُّول، فكتب الحبيب عبدَالله الحدّاد إلى محبه بغيت للدّوله آه من جزاء، فقال له في الورقة: بغيتك تقبض بحلقه، فقال سيدي عبدالله: ماله إلّا الكيثب حق الشيخ أبي بكر بن سالم، فعزم السلطان من حينه على زيارة الشيخ أبي بكر بن سالم، فسار فلما وصل عَزَمه منصب الشيخ أبي بكر بن سالم، فلما حضر العشاء قُدِّم له شحم حق ذيلة كبش فأكله فإذا فيه شوكة قامت في حلقه فمات من حينه تصديقاً لقول الحبيب عبدالله الحداد.

ويُحكى أن الشّيخ أبا بكر العدني غَضِب على الأمير عامر بن عبد الوهاب فأخذه ورمىٰ به وراء جبل قاف، فبقي متحيرًا يسير بذلك المكان، حتى حصّل مسجدًا فدخله فوجد فيه رجل يَخِيط فسلَّم عليه وجلس معه وسأله عن هذا المكان، فقال له: هو وراء جبل قاف، ثم إن الرجل سأل عامرًا عن عمله الذي صار بسببه إلى ذلك المكان، فقال له: إن الشيخ أبا بكر العدني غضب عَلَيَّ فحذف بي إلىٰ هذا المكان، وإيش البصر الذي بايردنا إلى بلادي فقال له: البصر أنه يجي وقت الصَّلاة وجملة من الأولياء كالطيور في الهواء ثم يصلون في هذا المسجد وهو إمامهم، فإذا سَلَّم من الصّلاة قُم إلى نحره وقل له رُدَّنا إلى بلادي، فلما دخل وقت الصلاة أتوا كالطيور في الهواء ثم صَلُّوا، فلما انتهت الصّلاة رجعوا حالًا وبقي عامر، فقال له الرجل: إذا جاء وقت الصّلاة الثانية تعلّق في نحره بعد السَّلام حالًا، فلما أتوا صلُّوا وحالًا قام عامر إلى نحر العدني وقال له: رُدَّنا إلى مكاني، فحذف به إلىٰ مكانه، فجاء أهله سالمًا، نعوذ بالله من التعرض لمقت وسخط أهل الله.

ولما تَتَلْمَذَ الشيخ عمر بامخرمة للعدني وقرأ عليه، بعد مدة أراد الرجوع إلى وطنه «بُور» لعيد شوّال، فطلب الرخصة من العدني فلم يُسعفه بها حتى آخر يوم من رمضان طرَّب عليه العدني إلىٰ خَلْفَه معه يشوف بها تريم من عدن، فقال له: تشَوَّف، فأخذ مدة ينظر حتى رأى تريم من عدن، فقال للشيخ العدني: هذه تريم ظاهرة، فقال له: تفقَّد سواء، فتفقد حتى رأى بَلَدِه بُور،

فقال للشيخ العدني: هذه بلدي بُور، فقال له: تفقّد سواء، فتفقد حتى رأى أم زوجته وزوجته في داره تحت الخلفة تعقّد لزوجته أُمّها، فقال للعدني: هذه زوجتي وأُمّها، فدَفَره إلى عارض الخَلْفَه حتى وصل إلى بلده بور حالاً، وأدرك العيد في بلده بين زوجته وأُمها.

وكان الشيخ عمر فقيهاً فيه حِدَّة الفقه، وسمع في أول أمره أن الشيخ عَبْدالرّحمن الأخضر باهر من يجمع الرّجال والنِّساء في مجلسه، فقصده إلى بلده «هينن» للإنكار عليه، فلما قَرُب من «هينن» قال الشيخ عبدالرحمن كشفاً منه لبعض النساء الجميلات: في اليوم الفلاني تزيَّني وتجمَّلي والبسي أحسن ثيابش وتعالي إلى مجلسنا، شي فيه رجل با يجي في تلك السَاعة، فحينما يدخل من الباب قومي وتعلقي في نحره، فلما دخل الشيخ قامت تلك المرأة وتعلقت في نحره، فردَّها فلم ترجع ولم يجد فيه شهوة لها، فقال له الأخضر: نارنا ما تحرق حطبنا، فسلَّم للشيخ عَبْدالرّحمن وآمن بكراماته.

ثم طلب الشيخ عَبْدالرحمن مقطرة، فأُحضرت ووضَعَ عُطُب فوق الجمرة والدخون فوق العُطُب فاحترق الدخون والعُطُب سالم، ثم إنه أراد التتلمذ له والتحكيم، فقال له: أولاً اطلع إلى هذا الحيد يعني حيد قمران وطرِّح من فوقه فطلع وطَرَّح من فوقه ولم يجد ألماً، فقال له الشيخ: طرَّحت وانته مغمِّض عينيك أو مفتِّح، فقال له: بل مغمِّض، فقال له: ارجع وطرّح وانته مفتّح فطلع وطَرَّح وهو مفتِّح، ثم قال له: اطلع إلى عدن، فإذا خرج العدني إلى موكبه

قل له: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ فسافر إلى عدن، فلما وصلها وخرج العدني إلى موكبه قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ فقال له: خرقنا الأرض وبلغنا الجبال طولاً على خزاك وخزا شيخك، وأشار إليه بالرمح، وقال له: لك الحُرقة، فقال الشيخ عمر: في الدنيا، ثم خرج إلى شيخه الأخضر وأخبره بما جرى منه، فقال له الأخضر: أما الرمح فاستلمناه نحن، وأراه موضع اصابته منه في يده، وأما الحُرقة فلو ما استعجلت لتحمّلناها عنك، فكان أكثر آل بامخرمة تصيبهم حُرقة البول. وقال له: صلِّ إلى شرق، فصلّى ونظر الكعبة تجاه وجهه.

ثم تحكّم الشيخ عمر وتتلمذ للشيخ الأخضر، وأخذ طريقته تخريق العوائد الفقهية ومُجالسة النساء ومؤانسته بهن، ولَبِس دثار التصوف وصار من الصوفية الكبار وأهل الكشف العيان. ومرة صلّى مأموماً والإمام ابنه الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة، ولما تمت الصَّلاة قال له: يا ولدي رأيتك كلّك دم، قال له: إني استحضرت مسألة من مسائل الحيض في الصَّلاة.

ثم إنه ذكر الحبيب أحمد بن هاشم الحبشي وقال: إنه مرة دعى لولد وبشَّر أُمه بطول عمره، فمرض الولد مرضاً شديداً ومات، فلما حملوه إلى المغتسل ذكَرت أمه قول الحبيب أحمد، فقالت لهم: لا تغسلوه، ثم دعت الحبيب أحمد، فلما أقبل جعلت تتكلم عليه وتعاتبه. فقال لها: مالك، فقالت له:

ولدي قد مات وأنت وعَدتني وبشَّرتني بطول عمره، فقال لها: لعلّه لم يمت وإنهم ما عرفوه، فقالت له: ادخُل فإنه قد وُضِع على المُغتسل، فدخل فلما وقف عنده قال: السيد أحمد بن هاشم «وسرد نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم» شريف حُسيني سُنّي يُحيي الميت بإذن الله، ثم قال له: قُم بإذن الله، فقام وعاش مدة طويلة بعد ذلك.

ثم قال سيدي: وشيخه وشيخ الحبيب عبدالله الحداد هو الحبيب عُمَر بن عَبْدالرَّحْمٰن العطّاس، وقال لهما: إنكما تجتمعان في البداية وتفترقان في النهاية، فاختلفا في نهاية أمرهما حتى أن الحبيب أحمد بن هاشم يقصد الحبيب عبدالله الحداد ليزوره فلا يواجهه، والحبيب عبدالله الحداد يخرج إلى الحُسَيِّسَة ليواجه أخيه السيد أحمد بن هاشم فيعتذر منه ولا يواجهه، والسيد أحمد بن هاشم طلب من الحبيب عبدالله الحدّاد وصية فألَّف له رسالة المعاوَنة.

وقال أيضاً: كان الحبيب أحمد بن محمَّد الحبشي صاحب الشعب له من العمل ما لا يُطاق، وكان إذا أكل من التمر يُصلي بعد كُل علجوم ركعة، وكان يِسْرَح من الحُسَيِّسَة كل يوم فيحضر مدرس شيخه الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات، وكان يجي قبل المدْرَس ثم يرجع، وكان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وكان يحتطب ويبيع الحطب ويقتات بثمنه، وهكذا عمل الأكابر وأبهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة من ديوان الحبيب عبدالله الحدّاد: الله ينفعنا بسلفنا الصالح ويُدخلنا في زمرتهم ويجمعنا بهم هذه الطريقة حق سلفنا العلويين من أحسن الطرائق وأسهلها، الحداد بينّها لنا وسلفنا العلويون بيّنوها لنا وسلكوها حتى فازوا بما أمّلوا، قال الحبيب عبدالله الحداد:

وقد تحققتُ أن الخير أجمعه ضمن اتباعي لجدّي المصطفى الهادي

ونحن كذلك نتحقق أن الخير بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، والحبيب عبدالله الحداد أردف التحقيق بالعمل بما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم، واتّبعه قولاً وفعلاً وعملاً وعلماً وعادة وعبادة حتى أعطوه ما يؤمله وما يرجوه حتى تبجّح وقال:

واتحفوني بسرٍّ لو أبوح به لشاعَ في الناس لوّامي وحُسّادي

وأما نحن يا الجهلة المغترين بجهلنا، نتحقق ونعلم أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حق وغيره باطل، ولكن اتبعنا نفوسنا الغويّة وأهويتنا والشيطان الذي يُسوّل لنا ويُروّج لنا الخير في معرض الشر، قال تعالى: (وأَمّا مَن طَغَىٰ وآثَرَ الحياةَ الدُّنيا فإنَّ الجحيمَ هِيَ المأوَىٰ) والمقام الثاني قوله (وَأَمّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهوَىٰ) ما أعطاها على ما بغت (فإنّ الجنّةَ هِيَ المأوَىٰ).

أهل الله يشتّوفون إلى ما يقْدُمون عليه من جنات وحور ونعيم، ويزدادون في عباداتهم وقيامهم وصلاتهم تلذُّذاً، وعادهم با يحصّلون أكبر من هذا

وهو رِضَىٰ الرَّب عنهم .. «وأكبرُ مِن هٰذا رِضا الرَّب عنهم»

ثم قال :

أم كيف أنسى لهم عهداً وقد منحوا محضَ الودادِ وجادُوا قبل إيجادي

يعني منحوه النظر إلى ٱللَّه ورسوله ورؤية الأشياء عدم محض، صوّر نفسك كأن لاشيء، ولا تمد كفّك إلى غير كريم الوجه، ولا تؤمّل من يتغير حاله وتزول نِعَمُه ويفوت هو وماله، والباقي هو الحي الذي لايموت لا تعتمد إلّا عليه في كل أحوالك، وتضرّع إليه بالانكسار والابتهال كي يرحمك ويُعطيك أملك ويُقرّبك مثل ماقرّب الحبيب عبدالله الحداد حيث يقول :

أم كيف أنسى لهم عهداً وقد منحوا محضَ الوداد وجادوا قبل إيجادي

يستاهل حبوه وقرّبوه يومه عمل مثل أعمال سلفه الصّالح ونبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم :

«قَدَمًا علىٰ قَدَمٍ بجدٍّ أو زَع»

وفي الأخرىٰ يقول :

واحمل نفسي ما استطعت على اقتفاء سبيلهم حتى أوسّد في الرّمل

حد با يقول مثل الحدّاد وبايعمل مثل أعماله حتى يفوز في الأخرىٰ بأحسن بُغية وأعظم مطلب، لكنه قال في القصيدة الأخرى تبجّحاً ويستاهل وهو مشى على سَنَنهم وطريقهم قال :

مواريثهم فينا وفينا علومهم　　وأسرارهم فليسأل المترامي

ألحقوا العلم بالعمل، وفازوا بالأمل، وأمنوا من الخوف والوجل، في يوم القيامة اليوم الطويل، وسُقوا من المشرب الأهنى، وارتووا من السرّ الأسنى، كما قال الحداد:

وارتوى من شراب القوم في زمرٍ　　من عارفين وأقطاب وأوتادِ

أما هو فقد شرب وارتوى وسُقي من حياض اليقين والعرفان. أمّا نحن غرّت نحن الآمال وآثرنا دار الخيال وغفلنا عن مصارعنا والانتقال. وآثرنا النعيم الزائل وتركنا المُلك الخلدي والنعيم المستمر الأبدي. الله يجعل لنا واعظ من عند أنفسنا، ويرفعنا من حالتنا إلى حالة أحسن منها، ويهدينا إلى الصراط المستقيم والطريقة المحمدية التي لا عوج فيها ولا أمتا. ويُولج الوعظ إلى القلوب. ثم قال الحبيب عبدالله الحداد:

وأوقد النور في مصباح واضحةٍ　　نورٌ على نورٍ من فتحٍ وأوراد

نور السلوك ونور الجذب قد جُمعا　　فأشرقا بين زُهّاد وعُبّاد

قال الله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ).

الله يجعلنا ممن هداه لنوره واصطفاه لتلاوة كتابه وسماع سُنّة نبيه محمّد

صلى الله عليه وسلم، وأوقد النور بالسّليط والزيت حتى يُضيء قلبه وباطنه وجوارحه وظواهره وصار قلب يزهر (اللّه نور السّمواتِ والأرض) لا تأخذه هوى ولا حوى (نورٌ على نور) وفي البيت الثاني الحبيب قدّم السلوك والأول الفتح «بين زُهّاد وعُبّاد» هؤلاء المقربين (وأصحابُ اليمين ما أصحاب اليمين في سِدْرٍ مخضُودٍ وطلحٍ منضُود وظلٍّ ممدُودٍ وماءٍ مسكوبٍ وفاكهةٍ كثيرةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ وفُرُشٍ مرفُوعه) وأمّا من أعطى النّفس هواها ولم يُفكّر في عُقباها وتمنّى على اللّه الأماني فقد خاب وخسِر (وسيعلم الّذين ظلموا أيّ مُنقلبٍ ينقلبُون) (إنّا أعتدنا للكافرين سلاسِل وأغلالاً وسعيرًا) (جهنّم يصلونها فبئسَ المِهاد) (وقد خاب من دسّاها) (فإنّ الجحيم هي المأوى) (وغرّتكم الأماني وارتبتُم وتربّصتُم وغرّكم باللّهِ الغرور) والجناح مقصوص «ولا بد الطير مقصُوص الجناحين فرْ»، والحبيب عبداللّه يقول في القصيدة الأخرى:

يا اللّه بذرّة من محبة اللّه   أفنى بها عن كلّ ما سوى اللّه

حُكي أن رجلاً جاء إلى عند ولي من أولياء اللّه وقال له: ادع اللّه أن يجعلني من مُحبيه، فدعا اللّه فأعطاه اللّه إياها، فصُرع الرجل من حينه، وبقي أيامًا لا يُنْتفع به ولا ينْتفع بنفسه، ثم سأل الولي أن يخفف عنه، فقال له الحق جل وعلا: إنّا أعطيناه جزء من مائة جزء من ذرة من محبتي، وإنهم سألوني مائة ألف فأنزلت بينهم ذرة من محبتي، ثم خُفّف عنه فأفاق.

ونحن والعياذ باللّه غلبت علينا محبّة الشّهوات

الفانية والدنيا الزائلة واللذات المائلة، كما قال عبدالله الحدّاد :

تملّكهم حُبُّ الحظوظ وشهوة الـ ... ـنفوس فقُل يارب عافِ من الفتن

والزمان زمان فِتن وسوء وهوىً وتَبَع للنفوس وقيادة للشيطان .

وزمانٌ عكِّسَت أحوالـه ... صار فيه الوجه في حدّ القفا

وأيُّ ذنب أعظم من حجاب القلب عن الله، وأيُّ ذنب أعظم من الغفلة، وأيُّ ذنب أعظم من القسوة، قال الحبيب علي بن محمّد الحبشي :

أيُّ خَطْبٍ أجلّ من فَقْدِ قلبٍ ... مالَهُ رغبةٌ إلى الفانيات

وقال في الأخرى: «حُجِبُوا وحسبهم الحجاب عذاب ... الخ»، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: « أيُّكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: مالُهُ ما قدّم لآخرته ومالُ وارثه ما خلّفه بعد موته» مَنْ مِنكم يؤثر آخرته على الدنيا، قال الله تعالى : (مَثَلُ الّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم في سَبيلِ اللهِ كمثلِ حَبّة أنبتَتْ سَبعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنبلَةٍ مِائَةُ حَبّة واللهُ يُضاعِفُ لمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم) وهذا صدق أوكذب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم صدق أوكذب، إن كذّبناه كفرنا والعياذ بالله، وإن صدّقناه وجب علينا العمل فيما جاء به وفيما قال، والحديث الآخر «يضاعف الله القرض بسبعمائة» إيّات أولى للإنسان يوم يربح في عشرته قرش واحد أو يوم يربح سبعمائة (وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنّ قَوْمِي اتّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (كِتَابٌ أنزلناهُ إليكَ مُبارك ليدّبروا آياته وَليتذكّر أولوا الألبَاب) ماهناك تدبُّر ولا تذكُّر ولا اعتبار ولا رجوع

ولا إنابه ولا ادِّكَار.

ولا اعتبرتَ إذا شاهدتَ معتبرًا   تراه بالعين أو تسمعه بالأذنِ

ولا ارتقاء ولا عمل ولا زُهد ولا إخلاص ولا ولاء، غير في الحضيض الأسفل. انظروا حالة المُقرَّبين وأهل اليمين، وسمعتوا الحبيب عبدالله الحدّاد يقول:

واتحفوني بسرٍّ لو أبوح بـه   لشاع في الناس لوّامي وحُسّادي

من منكم بغا ذا المقام و بايعمل به، أين لي يتشوقون، كأن نحن لا نُدرك ولا نعرف ولا نُميِّز بين الفريقين، وعاد نحن شُفنا الوجيه الزينة البِيض النَّقيه لي تُنظر عليها الجَلال والجَمال والبهَاء، ولا يأتي زمان إلّا والذي قبله خير منه، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «خير القُرون قَرني ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يَلُونَهم» وهو ظاهر مُشاهد، وإذا قرأنا مناقب أهلنا وسلفنا اهتزّت لها القلوب وغَشِيَتها الرحمة، تَنزِلُ الرَّحمة بذكرهم، هُم أهل الخشية والخضوع وإسالة الدموع وقيام الدياجر وصيام الهواجر، سمعتوا الخطيب يقول: اجعلوا سِيَرَ الأولين فيها أسماركم، وأجيلوا فيما صَنَعَ الدهر بهم أفكاركم، أين أهل الحصون المنيعة والمنازل الرفيعة والأبنية العجيبة والرّحاب الفسيحة، أين الخطيب المُصقع، أين الكريم المَنَّع، أين ذو المال المَتَّع، أين من كان فيه منظر ومسمع وخِلال الشرف أجمع، أخذَتهم والله من الشتات سُحُبٌ هُمَّع، وحامت عليهم من المنون طيورٌ وُقَّع، وعَصَفَت بهم من الأيام ريحٌ زَعْزَع، حتى أصبحوا في فلاة بَلقَع.

تفكّروا فيما ذكرنا، وادبّروا كتاب الله وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن ماشي ثمرات لمجالسنا، ماطلع عمل نحصده مادرينا لِيش، الأسواق ملآنه بضائع لكن مالها نفَاق، والمجالس مالها ثمرات، مطرعلى حجر، لا رهبه ولا رغبه، ماحد يجي مُشتاق، غايته يقول با احفظ ساعة من النهار (فَانقَلبُوا وَهُم يَتَخَافَتُون) وإلّا هذا القرآن كتاب الله يكفي، والسُّنّة المطهرة كلام النبي صلى الله عليه وسلم تكفي، وكلام العلماء العارفين بالله يكفي:

يكفي اللبيبَ كتابُ اللهَ موعظةً   وما أتى من حديث السيد الحسنِ

قال الإمام الغزالي: أما بعد فاعلم أيها الحريص المُقبل على اقتباس العلم، المُظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش إليه، أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاةَ والتقدُّم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك فأنت ساعٍ في هدم دينك وهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك، فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة، ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك، «إلى أن قال»: وإن كانت نيتك من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر، فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مَشَيْت، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سَعَيت، ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن، ولا وصول إلى نهايتها إلّا بعد إحكام بدايتها ولا عثور على باطنها إلّا بعد الوقوف على ظاهرها، جزى الله الغزالي خير، علّم نحن وطرح لنا في كتبه لي ينفعنا في معادنا، وأرشدنا إلى ما فيه نجاتنا، ودَلّنا إلى الطريق

خليفة النبي صلى الله عليه وسلم وخليفة أصحابه وأتباعه الكرام.

والميزان قائم، كلٌّ يُوزن بميزانه العقلي، ويقرأ مناقب وسِيَر أهله وسلفه وما هُم عليه من الخصال المحمودة، كيف كان زُهدهم في الدنيا وصدقهم في معاملتهم وصلة أرحامهم وهجرهم للذات الدنيا، عَبَروا على الحالة المرضية والسِّيَر المحمدية كما قيل:

ومضوا على قصد السبيل إلى العُلا قدماً على قدمٍ بجدٍّ أوزع

الله يردنا إليه مرداً جميلاً، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويحفظنا من المعاصي والزَّلاَّت، ويُبارك لنا في أوقاتنا، ولا يجعلنا ممن خالف أمره وعصاه.

أمَّا ربِّي إلا رحيم بنا، شفيق علينا، ودود بِنا، قال للكفار (إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) لكن بعده وعيد شديد وهو قوله: (وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ) الإعراض أكبر شيء، حرَّم الله عليك حُرُمات فلا تنتهكها بالتعدي، ونَهاك عن مناهي فلا تأتِها، وإلاَّ صِرت كالبهيمة بدليل قوله: (أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) وسبب هذا: الغفلة والجهل والقساوة وخُبث المطعم، أو ضعف الإيمان وهو عِلمه بالأوامر وعدم الإئتمار بها، وعلمه بالمناهي وعدم الترك لها، ما شي (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) عسى ردَّة إلى مولانا، وإقبال على أُخرانا، والركون إلى معادنا وعُقبانا، والميل عن هوانا، والزهد في الدنيا الدنية: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)

على السوابق يدور الشأن .

تدخل الصلاة بلا حضور، ماتدري كم صليت وآه قرأت في الصلاة، وأعظم من ذلك السؤال فيما لا يعني، والغيبة والنميمة والفضول، قال الحبيب عبدالله الحداد في وصف أهل هذا الزمان وفواتهم أعمارهم في غير طائل:

تفيضُ عيوني بالدموع السّواكب ومالي لا أبكي على خير ذاهب

على العمر إذ ولّى وحان انقضاؤه بآمال مغرورٍ وأعمال ناكب

على غُرر الأيام لما تصرّمت وأصبحتُ منها رهن شؤم المكاسب

ناكب عن الطريق التي سلكوها الرجال عن النبي صلى الله عليه وسلم، أين أنت من عمل أبوك، أين أنت من زُهده في الدنيا الدنية.أين أنت من أوصافه وشمائله المرضية ، أين أنت من خُلُقه العظيم ،جات طُعمة الحرام وغيّرت نحن عن لحوقنا بأهلنا الأفاضل (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشّيطان) (إن الشّيطان كانَ للإنسان عدوًا مُبينًا) وقال تعالى : (الشّيطان يعدكم الفقرَ ويأمُركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً) .

بركة النبي صلى الله عليه وسلم نرجوها، وبركة أهلنا وسلفنا الصالح نرجوها ولكن ما ننال البركات إلاّ بالاقتداء بهم والمتابعة لهم، وإلاّ لو جاءت المَنيَّة على غير الحالة المرضية آه با نقول الله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يموت المرء على ما عاش عليه» بايُقبض الانسان وبايُبعث على نيته التي مات عليها، والطريق طريقين: طريق كسب وهي الكثيرة، مايجيك شي إلاّ بكدّ اليمين وعرق الجبين، وطريق وَهْبي وهو النادر.

ثم قال رضي الله عنه للشيخ عبدالرحمن بن محمد عرفان حين قال له: أنا في سفري هذا كتبت وجمعت كلام الحبيب عبدالله بن محسن العطاس، قال له: حِفظ أنفاس الصالحين والأولياء خير من جمع وحفظ الدراهم والدنانير.

وبعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله الحدّاد التي مطلعها:

ما في الوجود ولا في الكون من أحدٍ   إلاّ فقيرٌ لفضل الواحد الأحد

قال للمنشد: أحسنت أحسن اللهَ إليك، ورزقنا الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه، ونفعنا ببركاته والسلف الصالح، ورزقنا التخلُّق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم، والمشي على طريقهم القويم وسَنَنهم المستقيم، اللهَ يفتح على قلوبنا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. قال الحبيب عبدالله:

ما في الوجود ولا في الكون من أحدٍ   إلاّ فقيرٌ لفضل الواحد الأحد

إلى أن قال: «اللهَ اللهَ معبودي وملتحدي»

وكلُّكم كما وَصَف الحبيب عبدالله محتاجون ومفتقرون إلى اللهَ ولكنكم ذاهلون عنه، قال اللهَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ استغرقتكم محبة الدنيا والميل إلى الشهوات العاجلة، والرّكون على الدنيا الفانية والدار الزائلة، يُصلِّي الواحد منكم ولا هو داري كم صلّى ولا آه قرأ، تمر الأيام علينا في غفلة ونحن نفرح بها، ما نحن داريين أنها ضياع أوقات

ومن شق الأعمار، غافلين ولا نحن غافلين .

يسرُّ المرءَ ما ذهَبَ الليالي وكان ذهابُهن له ذهابا

ما نحن داريين إن نحن فقراء إلى الأعمال الصّالحة والمقاصد الحسنة والنيات الكاملة والأعمال الصافية الخالصة من جميع الشوائب والكدورات مثل العجب والرياء والكبر وغير ذلك من الأعمال المذمومة، معوِّلين إلاَّ على شهواتنا ولذَّاتنا ونهمتنا في الدنيا الدنية، قال صلى اللهَ عليه وسلم: «منهومان لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب» من طلب من الدنيا زائدعلى ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر.

قصَّرنا في الأعمال وقصَّرنا في الاشتغال في القُرَب، وأدْبَرنا وأعْرَضنا عن المولى ووعده، وتعرّضنا لوعيده وتهديده، لا خوف ولا رجاء ولا إقبال ولا صدقات ولا صلة أرحام ولا أعمال خَفِية، قال صلى اللهَ عليه وسلم: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه».

اللهَ اللهَ لا أبغي به بدلاً اللهَ اللهَ مقصودي ومُعتمدي

أين الاعتماد عليه، أين الثقة به، أين التوكل عليه، أين التعلق به، كأن الجنة في قبضة أيدينا، والمنازل ما نحن من أهلها، ومعتمدين إلاَّ على الدرهم والدينار والصندوق، وكأنّا ما نقرأ (إنّ إلينا إيابهُم ثُمّ إنّ علينا حِسابهُم) أتظنون أنكم غير مسئولين أو غير مُحاسبين أو غير راجعين إلى مولاكم،

تمرُّ الآيات علينا مرَّ المهبّ والرّيح، ونحن في غفلة ورقود ونوم وجهل (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) وأيُّ ذنب أكبر من الإعراض.

شَهِد علينا كتاب الله، وشهدوا ملائكته وأنبياه ورسله وأوليائه والعلماء الراسخون والعِباد الصالحون، وسيؤدون شهادتهم ويُسألون عنها، بل حتى الأعضاء كل واحد منا تشهد له أو عليه، بدليل قوله تعالى: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) والآية الاخرى (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) مرّت الأعمار في غفلة (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) إذا بلغ الإنسان أربعين سنة آن له التذكر، هذا معنى قوله: (مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) والنذير هو الشيب، قال البوصيري:

كنتُ في نومة الشباب فما استيـ ... ـقظت إلّا ولمّتي شمطاءُ
وتماديت أقتفي أثر القـو ... ـم فطالت مسافة واقتفاءُ
فورى السائرين وهو أمامي ... سبلٌ وعرةٌ وأرض عراءُ

صاحب الغفلة في غفلته، وصاحب الرّبا في رِباه، وصاحب الشُّح في شُحِّه، وصاحب الرّاحة في راحته، لقُّوا المواسم ومجالس الخير والوعظ

لأجل تنبهون وتثورون من غفلتكم، وأقاموا الخيرات والعلماء ينصحون كل يوم بضائع تُعرض غالية، مُعرِضين عنها ومدبِرين بها، عادلنا ردَّه أونهضة سمعتوا الحبيب عبدالله الحدّاد:

يازائري حين لا واشٍ من البشرِ والليل يخطر في بردٍ من السهرِ

أينكم منها، أينكم من معانيها، أينكم من الاتعاظ بما فيها، أينكم من جواهرها ودُررِها، أينكم من العمل بما فيها، أينكم من حِكمِها وأسرارها، أين من يفهمها أينكم من قولـــه:

يا أيها الروح هل ترضى مجاورةً على الدّوام لهذا المُظْلِم الكدِرِ
وأين كنتَ ولا جسمَ تُساكِنُه أَلَسْتَ في حضراتِ القُدس فاذكرِ
تأوي مع الملأ الأعلى وتكرعُ مِن حِياض قدسٍ كما تجني من الثمرِ
تأتي عليك نسيم القُربِ مُهدية عَرْفَ الجمال كعرفِ المندلِ العطرِ

«يا أيها الروح هل ترضى مجاورة»، من عَرَف ضيعة العُمر وإفراطه وعدم رجوعه فيما سلف:

مثبّطاً في حضيض الحظِّ همّتُه في لذة البطن والمنكوح والنظرِ
تقوده شهوات فيه جامحةٌ حتى تزجَّ به في لُجّةِ الضَّررِ

وهل ترضى مجاورة من هو أسير نفسه وشهواته ويتمنى على الله الأماني وهو بعيد على الطريق البتية والسُنّة المحمدية، قال تعالى: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) عَمِيَت البصائر، وغطّى الرّان على القلوب (كَلَّا

بَل رَانَ عَلى قُلوبهمِ مَا كَانُوا يَكسِبُونَ كَلاّ إنهُمْ عَن ربِّهِم يَومئذٍ لمحجُوبُونَ ثمّ إنهُمْ لصَالوا الجحيـم ثمّ يقَالـُ هَذَا الَّذي كُنتم به تُكذّبُونَ) (احْشروا الّذِيْن ظَلمَوا وأزواجهُم ومَا كَانُوا يَعبدُونَ مِنْ دُوْنِ اللهَ فاهْدُوهمْ إلى سَوَاءِ الجحِيمِ وقِفُوهُم إنّهُمْ مَسؤُولُونَ) جلسنا للرّوحة، الأجسام والأشخاص حاضرة، والقلوب والأرواح ماحدهي، ماهكذا كان السّلف رضوان الله تعالى عنهم، ولامَشوا على مثل مامَشينا، ولاتحققوا بما تحققنا. قال في وصفهم الحبيب عبدالله الحداد:

وقد درجَ الأسلاف مِن قبل هؤلاء وهمّتُهم نيلُ المكارمِ والفضلِ
لقدرفضوا الدنيا الغرور وماسَعَوا لها والّذي يأتي يُبادرُ بالبذلِ
ففيرهُمُ حرٌّ وذو المال منفقٌ رجاء ثواب الله في صالح السُّبلِ

وفي القصيدة الأخرى في وصفهم وماهم عليه من الأعمال والآثار الحسنة:

قومٌ إذا أرخى الظلام سُدولـه لم تُلفِهم رَهْن الوِطا والمضجعِ
بل تَلْقَهم عُمدَ المحارب قوّمَــا لله أكرم بالسجود الرُّكّــع

جلسنا ما أظن أحد أخذ شي من هذه الأعمال، أو تشوق لها، أو حاكته نفسه على العمل، حد بايؤخذ شي من هذه البضائع أو بايرجع خَلي، حد بايزرع من بقية عمره و بايتخذ له زاد للسفر الطويل أوّلاً، حد بايتذكر و بايرجع عن سوالفه، عاد شي اتعاظ وادّكار أو تدخل من هذه الأذن وتخرج من الأخرى:

البدار البدار قبـل الفواتِ إنما أنتَ عُرضَة الآفاتِ
بادِرِ الفوت قبل أن تَقْطَعَنّك دون ماتبتغي حُتُوف المماتِ

ما أراكَ مشمِّرًا والليالي ... سوف تُدني إليك ما هو آتِ
إنما رأس مالكَ العمر فاعمـر ... ه بفعل الجميل والمكرماتِ
واتخذه مطِيَّةً تَمتطيها ... في سلوك السبيل في الدرجاتِ
وجوادًا تطوي عليه مدى هـ ... ـذه الدنيا لتبلُغ الغاياتِ

والرسل كل يوم فينا، والآفات كذلك، حد بطنه وحد رأسه وحد به حُمّى، وحد شرد عليه المال افتقر وحديشكي، إلى أن تأتي الداهية الكبرى، الموت ينزل بفناء كل واحد منا، ولكن أين من يُفكِّر لها، كثيرًا ما قرأنا في قِصَر الأمل، ونحن نزداد تطويل للأمل، أو كأنا ما بانموت، في كان في روضة يتجدد لنا العمر فيها:

على نفسه فليبك من ضاع عُمْرُه ... وليس له منها نصيبٌ ولا سهم

وهي حالتان: حالة أصحاب اليمين، والأحسن حالة المقربين، وأصحاب اليمين (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) هذه أوصاف أهل النار وما هم عليه، وسمعتوا أوصاف أهل الجنة في عليين، ونحن لا نحن من أهل الخيول السوابق ولا الحُمر السَّوابق

همومهم في لذة الفرج والأكل

وفي جمع مال خوف فقرٍ فأصبحوا وقد لبسوا قمصًا من الجبن والبخل

الزمان إلى إدبار، وأهله إلى انهماك في اللذات والشهوات ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أقسم الله بعمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

إن أقمتوا المدرس جسم بلا روح، وإن تركتوها ضيعتوا الشعار، الذوق قاصر والشوق ماشي، كلكم مخاطبون ومسؤلون يوم القيامة، الطالب والمطلوب والذاكر والمذكر على وتيرة واحدة، لي قدم الأول يتبعونه كما البرابر، الحالة هذه إن تنافسنا تنافسنا على دنيا أو رسم أو هوى أو شهوة، وسمعتوا في الخطبة ما بانلاقونه يوم الفضائح يوم الفزع، أين لي يتذكر، أين لي يحب نفسه، ألا راحم نفسه، ألا نادم على ما فرط من أمسه، ألا مقلع من ذنبه، ألا منيب لربه، ألا خاشع، ألا باك على ما سلف من يومه، معاد تحصل من يتذكر، الوقت ذا يتهادون على إسقاط الزكاة يدورون للحيل، قيل: أين الناس؟ قال: راحوا في الكاس، وهو حب الدنيا والميل إليها ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» ويدل هذا على أنّ بغضها رأس كل قربة.

ما حد رجع من المدرس بفائدة أو موعظة أو نصيحة أو خير جم ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ مع أنا نظن أنّ معنا نوع علم ومعرفة ويقين، ودارين أن ما قاله الله ورسوله حق، وأن العمل عليه هو الصواب، قال تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ آه بعد الرد

(يُنبِّئكم بما كنتُم تعملُون) هذا فائدة الرد (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ).

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله الحداد التي مطلعها:

إذا شئتَ أن تحيا سعيدًا مَدى العمر ... وتُجعَل بعد الموت في روضةِ القبرِ

قال: أحسنت أحسن الله إليك، ونفعنا ببركات الصالحين وبركات النبي صلى الله عليه وسلم، هذه الوصية للحبيب عبدالله الحدّاد من أحسن الوصايا، جمعت ما جمعت الحبيب عبدالله الحداد روّى نحن ما نشاهده وما بايقع فينا من موت وقبر ونفخ الصُّور وعرض على الله وميزان الحسنات والسيئات والصراط وحوض النبي صلى الله عليه وسلم والخلد في الجنان والنظر إلى وجه الله الكريم وغير ذلك، وأرشد نحن إلى ما فيه النجاة، قال في أولها:

إذا شئتَ أن تحيا سَعيدًا مدى العمر ... وتُجعَل بعُد الموت في رَوْضة القبرِ

وتُبعث عِند النفخ في الصّور آمنًا ... مِن الخوْف والتهدِيد والطَّرد والخسرِ

وتُعرض مرفوعًا كريمًا مُبجّلاً ... تُبَشِّرك الأملاك بالفوز والأجرِ

وترجح عند الوزن أعمالك التي ... تُسَرُّ بها في موقف الحشر والنشرِ

وتمضي على متن الصراط كبارقٍ ... وتشرب من حوض النبي المصطفى الطهرِ

وتَخْلُدَ في أعلى الجنان مُنعَّمًا ... حظيًا بقرب الواحد الأحد الوترِ

وتنظره بالعين وهو مقدس   عن الأين والتكيف والحد والحصر

أي إذا أردت أن تحيا سعيداً مدة عمرك، وبعد الموت تُجعل في روضة القبر:

القبر إمّا روضة نعيمه   نعم وإلّا حفرة جحيمه

فاعمل لنفسك لا تكن بهيمه

وتُبعث يوم القيامة آمناً من الخوف والوجل، وتُعرض على ربك كريماً مبجلاً، والملائكة تُبشرك، وميزان الحسنات يرجح عندك، وتمر على الصراط كالبرق الخاطف، وتشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ويخلدك ربك في أحسن الجنان، وانته تحظى[1] بقربه تعالى منك، وتنظره بعينيك الباصرة، عليك إلّا خصلة واحدة، وهي قوله:

عليك بتحسين اليقين فإنه   إذا تمّ صار الغيب عيناً بلا نكر

أي يصير الغيب تراه عندك كالمشاهدة لديك، والقصيدة معاد تحتاج شرح، وهي واسعة الأطراف بعيدة الجوانب، يُمكنّا نتكلم عليها بكراريس، ولكن أين من يعقل الكلام، وأين من يستمع له، وأين من ينصت، وأين من يلقي باله، قرينا ولا قرينا، وسمعنا ولا سمعنا، القلوب قاسية، حكى الله عنها بقوله ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ والران اسوداد القلوب «إن العبد ليذنب الذنب حتى يُنكت في قلبه نكتة سوداء، ثم يذنب فينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يَسْوَد القلب كله فذاك الران» والران كله مايقع على المنظرة من كدر يقال له ران، وسبب هذا كله محبة الدنيا والميل إليها[1] ووقعها في القلوب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل أمة عجل، وعجل أمتي

الدينار والدرهم» قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ونحن نخاف من الغضب أن ينزل بنا، لأنا اتخذنا حب الدنيا عجلنا، قال بعض العارفين: إني أذكر عند قولي في الصلاة (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) أخاف أن أكون من المغضوب عليهم بمحبة الدنيا، من باب قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ).

وأصل العجل هو ما أخذه السامري من ذهب آل فرعون على صورة البقرة «له خوار» أي صياح (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) ومن غضب عليه ربه لعاد باتنفعه صلاة ولا صيام ولا قيام ولا صدقة ولا تلاوة ولا عبادة إلاّ إذا رضي عليه مولاه، شو نحن في حالة ما يرضاها الله ولا رسوله (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ) ملائكة يكتبون قفانا، أما السيئات باتجدونها كلها محصية في كتاب (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) وأما الحسنات إن شي باتحصّلونها كلها مدخولة بالرياء والعجب والسمعة والكبر وغير ذلك من الشوائب المحبطة للأعمال، وكلنا والعياذ بالله أعمالنا مدخوله، إلاّ من رحم الله وقليل ما هم نعم في الزمان خبايا، إلاّ أنهم مستورون وخاملون:

أكلُّهم ماتوا أكلُّهم فنوا ... أم استتروا لما تعاظمت الفتن

وأول القصيدة:

مضى الصدق وأهل الصدق يا سعد قد مضوا ... فلا تطلبن الصدق من أهل ذا الزمن

والقصيدة الأخرى:

أكُلّ أهل الهدى والحق قد ذهبوا ... بالموت أم ستروا يا صاحبي فقُلِ

هذا الزمان الذي قد كان يحذره ... أئمة الحق من حبرٍ ومن بدلِ

هذا الزمان الذي عمَّ الحرام به ... والظلم من غير ما شكٍ ولا جدلِ

عسى المفضل المولى الكريم بمنّـهِ ... يجود على ذنب المسيئين بالغفرِ

والمغفرة هو أن يجعل المولى بينك وبين العصيان حجاب، ويمحو عنك ما اقترفته من قبل، ويرحمك حتى لا تعصيه، ورجانا في الله جميل وظننا حسن، ولكنّا ما حصّلنا معنا أعمال تكون سبب للرجا.

وقال في هذه القصيدة:

وأوصيك بالخمس اللّتي هنَّ يا أخي ... عماد لدين الله واسطة الأمر

وحافظ عليها في الجماعة دائمًا ... وواظب عليها في العشاء وفي الفجر

هذا البيت اقتباس من القرآن (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى) وأين المحافظة للصلوات، وأين الحضور والخشوع لها، تدخل الصلاة بلا قلب ولا أدّكار ولا اعتبار ولا تدبر لآيات القرآن، آه مسوّغ للرجا، خائفين من قوله (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) وأين طعام السائل

وأين (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).

أمس قرأت في الصَّلاة (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) إلى آخرها، فوجدتها سبع آيات كلها شِداد، أولها (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) والدِّين يوم الجزاء يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم، يقول له يعجبك الذي يُكذب بالدِّين (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) يدفع ويطرده، قال تعالى: (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) وأما الآن والعياذ بالله عادهم إلا يدخلون على أموال الأيتام حتى يتلفوها ويهلكوها، (وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) عَادُة إلا ينهره إذا جاء إلى عنده، ويأنف من مقابلته وكلامه. (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) كلها آيات شِداد، وكلها واقعة فينا، نخاف عقوبتها تنزل بنا في الدنيا والآخرة، ولا قيام باليتيم ولا إطعام السائل والمسكين (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) والزَّمَانُ زمان سوء:

زماننا كأهله وأهلُه كما ترى
وسيرُنا كسيرِه وسيرُه إلى وراء

تنكرت الأشياء وتغيرت وتبدلت:

آية الأنفال والرعد مع الـ
ـنحل لما غيّروها غيّرت

آه عاده بعجب في الدنيا، بانقول آه عادنا، بانقول إلا اللهُمّ احيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي، اشتغلنا بالعَرض الفاني وتركنا الباقي، لعاد

محبة للمسكين ولا نصدق على رحم، قلّت الصدقات خصوصاً على الأرحام، وفي هذا الوقت أكثر، ولا محافظة على الحضور في الصلوات، ولا إقبال على المولى غير نطرح قفا الدنيا، قاطبين قلوبنا عليها، غاية الإنسان يصفّي من الوقت لكل فريضة نصف ساعة للركوع والتسبيح والجماعة، مجموع ما لصلاته ساعتين ونصف حق خمسة فروض، وباقي النهار غافل عن الأذكار، وعن الادّكار والاعتبار، حاسب نفسك «حاسبوا النفوس قبل أن تُحاسبوا، ومهّدوا لها قبل أن تُعذبوا، واعلموا إن كل امرئ على ما قدّم قادم وعلى ما خلّف نادم» لو واحد عنده لك حساب حاسبته حتى على أربع خماسي ما تُسقطها له، وفي يوم القيامة بايقع حساب حتى على الفتيل والنقير والقطمير، إنُّه مال بايقولون لك: من أين أخذته؟ من حلال أو من حرام أو شبهة، وفيم أنفقته؟ أنفقته فيما يُرضي ربك أو في ما يُسخطه، في الصدقة والمعروف وصلة الارحام أو في اللهو والباطل، وماذا عَمِلت في عمرك؟ إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وعن شبابك وصحتك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»، اغتنموا هذه الخمس قبل الخمس الأخيرة، واقبلوا على مولاكم وارجعوا إليه، هذه فائدة المجالس، وإلاّ ما شي فائدة للمجلس إلاّ حفظ الوقت، معاد دربنا إن قمنا بالمجالس قامت الحجة علينا، وإن فسحنا فيها هو ذا لي بغاه الشيطان بايفرح منا، هو ذا مطلبه منا، قال الحبيب عبدالله الحداد:

ولم يبقَ خيرٌ في الزمان وأهـله   وقد هجروا القرآن والعلم والسُّنَن

(إنْ هُمْ كالأنعامِ بلْ هُمْ أضل) قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: لآه أضل من الأنعام، لأن الأنعام لا تفقه ولا تعقل، ترجع تراب، وأما ابن آدم خصَّه الله بالعقل، إن عرفه وقام به وشكر النعمة زاده الله على ما أعطاه، وإن ضيعه آخذه الله به في الدنيا والآخرة، وفي هذه الأيام نقرأ في الإحياء فيما خص الله ابن آدم من النِعم في جسمه، فضلاً عن النعم الأخرى، التي منها الأرزاق وتسخير الأشياء له.

وقال رضي الله عنه: كَثُرَت المجامع وكَثُرَت المواعظ وكَثَّرنا التذكير والناس هُم ذيلاك هُم على حالتهم القديمة، نيام ويزدادون نومًا، قال الشاعر:

كم لي أُنَبِّهُ منك طرفًا ناعسـًا   يُبْدِي سُباتًا كلما نبهتُهُ

فكأنه الطفل الصغير بمهده   يزداد نومًا كُلَّما حركتُهُ

ما أُقيمت الجموع والجُمع إلاّ للتذكير، كلٌّ يأخذ منها قسمه (كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال الحبيب عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه:-

أما والله ما سبب التباطي   عن المحمود من فعلٍ وقالِ

سوى شيئين إما الشك فيما   به وعد المهيمن ذو الجلالِ

وإما غفلة مُزِجَت بحُمْقٍ   وتهويسات بطّالٍ وغالِ

أما الشك فيما وعد الله به كفرٌ صريح والعياذ بالله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأحمق من أتبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والكَيِّس من دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت» ولا أنه داري عادك تعيش آه، سنة أو دون أو أقل أو أكثر،

إنّ أصدق الحديث كلام الله فالزموه، وخير الهدي هدي سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم، قَرِيْنا في مناقب أهلنا، فيها ما يَشفي الغليل، ولكن أين نحن منها ومنهم، هل هناك اقتداء بهم أوْلاً، والمحاريب مهجورة والزّوايا مهجورة.

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله الحداد التي مطلعها:

على ريم وادي الرقمتين سلامي وحسبي به في رحلتي ومُقامي

قال:

يحقُّ لكم يا ابن الكرام التفاخر كما أوّلُ الفضل لكم والأواخرُ
أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المجامِعُ

تَبِعوا علم الكتاب وسُنة الرّسول صلى الله عليه وسلم:

أولَئك ورّاثُ النبيِّ ورَهْطُهُ وأولادُهُ بالرّغم للمُتَعَامي
مواريثهم فينا وفينا علومهم وأسرارُهم فليسأل المترامي
وإنّا على آثارهم وسبيلِهم وما نحن عن حقٍّ لهم بنيامِ

واليوم من يقول مثلهم، ومن يحكي حكاياتهم، بيننا وبينهم بُون جَمّ وبُعْد كبير، أين الثرى من الثريا، لا علومنا كما علومهم، ولا آدابنا كما آدابهم، وأين ورعنا وأين زهدنا، أين التصدق وأين الآداب وأين الأبصار الخاشعة:

أفٍّ لنا ولهمّةٍ منّا دَنَتْ هلاّ علت وأَتَتْ بِفعلٍ يُغْبَطُ

لا علمنا كما علمهم، ولا زهدنا كما زهدهم، ولا ورعنا كما ورعهم، بيننا وبينهم

بُعْدُ كبير:

كنتُ في نومةِ الشّبابِ فما استيـ قظتُ إلاّ ولِمّتي شمطاءُ

وتماديْتُ اقتفي أثر القـو مِ فطالت مسافة واقتفاءُ

فورى السائرين وهو أمامي سبلٌ وعرةٌ وأرضٌ عراءُ

كم لي أنبّهُ منك طرفًا ناعسًا يُبدِي سُباتًا كلّما انبهتهُ

فكأنه الطفل الصغير بمهده يزداد نومًا كُلّما حركتُهُ

قال الحبيب عبدالله الحداد في وصف أهل البيت الطاهر رضي الله عنهم:

فلا تغرقَنْ في وصف حوراء كأنّها من القاصرات الطّرف جوف خيامِ

نمتها القروم الصيد من آلِ هاشمٍ إذا انتسبت جاءتْ بكلِّ همَامِ

وخير وصيٍّ بعدهُ وابن عمّه عليّ الرّضا الجالي لكل قتامِ

«القروم الصيد» هم أهل النفوس الزكية المطمئنة الراضية المرضية، وأما نحن (ورَضوا بالحياةِ الدُّنيَا واطمأنوا بها) نفوسنا تميل إلى الشّهوات واللذّات، وهي عما قريب تُشاهد الحسرة وتقرع سن الندم على فواتها (إنَّ الّذِين لا يرجُونَ لقاءَنا وَرَضوا بالحيَاةِ الدُّنيَا وَاطْمأنوا بهَا وَالذِين هُم عَن آياتِنَا غَافلون) الله يردنا إليه مَرد جميل، ويجعل للذكرى وَقْع في القلوب (فَذكّر فإنّ الذّكرى تنفعُ المؤمِنين) الله يجعلنا من المؤمنين الكاملين، ويُكرمنا وأهل عصرنا بما أكرمهم، ولكن الحركات والأفعال شواهد، كلٌّ يَشْهَد له أو عليه فعله (يوم تَشْهَدُ عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانُوا يعملون).

قال الحبيب علي بن محمد الحبشي :-

تخلفتُ عن أهلي وتلك مصيبةٌ بليتُ بهـا قد أوهت الجسمَ والعظما

بيننا وبين أهلنا بُعد كبير ومرحلة بعيدة ، وطريق طويل ومسافة ، ما هي المسافة التي إلى الشحر وجاوه ، مسافة الأعمال والأحوال (يَومئذٍ يوفّيهمُ اللّهَ دِينَهم الحقّ ويَعلمُون أنّ اللهَ هُو الحقُّ المبيْن) قلوبنا مصروفة عن الحق ، وأعمالنا تُكذِب بيوم الحساب ، ولا خوف ولا رجاء ولا رهبة ولا رغبة ماشي ، قال الحبيب عبدالله

ثَبَتُوا على قدم الرّسولِ وصحبِهِ والتابعين لهم فَسَلْ وتتَبّع

بيننا وبينهم عقبات صعبة المُرتقى ، نحن ننتسب إليهم نَسَبْ ، لكنه طيني ماهو ديني ، أما الديني إذا وَرِثت صبره أو زهده أو علمه أو مجاهداته ، عاد لنا ردّه أو تدارك ، أوْهي إلاَّ قدها نومة ، فزعانين لعاد تقع فيها موته (فَوَيْلٌ للقَاسِيَة قُلوبُهم مِن ذِكرِ اللّه) (ثمّ قَسَت قُلوبكم مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحِجارَة أو أشدُّ قَسْوَة) آه الحالة لي نحن فيها ، لو رأوا نحن السلف إن كانوا اتبرّوا مننا ، نسمع مناقب الحبيب سقاف ومن أخلاقه ، إيات قميص من قُمصانه لَبسنا وإيات رادي ارتدينا ، ننتسب إليهم نسبة ظاهرة والباطنة ماشي ، أين زهدنا من زهده ، وعلمنا من علمه ، نعم لو شي جرائد أو مثلها إن كان قمنا نُدَوّر لها ونسعى في طلبها لأنها حق أهلنا ، والعلم والعمل ما كان حقهم ؟ فزعانين أنهم يقولون ننقطع في خِرَق الصغير ، ماشي انتباه ، مثل ما قال الحبيب علي : ناس إذا ذكرتهم تحركت أرواحهم . سمعنا كلام الحداد وغيره من الأمجاد يقول في

وصف أهل البيت الطاهر رضي الله عنهم:

من الفاطميين الدُعاة إلى الهدى قد انتهجوا في نهج خير إمــام

آه معنا، ما معنا إلاّ الدّعاوي، أبويْ كان كذا وعمله كذا، وإنته لآه ما تِتبْعَه، إذا مــا اتبعناهم رجعنا أدْعِياء، والدّعي من لا أُله أبو، عسى حد يتحرك .

اطلب العلم النافع الذي يُقرّبك إلى ربك، قال الإمام الغزالي: وهو الذي يُقلّل رغبتك في الدنيا.قال ولد علوي رضي الله عنه:

ضاعت الأعمارُ في قيلٍ وقالـــ وخيالٍ واشتغالٍ بالمحالـــ

الآن ماشي لاذا ولاذا، لا طلب العلم ولا حفظ الوقت، غير مهملين كالبهائم، الله يردنا إلى الطريق، ويحفظنا من الزيغ والتعويق بحق النبي وآله، بغينا إقامة الصورة وينفخ اللهَ فيها الأرواح على صورة أرواح، ما درينا آه التأخر، أظن أنه طُعمة الحرام والظلم والتلبس بالأخلاق الغربية والشرقية وفقد الأطباء، قال الشاعر:-

وقد ذهب الأُسَاةُ وقد تفانَـوا ووَارَاهُم عن الأبصار تُرْبُ

دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على أم أيمن فبكت، فقالوا لها: ما يُبكيكِ، فقالت: أبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مات وانقطع الوحي، أمّا الآن ما تحصل حد تطرف عينه بدمعة واحدة، قَسَت القلوب وطُبع عليها بالران إن شي رقة أو تحرك هذا وقتها، وإن كان الموت بايجي ونحن على هذه الحالة يا خسارتنا ويا بخسنا.

وَقالــــ رَضي الله عَنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عَبد الله بن

علوي الحداد رضي الله عنه التي مطلعها :-

يارب ياعالم الحالـــ إليك وجهت الآمالـــ

قال : أحسنت أحسن الله إليك، ونفعنا الله ببركات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وببركات الصالحين الذين عرفوا الطريق وسلكوها.

الحبيب عبدالله الحداد يقولـــ :

ياويح نفسي الغويّة عن السبيل السويّه
أضحت تروّج عليّه وقصدها الجاه والمالـــ

وأمّا نحن نمدح أنفسنا ونُكبِّرها، خصوصاً إذا عملنا شي من أعمال البر، رجعنا نُدْخِل عليها الشوائب والكدورات.

ياربِّ يارب الارباب عبدُك فقيرك على الباب
أتى وقد بتّ الأسباب مستدركاً بعد ما مالـــ

«أقبل على طاعة ربّه» (ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ القلوب) (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)

أشكو إليكَ وأبكي مِن شُؤمِ ظُلمي وإفكي وَسوء فعلي وتركي
وَشهْوَة القِيلِ والقَالـــ

يعني اشكو إليْك وأبكي من عدم امتثالي لأمرك، وفعلي لما نهيتني عنه من المحرمات والمكروهات، وعدم الأفعال الحسنة، وشَهْوَتِي القِيل والقَال، من الغيبة والنميمة وسائر ما حرم الله ونهى عنه.

وحبِّ دنيا ذميمه   من كلِّ خيرٍ عقيمه   فيها البلايا مُقيمه
وحشوها آفات واشغال

ونحن معطين الدنيا القياد والقلب والقالب والروح والجسم والهوى ومشغوفين بها، وهي من كل خير عقيمة، وفيها البلايا مقيمة.

ياويح نفسي الغويّه   عن السبيل السويه   أضحت تُروّج عليّه
وقصدها الجاه والمال

نفسي الغوية المائلة عن الطريق، وهذه حالتنا يا الضالين المائلين عن الطريق وأما عبدالله الحدّاد هُوَ مِنْ الفريق الذي قال فيهم:

ثبتوا على قدم الرّسُول وصحبه   والتابعين لهم فَسَل وتَتَبّعِ
ومضوا على قصد السبيل إلى العُلا   قدماً على قدمٍ بجدٍّ أوزَعِ

ونحن نفوسنا غوية عن الطريق، نحب المخالفات ونعرفها ولا ننتهي عنها. (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم) (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم فَهُم لا يُؤْمِنُون) الله يرد الجميع إلى الطريق (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) إيّات فريق أَحْسَن لك تتبعه اتبعه، إن بغيت الفريق لي ماخالفوا النبي صلى الله عليه وسلم اتبعهم وباتُحشر معهم، شل الميزان وأوزن به، وشف إيات أربح لك خذ قداه، وكل شي له علامة، إن تَبِعت المخالفين باتظهر فيك علامتهم وإن تَبِعت النبي صلى الله عليه وسلم باتظهر فيك علامة اتباعك له، ولا تنفع المحبه إذا كانت من غير اتباع، تقول أحب النبي صلى الله عليه وسلم ولا اتبعته

كذّاب، إيّات خُلُق مِن أخلاقه صلى الله عليه وسلم تخلّقت به، وإيّات أمر يرضىٰ فِعله منك فعلتُه، غير عقوق وسخط من أين لك محبته وانته مُخالفه.

إن جاءت النعمه بلا تدوير لها اشكروا الله عليها، وإن جاءتك إلا بكلف ادأب في تحصيلها، واشكر الله على توفيقهِ إياك لها، وإن وقعت والعياذ بالله في مخالفة ارجع إليه، وتضرع بالذلة والانكسار إليه، عساه يرحمك ويمحوها عنك، ومن تخلّف عن النبّي صلى الله عليه وسلم سيّبه النبي صلى الله عليه وسلم وبايتبر أمنه (يا أيُّها النبّي حَسبُك اللهَ ومَن اتبعك مِن المؤمنين) (وَأطيعوا اللهَ ورَسُوله) (ومَن لا يجب دَاعِيَ الله فَليسَ بمعجزٍ في الأَرْضِ) (فَليحذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَن أمرِهِ أن تُصيبهم فِتْنَة أو يُصِيبهُم عَذابٌ أَلِيم) أيُّ فتنة أعظم من المخالفة له صلى الله عليه وسلم اتّبعوه لتزدادوا هدى على هُداكم، وأحبُّوه وأحبُّوا أهل بيته، قال الله تعالى: (مَا كَانَ لأَهْلِ المدِينَة وَمَن حَوْلهُم مِنَ الأَعْرَابِ أن يتخلفوا عَن رَسُولِ اللهِ وَلاَ يرغَبُوا بأنفُسِهِم عَن نفْسِه) إن لاقى الشّدائد بغا نحن نُلاقيها، والحاصل أنه بغا نحن نتبعه في إقدامه وإحجامه قال العلماء: أهل المدينه هم أهل البيت، والآية الأخرىٰ في أهل البيت (يَانِسَاءَ النبّي مَن يَأتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مبيّنة يُضَاعف لها العَذَابُ ضِعفَين وَكَانَ ذَلِكَ عَلى اللهَ يَسِيراً وَمَن يقنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُوله وَتعمل صالحاً نُؤتِها أجرَهَا مَرّتين وَأَعْتَدْنَا لهَا رزْقًا كَرِيمًا) (يَانِسَاءَ النبّي لَسْتُنَّ كأحدٍ مِنَ النِّسَاء إن اتقيتُنَّ فَلا تَخْضَعنَ بالقَولِ فيطمَعَ الّذِي في قَلبِه مَرَضٌ وَقُلنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا وَقَرْنَ في بُيوتِكُن) إلىٰ آخرها، ولكن هم

أهل البيت تخلفوا عن الطريق، عندنا «الناس تبع لقريش» إلى آخره، إنا لله وإنا إليه راجعون، كل زمان يرجع القهقرى، نفتخر بأهلنا ونحن ما اتبعناهم ولا حبّيناهم:

لئن فخرتَ بآباءٍ ذوي شرفٍ لقد صَدَقْتَ ولكن بئسما ولدوا

ارجعوا إلى طريقته واقتدوا به صلى الله عليه وسلم، شو نحن ننقص كل يوم، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، إذا كان الحبيب عبدالله الحداد يتهم نفسه ويقول:

ياويح نفسي الغويّة عن السبيل السَّويّة أضحت تروّج عليّه
وقصدها الجاه والمال

كيف الآن نحن ونفوسنا، وبيننا وبينه ما بين السماء والأرض والثُّريّا والثّرى:

فامنن عليه بتوبه تغسِله من كل حَوبه واعصمه من شرِّ أوْبَه
لكلِّ ما عنه قد حال

تردُّه القهقرى وتُرجِعُهُ إلى وَرَاء، الصُّوفية المحقِّقُون يقولون: رجوع الإنسان من غفلته إلى مولاه أعظم من كذا وكذا من الأعمال الحسنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده من رجل ندَّ عليه بعيره، فسار في طلبه فلم يُدركه حتى تَعِبَ فنام، فلما قام من نومه وجد بعيره عند رأسه وعليه زاده، ثم قال من شدة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدّة الفرح» ونحن من صِغرنا ونحن نعرف الذنوب والمخالفات ولا ننتهي عنها، ونعرف أعمال البرّ

ولا نعملها، با يقولون لك يوم القيامة (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) الآية عقوبة الأعمال الظاهرة تقع في القلب، ماشي عندنا (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ) (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

ونحن لا ادّكار ولا اعتبار ولا رهبة ولا خوف ولا رجاء ولا عمل، ما نعرف شي منهن أبداً (سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أين المسابقة والمسارعة وأين الرغبة، غاية الإنسان يقوم بالفرض والنفل المؤكد والباقي ماشي كله، لا اعتبار ولا حضور ولا تدبر (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى آخر آيات السورة (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) أين الاعتبار بالقرآن، وأين الاعتبار بحوادث الزمان، كل يوم تُشَيِّعون جنازتين، ولا بكاء ولا عويل ولا عمل لما با نلاقيه، ونحن ملاقون ما لاقوه، قال في الخطبة: أتراهم أبعدوا السير أم ذهبوا ويرجعوا.

أين الرجوع والعمل الصالح، أين الوسيلة والزاد ليوم المعاد، قال الله: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) حد مشغول بزوجته وحد بحرثه، وحد ببيعه وشراه، وحد في لهوه وسكرته، كلها عرض فاني (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) إلى آخر آيات

السورة، قرأها النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعه، حزاية تُقرأ في الأسمار، أو تذكّر وادِّكار لأولي الأبصار ليوم القرار، هُوْمِنْ سمع الخطبة والآية واعتبر بها ؟ لو سألت واحد عن الآية التي قرأها الخطيب إن كان حصّلتُه ما سمعها ولا انصت لها، ماهو داري أنّه واجب عليه سماعها، عبروا السوق أخذوا لهم من الحاجة ولا أخذوا من الجمعة حاجة لمنقلبهم، إنا لله وإنّا إليهِ راجِعُون من الغفلة التي شملت القلوب، صلّوا وخبّوا وخرجوا ولا حصّلوا شي، عندي أنا غالبهم إلاّ القليل منهم والله أعلم، عسى رده وانتباه .

قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه :

وقد أتاك بعُذرِه وبانكساره وفقره فاهزم بيُسرِك عُسره

بمحض جودك والافضال

أقبَل على ربّه وتاب مما اقترفه ويدعوه بالذِلة والانكسار، ونحن ما تدبرنا كلام العلماء، ولا سمعنا حديث النّبي صلى الله عليه وسلم، كأنّ الموت على غيرِنا كُتِب وكأن الحقّ على سوانا وجَب، وكأن الّذي نُشيّع من الموتى سَفْرٌ عمّا قريب إلينا راجعون، نُبَوِّئُهُم أجداثهم ونأكلُ تراثهم كأنا مخلدون بعدهم (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) أعرضنا عن القرآن، وإن قرأنا قرأناه هذاً قراءة لا تُجاوز حناجرهم يعني تراقيهم، من قرأ سورة الزّلزلة والعاديات تكفيه (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) آه با تكون حالتك إذا قرأتها، قال: (إِنَّ

الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور) يقرعنا القرآن ولا نفترع، غفلة شملت نحن عن التلاوة وعن التدبر وعن الادكار وعن الاعتبار (فاعتبروا يا أولي الأبصار) أوصافنا مخالفة لأوصاف السلف، الديار لي بنوها خربناها بأيدينا.

قال الإمام الغزالي: تُعرض على العبد أربع وعشرين خزانة على عدد ساعات اليوم والليلة، إذا رأى الخزانة الفارغة يكاد قلبه يتفطر حسرة، وإذا رآها مظلمة ياحافظ ياحفيظ (سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) أعطانا الله العقل والسمع والبصر، صرفناه في غير ما خُلقن له، صرفناهن في تحصيل الدراهم والدنانير وفي جمع الدنيا الفانية: «فامنن عليه بتوبه» الله يرد علينا ما ضاع من علوم أهلنا وسلفنا (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك) نعرف الغش ونعرف (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ولا طريق إلى تزكيتها إلا بإكراهها على كثرة الطاعات من صلاة وقيام وصدقة وتلاوة وحب الخير بجميع أنواعه (فإن الجنة هي المأوى) والآية الأخرى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال الحبيب عبدالله الحداد:

واعلم بأن الخير كله أجمع ... ضمن اتباعك للنبي المشفع

صلى عليه الله ما تشعشع ... فجرٌ وما سالت سيول الاشعاب

الله يهدي الجميع، ويوفقهم لاتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويردهم إليه. غفلة عظيمة، ولهو ولغو وطول الأمل، وحرص على الدنيا وتكالب على الذاتها وقلة عمل للآخرة، معاد بانقول وعدم عمل للآخرة، وإن عمل شي يجيه شي من

المُحبطات يحبطه كلّه، يفكر الإنسان في نهاره كلّه يمضي في لعب ولهو وحرام ومكروه، وإن عمل لآخرته في غفلة، وإيّات صدقة قدَّمها، وإيّات لقمة أو طُعمة أخرجها للمنقلب، كلٌّ يحاسب نفسه قبل أن يُحاسَب، تقرأون كل يوم في الإحياء في محاسبة النفس، وأين المحاسبة لها، إن مرّت علينا القراءة تمر كالبرق الخاطف، بلا ادِّكار ولا اعتبار ولا استبصار، قال الله (فَاعمَل إنّنا عَامِلُون) (تِلكَ آياتُ ٱللَّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ) ونحن على منوالهم وطريقهم، معنا جسم الإيمان بلا روح، والعمل ماشي، والقول ما وافق العمل.

وقَال رَضي اللّه عَنه: الزُّهاد هُم المتنعمون في الدنيا والآخرة، والمسرورون في الدنيا بعدم التفاتهم إلى الفائت، والفائدة في الآخرة بما يلاقونه من رضا مولاهم عنهم ورؤية وجهه، والنعيم المقيم والملك الأبديّ، جاء بعض المحبين وزوجته وابنه إلى عند بعض السّادة الزهّاد وهو الحبيب حسن بن عبدالله الحداد رضي الله عنه ليزوره، فدخل منزله فإذا أحد أرباعه خَرِب، والربع الثاني فيه هو وزوجته، والربع الثالث فيه المرهى والشاة، والربع الرابع فيه الحبيب وزواره، فعَجب الرجل غاية العجَب وقال: ياحبيبي حسن أوصاف دارك عجيبة، فقال له الحبيب: ذه صفة دار من لا يعرف إلاّ حبيبه ياحبيب، حبيبهم أكرمهم بمحبته ومعرفته، ونحن ماعرفناه ولا شكرناه.

وقال رضي الله عنه: كان الحبيب زين العابدين العيدروس يسافر إلى الهند، ويأخذ من سفره في الإقامة وفي الطريق خمس جُمَع يغيب فيهن عن تريم، ويجيب من الهند ثلاثمائة ألف، مائة ألف لطلبة العلم، ومائة ألف للمحتاجين، ومائة ألف لخرجه في بيته، وكان إذا وصل إلى الهند وعَلِم به السلطان يجي للزيارة، فيمنعه من الدّخول عليه حتى يُسلِّم له ثلاثمائة ألف فيسلمها السلطان له حالاً.

ومرة كان جالساً مع جماعته فقال لهم: هل أحد أكرم منّي في هذا الوقت فقيل له: نعم "بامصباح" في تريم أكرم منك، فسكت ثم لما كان ليلة العيد سرى له ليلاً وقد أخذ مضجعه، فدَكَّ عليه الباب فانتبه من نومه، فقام فقال: مَنْ بالباب، فقال له: شريفه با تكلمك في الضيقة، فقال لامرأته: أعلِقي السراج وقومي رحِّبي بالشريفه، قولي لها تطلع إلى المحضرة، فخرجت زوجته ورحبت بها وأمرتها أن تطلع، فاعتذرت لها وقالت لها: لي حاجة بزوجك، فخرج الرجل فقالت له: حبابتك محتاجة، جاءت العيد ولا في الدار لا مصر ولا قرش ولا رأس غنم ولا ثوب، فقال لها: كل ما تطلبينه حاضر، وقام وأخرج لها الطعام الذرة والبر والرز ورأس غنم والمعلوم الثّوب، واستودع منها وطلع ونام، فبعد مدة دكَّت عليه الباب وقالت له: إنِّي نسيت الحوائج، فخرج وأعطاها الحوائج ورجع ونام، ثم دكَّت عليه الباب وقالت له: نسيت كذا وكذا، فأعطاها إيّاه ورجع ونام وبات على هذه الحالة كل ما رجع بامصباح ونام دكت عليه الباب وقالت

له: إنّي نسيت كذا وكذا حتى قَرُب الفجر، فدكّت عليه مرة أخرى وقالت له: إنّي ما استطعت أحمل هذا كله إلى الدّار، فطرّب على زوجته وبنته وخرج معهن وحملوا جميع ما أعطاها، وقال لها: سيري قبلنا دُلّينا على بيتش، فساروا معها حتى أتت بهم على آخر دار بتريم، ثم قالت لهم: إنّ داري ضاع عليّ، ولم ادرِ في أي محل هو ولا با أعرفه إلّا من تحت داركم، فرجعوا معها إلى الطريق حتى وصلوا دارهم، فأخذت بهم طريقاً ثانيه وباتت تسير بهم في مضايق تريم حتى طلع الفجر وبان الضوء، ثم كشف لهم عن وجهه وقال لهم: العفو منكم جيت با اختبركم، وذكر لهم القصة، فرجع با مصباح وأهله إلى بيته وهم مسرورون ولا كان بهم شيء، وقال الحبيب: أقرّيت أنك أكرم مني، وهكذا كانوا السابقين يحبون أهل البيت ويكرمونهم.

ومثله في الشحر محُب لأهل البيت الطّاهر، وكان إذا أتى إليه واحد منهم يحوّل من فوق رأس الدار، ومرة جاءت شريفة عنده فحوّل عليها من فوق رأس الدار ورحّب بها وطلعت إلى عنده، فقالت: إني مستعجلة ولي إليك حاجة، فقال لها: اليوم ظلّي عندنا وبُكره أو بعد بُكره ارجعي إلى مكانش، فقالت: لا جيت معي بنت با تتزوج ولا معنا لها خيط في مخوط، فقال لها: ونحن معنا بنت وتبنُولها مطروح، وحاشا الله أنّ بنت خام الكوفية تتزوج وتتبختر في الثياب وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لها شي، وجاب لها ما معه من الخرش والثياب وقال لها: زوّجي بنتش ياحبابه، وبنتي با ييسر الله لها.

قال سيدي: هؤلاء صَدَق فيهم قوله تعالى: (إنّ اللهَ اشترىٰ مِنَ المؤمنين أنفُسَهُم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة) (رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ) واليوم شوهن أرامل وشرائف مُخدّرات في بيوتهن ما يقدرن على قوتهن وكسوتهن ومتعففات عن السؤال، لا شك أنكم مسؤولون عنهن، ومعاقبون على عدم تفقدكم لهن.

وقال رضي الله عنه: كان نباشاً ينبش القبور، ويصلّي على الأموات ويخرج إلى التربة يشوف القبر، وإذا بالليل خرج إلى القبر ينبشه وخلس الكفن من الميت، ثم يوم من الأيام ماتت امرأة من الصالحات، فخرج وصلى عليها وسار مع الجنازة إلى التربة، فلما عرف القبر رجع، فجاء وقت الليل كعادته فنبش القبر حتى وصل إلى الميّتة، فخاطبته بقولها: مغفور له ينبش قبر مغفور لها، فقال لها: كيف الكلام فقالت له: إنّ ربي غفر ذنوب كل من صلّى عليّ، فتاب الرجل من حينه تصديقاً لقولها.

وقال رضي الله عنه: كانت بعض الصالحات تتصدق كل يوم بلُقمة من غداها، ومرة خرجت من دارها فلاقت عُفوة[1]، وبيدها الصدقة فطرحتها في فم العُفوة، فلما ماتت ووُضعت على المُغتسل ضحكت، فقالت لها المُغسّلة عليش بالله إلّا ما أخبرتيني، فلما نامت رأتها فقالت: ما الذي أضحكك وأنتي على

(١) العفوة: الدابة الصغيرة.

المُغتسل، فقالت لها: إني أعطيتُ عُفوة لقمة من غذاي، فأول ما لاقاني من أعمالي ثواب صدقة العفوه، قال سيدي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وقال رضي الله عنه: كان جَدّي محمد الخطيب رضي الله عنه معه أربع بنات أصغرهن والدتي، وعلَّمهن القرآن إلاَّ والدتي لِصِغَرِ سِنِّها، وكان مرغوباً فيها لنسبها وحسبها وجمالها، فزوجها ابن عمها وأخذت مدة معه ثم طلقها، وبعد مدة رجع يُطالب في زواجها إياه، وجاءها زوج آخر، فكتب والدي لجدّي محمد الخطيب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) وكتب بعده: الخطبة والصلاة والسّلام على النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال: ونحن نُريد التقرب إليكم ببنتكم الميمونة مهاني إذا قدّر الله والسّلام. عبد الرّحمن بن علي بن عمر السقّاف» فجاءهم وهم يتشاورون في قبول أيّ الزوجين، فقرأ لهم الخط، وقال لهم: اتركوهم كلهم واقبلوا الحبيب، فقبلوا الوالد الحُسن حظها وأوعدوه بالزواج، فدخل عندها على الوعد فجلسوا للقهوة وعقدوا له بها، ثم قال الجد محمد: يا حبيب عبد الرحمن أنت وزوجتك وأولادك في رقبتي، فأطرق الوالد لحظة وقال: يا شيخ محمد أنت وأولادك وزوجتك وذريتك في رقبتي.

ومثلها وقعت لعُمَر دُحْمِي، خَطَبَ إحدى بناته بعض أولاد الدوله، فعرضوها

للحبيب حسن بن صالح البحر رضي الله عنه ليتوصلوا به إلى دفعه.فتزوجها الحبيب حسن وأجبها ونقلها معه إلى ذي أصبح .

وقال رضي الله عنه : كان عمر عبادي رضي الله عنه من البياعة المشترية، صاحب متجر كبير في الغرفة وفي الشحر وفي عدن، وكان محبًا لأهل البيت الطاهر، ومحبًا للعلماء والمؤمنين، كثير الصدقات سرًا وعلانية، مرة سافر الحبيب عبدالله بن عيدروس الحبشي رضي الله عنه قاصدًا جاوه عند ولده علي وعليه دين نحو سبعمائة ريال من الحرث، كان حراثًا، ولما وصل عدن قصد عند الشيخ عمر عبادي، فرحّب به وأهلَّه وأنَّسه وقال له: ما سبب طلوعك يا حبيب وأنت رجل شيبة.فقال له : بغيت عند ولدي علي وعليّ دين، فقال: إن شاء الله تُقضى الحاجة، فخرج وقال في نفسه : اليوم الفائدة لي احصّلها للحبيب، فجاءت السواعي بالجفل، فخرج إليهن وكلّم أهلهن، وملك الجفل كله ثم جاؤا الجراشين يخاطبون عمر عبادي في الجفل، فباعه لهم ورجع إلى الدّار وجلس يحسب ماله وما عليه فوجد الفائدة سبعمائة ريال، فقال للحبيب: الحاجة قُضيت وبغيناك ترجع إلى الغرفة، وهذه السبعمائة الريال قضاء دينك، والهدية شلها من وكيلي بالشحر.

ولما مرض عمر عبادي بعدن عزم على الخروج فخرج، ثم لما كان تحت سيؤن كتب إلى عند صاحبه أحمد بن علي مكارم: أعطِ الحبيب علي الحبشي جونية رز

وعشرة ريال فرانصه يفعل بها شعب لطلبة العلم بنية الشفاء والعافية فأعطاها الحبيب علي وفعل بها شعب لطلبة العلم، وكان في كل عيد يُقَسِّم رز ولحم في البندر وعدن والغرفة، ومات ليلة عيد الحجة بالغرفة وهم يقسمون ذلك قال الحبيب عبدالله بن سالم عيديد رضي الله عنه وكان من المجاذيب أهل الكشف بالشحر: الله أكبر، شو عمر عبادي يقسم رز ولحم وهو فوق المُغتسل كشفاً منه.

وقال رَضِيَ اللَّهَ عَنه: الحبيب عمر بن سقاف رضي الله عنه وَرَدَ عليه حال في مسيلة آل شيخ، ثم قيل للحاضرين: إن بغيتوا الحبيب ينبسط هاتوا قنبوس، فسار الحبيب طاهر بن حسين إلى الغُرَف عند بعض قرابته وكان معه قنبوس، وكان الحبيب طاهر يُعاتبه عليه جداً، فقال له: هات القنبوس الحبيب عمر بن سقاف عندنا وَرَدَ عليه حال بغيناك تبسطه، فقال له: إني بعته لبعض القبائل في الغرف، فساروا إليه وطلبوه منه، فسمح لهم به، ورجعوا إلى عند الحبيب عمر بن سقاف، وجلسوا يحركون عليه حتى انبسط الحبيب عمر رضي الله عنه وانشأ يقول:

نعم طاب الغِنا والمُلتقى طاب وكأس الودّ في العَشْقَة صَفَالي

حتى قال:

وعود الشاج إن ساعده الاعراب بنغمات شجيّات حلالي

وكان يتردد عند شيخه الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه سار مرة إلى عنده مع ظهور الخريف وفي يده جراحة، فلما وصل وجد عنده بعض المناصب، فجلس متلطفاً متأدباً، ولما قُرّب الغداء جعلوا يأكلون من اللحم والمأكولات الثانية والحبيب عمر مقتصر على أكل التمر، فقال له الحبيب جعفر: كُل من هذا يا عمر، أي من المأكولات الثانية، فقال له: لا أُفَضّله على التمر إذ هو باكورة، وما اقتصر عليه إلاَّ لاستقذارهم يده، فقال له الحبيب جعفر: كُل من هذا ويدك خير من كذا وكذا يد سَلِيمة، كشفاً منه، ثم قال له: بها يبوسة خذ لك بقرة واشرب لبنها، فقال في نفسه: لآه يا عمر بن سقّاف وبقرة، إشارة إلى قلة ذات يده، فكاشفه بقوله: وإلا لبن ضانه، فقال في نفسه: كيف تكون الضانة وأنا أتردد على كذا وكذا دار، يعني ديار زوجاته، فكاشفه بقوله: وإلاَّ اغمسها في جابية الحبيب، فما وصل سيؤن إلاَّ وقد آثار العافية لائحة عليها.

ومرة رآه الحبيب محمد بن أحمد الحبشي بعد المغرب داخلاً إلى عند زوجاته، فقال في نفسه: الحبيب عمر بن سقاف على عظم حاله يتردد بعد المغرب في الوقت الشريف على النساء، فقبَض بإذنه وقال له: انتقدت على أبيك عمر، عادك باتُبتلى به، فأكثر الحبيب محمد بن أحمد التزوج في آخر عمره تصديقاً لقول الحبيب عمر بن سقاف.

وكان تلميذه الإمام القطب الحسن بن صالح البحر يحضر مدرسه بالسوم كل سبت، ويجي هو والمعلّم عبدالله بن سعد بن سُمير، ويقرأ الحبيب حسن بن صالح

في رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي في المدْرَس، ولما تمَّ قراءتها قال لمعلمه الشيخ عبدالله: با اقرأ في المدْرَس الثاني في المنهاج، وحين دخلوا على الحبيب عمر قال الحبيب عمر للحبيب حسن كشفاً منه: عساك جيت بالمنهاج يا حسن، فقال: نعم فرجع المعلم على نفسه باللوم وقال: إيش تكون حالة فُقش بين حصانين وقال الحبيب عمر: اقرأ يا حسن، فقرأ الحبيب حسن في الخطبة والحبيب عمر يُملي عليه مما فتح الله به عليه، حتى انتهى وقت المدْرَس، فقال لبقية القُرَّاء والحاضرين: تكفيكم قراءة الولد حسن.

وقال رضي الله عنه: دخل الشيخ عمر بامخرمة وقت أذان المغرب ليلة الجمعة على واحدة من الفتايا إلى جانب مسجد عبدالملك، ومعلم المسجد يؤذن فانتقد على الشيخ عمر بباطنه، كيف يدخل على هذه المرأة في ذلك الوقت الشريف، وقت صلاة المغرب وليلة الجمعة، فبقي المعلم ذلك الوقت يُردد الأذان جزاء إنكاره على الشيخ عمر، والشيخ طلع إلى عند المرأة وقال لها: اطبخي القهوة، ولما قاربت قال لها: صُبّيها، والمعلم بقي يُكرر الأذان، وأنشأ بامخرمة يقول:

قهوة ناهية طُبخت على اسم المعلِّم مثل مولاتها فنجان منها يغرِّم

وأُنشد بين يديه قصيدة الحبيب عبدالله رضي الله عنه التي أولها:-

لك الخير حدّثني بظبيةِ عامرٍ وما حالها من بعدنا يا مُسامري

فقال: هذه القصيدة هيّجت منا الأشواق، وذكّرتنا تلك المنازل، الله يعيدنا إليها، قال فيها الحبيب:

« ولله ما أحلى الوقوف بِسُوحِها »

وعدّد فيها المواضع، وهذه الليالي تتنزل فيها الرّحمة والعواطف من الله بعرفات على أهلها، على الذاكرين والحاضرين، من أكرمه الله بسماع أذان سيدنا إبراهيم ولبّى أجاب ووقف، وأما السّماع يسمعونه جميع من في الأصلاب ولكن من لبّى مرة وقف مرة ومن لبّى مرتين وقف مرتين ومن لبّى أكثر وقف أكثر ومن لا فلا ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.

من استطاع الحج وجب عليه أن يعزم عليه، إما هذه السنة أو التي بعدها، ومن قعدت به الأعذار بادر بالعمل وتصدّى عن الأعذار، ومن قيدته الحظوظ ياويله ويابخسه.

والآن كثير عندنا من أهل البلد يبنّون يشترون لهم مال وعقار ولا يحجون وأمّا أهل الإيمان الكامل يجيئون إليه من مسيرة سنين عديدة، مايبالون بالخسارة ولا التعب، الحج لا يقطع عُمُر ولا يقطع أمل آمل، وهذه الأزمان كثُر التقصير فيها في العبادات والعادات الحسنة، وكثُر الكسل والتواني عن أعمال الخير، ماهو داري بايبقى للسنة الأخرى والحج أوّلا، ماسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: « اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك

وفراغك قبل شُغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك» إنْ قدّم الإنسان لنفسه شيئ يحصله، وأما الأماني ما تجيب شي (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ).

وهذه الأيام ينبغي أن تُكثروا فيهما من الصدقات والاستغفار والتقرب إلى الله بكثرة النوافل بعد أداء الفرائض، كل يوم تقرّب من الأيام الفاضلة، اليوم الثاني ما هو كما اليوم الثالث، وبعدها الرابع ما هو كما الخامس، وهكذا حتى يجي اليوم العظيم، يوم الحج ويوم الوقوف بعرفات وتنزُّل البركات واستجابة الدعوات وغفر الذنوب والخطيئات وإبدال السيئات حسنات، وهذا اليوم ينظر الله إلى أهل الموقف فيغفر لهم جميعهم وهم ستمائة ألف إن قصروا أكملهم من الملائكة، وبعده الشهر المحرم.

هذه الأشهر الحُرم تقربوا إلى الله فيها، جاهدوا أنفسكم على العبادات، أما الجهاد الحقيقي بعيد منا ما هو بأيدينا، وأين نحن منه وأين لي بايجاهد حقيقة (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وكلّ يوم تُجدّد لنا نعمة بل نِعَم كثيرة لو ادّكرنا واعتبرنا.

وقال رضي اللَّه عنه: قال الحبيب علي بن محمد الحبشي: إذا قال الشيخ عمر بامخرمة «بلغريب» فإنه يعنينا، وغالباً قصائده التي فيها «بلغريب» يذكر فيها اسمه يقول: يا علي.

وقال رضي الله عنه: المُهاجر إلى الله أحمد بن عيسى نزل أولاً في حضرموت في قرية بدوعن يقال لها «الجُبيل» قال السيد الحبيب أحمد بن حسن إنَّ له - أي المهاجر - بها ولد هنالك.

وقال رضي الله عنه: الشيخ عبد الرحمن باجلحبان كان حرّاثاً، ثم جاءته الولاية فرجع يَسيح في الأرض، حتى أتى على نفرين في مفازة جبل من الزهاد، وكل يوم يدعو اللَّه واحد منهم فيُيَسِّر لهم الرزق، وجلس معهم، وفي اليوم الأول قام الأول يدعو اللَّه فيسَّر لهم الرزق، وفي اليوم الثاني قام الثاني يدعو اللَّه فيسَّر لهم الرزق، وفي اليوم الثالث قالوا للشيخ: قم ادع اللَّه، فدعا اللَّه فيسّر لهم مضاعفاً على عادتهم، ثم سألوا بماذا دَعَيْتَ اللَّه؟ فقال لهم: وأنتم بِمَ تدعون اللَّه؟ فقالوا: نتوسل إليه برجل من الأولياء في حضرموت اسمه عبد الرحمن باجلحبان، فسار من عندهم ولم يعلموا به.

وقال رضي الله عنه: تحاجّا إثنان من الأولياء فقال الأول منهم: الحركة فيها بركة والله ربط الأسباب بالمُسَبَّبات، وقال الآخر: ما كُتِب لك لابد وأن يصل إليك وما لا فلا والسكون فيه خير، فخرج الأول منهما ووجد حبة عنب تحت الباب، فأخذها ورجع إلى عند صاحبه فقال: الحمد لله تحركت فرُزقت، ورمى بها إلى عند صاحبه، فقال: الحمد لله سكنت فرزقت، وكل منهما على طريق.

وقال رضي الله عنه: قال بعض الخُدام حق الحبيب عبدالله الحداد لحبيبه عبدالله الحداد: إني عزمت على المسير إلى حريضة لزيارة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، فقال له: إذا قصدت قبته فأنشد قصيدتنا التي أولها:-

إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العُمر ... وتُجعل بعد الموت في روضة القبر

فإنه يحبها جمْ، قال المحبّ: فلما وصلت القبة أنشدتها، فأخرج لي رغيفين حارّين من التابوت، قال سيدي: لأنه من أهل اليقين.

وقال رضي الله عنه بعد القراءة عليه في كنز البراهين للحبيب شيخ الجفري: وأصل كنز البراهين منظومة للحبيب شيخ ذكر فيها من أخذ عنه ولَبِسَ من لَدُن النبي صلى الله عليه وسلم، وأولها:-

للهِ جهرًا أحمدُ وسـرًّا بكلِّ ضرّاء وكلّ سـرّا

وشيخه الحبيب الحسن بن عبدالله الحداد قالـ فيه :-

لبستُ من شيخي على الوجه الحَسَن أعني ابن عبدالله مولانا الحسن

وهو لبس من أبيه سامي الذُّرى قدوتنا وشيخنا بـلا مِـرَا

عبدالله المشهور بالحـدّادِ من خُصَّ بالتأييد والإرشادِ

وكان متوطنًا بمليبار، ويقول في وصف تريم وأهلها :-

ولو كان لي أرض المليبار كلّها لُجينًا وتِبْرًا ما عدلت بها الغنا

ولكنَّهُ قد كان بالرَّغم يا فتى جلوسي بها فافهمه إن كنت ذا معْنا

وخرج مرة إلى تريم فوجدها قد غُيِّرت على ما كان عهدها سابقًا فقالـ :-

على تريمٍ ربُّنا قد غضِـبـا سادانها كانوا لهذا سَببا

وهو من الثّلاثة الذين عَمِلوا بما في البداية ، أحدهم الحبيب عبدالرّحمن بن مصطفى العيدروس ، وأعطاه النّبي صلى الله عليه وسلم سفينة بياض ، إلاّ أنّه ما يُشْكِل عليه شيءٌ إلاّ وجده فيها ، والحبيب شيخ الجفري وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم صُحن يأكلون منه جملة بعد جملة ولا يغلق ، والحبيب أبو بكر صاحب آشي وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عُكّاز .

وقالـ رضي الله عنه : كان الوالد عبدالرحمن بن علي إذا رأى الحبيب علوي بن عبدالرحمن والشيخ أحمد العمودي يتمثل بقول الحبيب عبدالله الحدّاد :

من فئةٍ ما لهم همٌّ ولا شُغلُ ولا التفاتٌ ولا ميلٌ إلى الفاني
من كلِّ برٍّ تقيٍّ زاهـــدٍ ورعٍ له إلى الله سَيرٌ ليس بالوَاني

وقالـــــــ رضي الله عنه: كان الحبيب جعفر بن محمّد العطاس تلميذ الحبيب علي بن حسن العطاس، وكان ضنيناً به، والحبيب جعفر سأل شيخه الإمام علي بن حسن الإجتماع بالحبيب علي بن عبدالله السقاف، وشيخه يمنعه ويقول له: ما في علي بن عبدالله فينا، وهو يلح عليه في الإجتماع به، ثم إن الحبيب علي بن حسن العطاس تصور يوماً بصورة الحبيب علي بن عبدالله السقاف وقال له: اطلب مرادك، فألبسه وأخذ عنه واستجازه فأجازه، ثم بقي الحبيب جعفر يطلب الإجتماع بالحبيب علي بن عبدالله السقاف، وبعد وفاة الحبيب علي ابن عبدالله طلع الحبيب عمر بن سقاف إلى دوعن، ففرح به الحبيب جعفر فرحاً كثيراً لكونه تلميذ الحبيب علي بن عبدالله، واغتبط به اغتباطاً كثيراً، ثم سأله الوصية، فأنشا قصيدته التي أولها:

سافر هُديتَ إلى الجنابِ الأرفعِ وارحل أُخيَّ إلى الحماءِ الأمنعِ

وصيةً له.

وقال رضي الله عنه: الأمراض التي تنوب الإنسان وتعتريه مُذَكِّرات له، تُذكِّره ربَّه والآخرة وتُزَهِّده في الدنيا، إذا كان الإنسان كل يوم وهو في وجَع ونكد يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، وهي نعمة من اللهَ أنعم بها على عباده ليذكروه ويشكروه، وإلاَّ كيف لو كانت الدنيا من لدن آدم لضحوا من الدنيا وضجت بهم، ذلا لُطف اللهَ ورحمته بعبيده.

وقال رضي اللهَ عنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي التي أولها:-

وِدادُكم عن جميع الكون أغناني ... يا غاية القصد والمأمول والشانِ

قال: العارفين باللهَ أهل المحبة يزدادون شوقًا وتعطُّشًا إلى ما يحصِّلونه ويلاقونه والخطاب في هذه القصيدة للحق جل وعلا، انظر كيف يُخاطب محبوبه، وكيف يذكر له مطلبه ومراده منه مع الرِّقة والتعطف، وللحضرة المحمدية صلى اللهَ عليه وسلم، والمحبة شيء عظيم ما يخص اللهَ به إلاَّ المرادون. قال ابن الفارض

شَرِبنا على ذكر الحبيبِ مُدامَـةً ... سَكرنا بها مِن قبل أن يُخلَقَ الكَرْمُ

وقال في آخرها:-

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيبٌ ولا سهمُ

الله يُعطينا ما أعطاهم وفوق ما أعطاهم ولا يحرمنا بركاتهم، هاموا في محبته فقالوا أملهـــم :-

يا اللهَ بذرة من محبـة الله أفنى بها عن كلّ ما سِوى الله
ولا أرى من بعدها سوى الله الواحد المعبود رب الارباب

ومن أثناء كلام له على قصيدة الحبيب عبد الله الحداد التي أولها :-

لجيرانٍ لنا بـا الأبطحيـة بَعَثْتُ مع النُّسَيمات التحيّة

على قـــوله :

تُزَمْزِمُ لي الحداةُ بذكر ليـلى وماهي يا فـتى بالعامريّة

قال : الحُداة جمع حادي، وتُزَمْزِم تُسَمّع لي وتترنم بالأصوات الطيبة قال الله (فَبَشِّرۡ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُ) وسُئل ذو النون عن السّماع فقال : وارد حق يُزعج القلوب إلى الحق وقوله « بذكر ليلى » وهي محبوبته التي يحبها ويعشقها، ثم بيّنها بقوله :

« وَماهي يـا فتى بالعَـامِـريّة »

أي ماهي ليلى مجنون ليلى ولا العامـريّة، ثم فرّع على ما يترتب على ذلك فقال : «فأصبو ثم أصبو ثم أصبو» أي أصبو شريعة ثم أصبو طريقة ثم أصبو حقيقـة وأصبو إلى الشيخ ثم أصبو إلى النبيّ ثم أصبو إلى الربّ سبحانه وتعالى وقوله :

وأرواح تطير إلى عُلاها بأجنحة الغرام المقعـديه
فتسرحُ في رياض من جنانٍ وتأوي للقناديل المضيّـه

أما أهل الظاهر فيفسّرون البيتين بقوله صلى الله عليه وسلم: « إنّ أرواح الشهداء في حواصل طيور خُضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل مُعلّقة تحت العرش » وكل ميّت في محبة الله شهيد، ويُحتمل أن يكون المُراد بالقناديل المضيّة الأجساد المُتغذية بطاعة مولاها في هذه الدار المشحونة بالأكدار، فهي أشد إضاءة من القناديل فتخرج الأرواح من الأجساد وتسرح في رياض الجنان، ثم ترجع إلى أجسادها المضيئة بسبب الطّاعة.

وقال رضي الله عنه: التّواني والملل والكسل يُورث صاحبه الندم، ويُفوّت على نفسه خيرٍ كثير، وغالبًا أنّه ما تصلح له لا أمور الدنيا ولا أمور الدين، يبقى ويعيش مُبهذل، قال الشاعر:

تزوّجتِ البطالةُ بالتّواني فأولدها غُلامًا مع غلامه
فأما الإبن سمّوه بفقرٍ وأمّا البنت سمّوْها ندامه

وقال رضي الله عنه بتاريخ ١٧ جماد آخر سنة ١٣٥٤ بتريم في بيت السيد عبدالرّحمن بن أحمد بن حامد بحوطة باعلوي: ما أكرمك ربُّك بالنظر لتنظر إلى الشبواني والصُّور والملاهي، وإنما أكرمك به لتنظر كتاب الله العزيز وتتدبر آياته، وتتفهم معانيه وأحكامه، وتتفكر في مخلوقاته، قال الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) سُبحانه، سحاب مُعلَّق بين السّماء والأرض، لا يقبضه حَبْل ولا تمسكه سلسلة ولا هو على سَهْم قائم، بل قُدرة الله وحكمته ومشيئته.

وكذلك أكرمك باليد والرجل والبطن والفرج واللسان والسمع والبصر احفظها.

ولا تكتُب بكفِّك غير شيءٍ ... يسرُّك في القيامةِ أن تراه

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في أبواب النّار السبعة: ولا يدخل من تلك الأبواب إلّا من عصى الله بالجوارح السبعة، وهي: اللسان والسمع والبصر واليد والرجل والبطن والفرج.

قال بعضهم: الحالة التي تُحب أن تموت عليها فالزمها، والحالة التي تكره أن تموت وأنت عليها فاتركها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا صليت فصلِّ صلاة مُودِّع» أي اجعلها آخر صلاة لك، وآخر ساعة في الدنيا، فكِّر للموت واعمل للمنقلب وكلٌّ وارد هذا المورد، ولكن ما هناك اعتبار، الشاهد أنَّ الموت ما هو بعيد، قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

كلُّ امرئٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ ... والموتُ أدنى من شِراكِ نعلِهِ

قال الله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) «الموت أقربُ غائبٍ يُنتظر».

ثم ذكر أن عدم إخراج الواجب كثير عندنا، وإنفاقه في اللهو والباطل أكثر.

وسمعته يقول: البركة مطلوبة من الله، ويظنون أكثر الناس أنها في الحبْ والتمر والطعام، وعاد هم لو اذّكروا با يجدونها في العبادة سرّها أكثر، با يدركونها وبا يعرفوها لكن الله يحفظ، الخلق في حيرة عظيمة، ما يتفقدون ليوم المعاد ويوم المُنقلب (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ) (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

آيةُ الأنفال والرّعد مع الـ ـنّحل لمّا غيّرُوها غيّرتْ

تعبر على الإنسان ستين سنة أو أكثر أو أقل، يمكنك بها تُكتَبَ في صفِّ المقربين وتشتري بها سعادة الأبد، وتبلغ بها مرتبة عظيمة:

لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تُشترَى بملءِ السّما والأرض أيّة ضيعةِ

على نفسه فليبك من ضاع عمرهُ وليس له منها نصيبٌ ولا سهمُ

قال الحبيب عبدالله الحداد:-

«ومَا لِيَ لا أبكي على خيرِ ذاهبِ»

على صَرَفي الأنفاس ...، على ما لهم من همة وفتوة ...، على ما لهم ...، ما هو عبد الله حداد يبكي، البكاء إلّا لنا، لكن ما هُناك اعتبار ولا اتّعاظ، أمّا عبدالله حدّاد رضي الله عنه قال:

مَوَارِيثُهُم فِينا وفِينا عُلومُهُم وأسرارُهُم فليسأل المترامي

قال سَيّدي الحداد: ما يُذكر الإنزال في القرآن إلّا وتُذكر معه البركة غالبًا (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا) (وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ) (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)

وبعدها (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وبعدها (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) وبعدها (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) وَ (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ).

تدبروا آيات القرآن وائتمروا بأوامره، واتعظوا بمواعظه، وانزجروا بزواجره، لا تهجرون القرآن (وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)

وذكر أن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر قال لأولاده: اعملوا مثل أعمالي فلا أقل منها، صلوا كما صلاتي، وقد قال قبله سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال عز وجل: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) اقتدوا بحبيبكم محمد صلى الله عليه وسلم القائل: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه كله» دين سهل ونبينا خير الرسل وأعظمهم، صاحب المكانة العظمى والرتبة التي لا تُدنى، وأمة خير الأمم، بشاهد قوله عز وجل: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ).

ثم قال: قال سيدي الحبيب علي الحبشي: ما احد يموت ويموت سِرُّه معه، بل يبقى عند وارثه، بعد وفاة الحبيب أحمد باجحدب قام في مسجد باعلوي واحد يطرب ياضام الضالة، فقال له واحد: الضالة محفوظة، وأما اليوم وين لي يسألون عنها فضلاً عن حالها، ولا نقول أنهم فُنُوا بل استتروا، كما قال الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه: «بل استتروا لما تعاظمت الفتن»

وإلا فقيهنا فينا وسقافنا فينا ومحضارنا فينا وعيدروسنا فينا وحدادنا فينا، غير أن منهم المأذون له ومنهم غير المأذون له، قال بعضهم: رأيت آل باعلوي مثل

الجوابي، هذه تسقي الأخرى وهذه تمد الأخرى، فقلت لهم: ماهو إلا بحر تجري فيه المراكب والسفن والسنابيك، الله يحفظنا من الميل إلى بُنيات الطريق ويرزقنا الاعتصام بالحبل المتين (وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا) (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ).

فالله يحفظهم ويُخْلِف منهمُ أمثالهم في حَيِّنا والمربع
وسفينٌ للنجاة إذا خِفْتَ من طوفانِ كلِّ أذى[1]
أولئك وُرّاثُ النبيِّ ورهطه

ولما قرئت عليه قصيدة الشيخ المحضار التي مطلعها:

« أهلاً وسهلاً بحِبّي »

قال في قوله: « يامن نظر عرض قُبّه » أي من نظر نورها وسرّها وماهو فيها من البركات « قد شَمَّ ريح المحبه »، الله يقسم لنا من هذه العطايا ويمنحنا مما منهم.

ومن أثناء كلام له قال: إن الله ميّز الأشياء وجعل بعضها فوق بعض درجات حَدْ يُحِبُّه الله وحَدْ يحب الله. حَدْ يقول له: (رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي) وحَدْ يقولون له (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) وحد (رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ) والآخر (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) وحد (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ) وآخر (وَوَهَبْنَا لَهُ) وحَدْ (هَٰذَا عَطَاؤُنَا) وآخر (إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ).

ولو قابلتَ لفظة لن تراني بما كَذَب الفؤاد فهمتَ معنَى

قال الشيخ بامخرمة: « خُذ عطانا بلا منّه وذا طبع من حَب »

ثم قال سيدي رضي الله عنه: كان الشيخ عمر بامخرمة مُولَع بمطالعة كتاب الرِّسَالة القُشَيريِّة، ثم جاء ديوان الشيخ ابن الفارض فتولّع به لكونه موافق له في المَشْرَب، ثم بعد مدة رأى الشيخ عبد الكريم القشيري وأتى له من خزانته وإقليدها عند الشيخ عمر بالرِّسَالة، وقال له: السِّر في هذا الكتاب، وسرُّه في هذين السطرين، وإذا هو مناقب الأئمة الصوفية: ومنهم...، ومنهم...، حتى قال: ومنهم بَنَان الحمَّال ....، حتى قال: وسُئل بَنان الحمَّال عن أجلّ أحوال الصوفية، فقال: أربع، الثقة بالمضمون، والتخلّي عن الكونين، والقيام بالأوامر، ومراعاة السر.

قال سيدي الحبيب علي الحبشي: ومعنى مراعاة السر بأن لا يكون له مطلب غير الله، ولا قصد في الوجود كلّه سواه، قال الشيخ عمر بامخرمة في قصيدته

بلغريب انخلعت اليوم من ثوب شاشي   شفت بالعين ماكدّر عليَّ المعاشي

إلى أنْ قال:

شُفت ما بين تسطير الكُتُب والحواشي   سطر رقّاني الراكب ومن كان ماشي

فاعترفت أنَّ مثلي يا علي ما يعاشي   وأن رجلي طويله ما وسعها فراشي

وقال سيدي رضي الله عنه: إن الحبيب حسن بن صالح البحر جاء الى المسيلة، ونزل عند سيدي عبدالله بن عمر بن يحيى، وأضافه الحبيب أياماً، فلما كان اليوم الثالث قام السيد عبدالله بالسَّهم وقال مخاطباً للسيد حسن بن صالح: البيت بيتكم والعبد عبدكم والأمر أمركم فاحكم بما شئت، فلما حضر وقت الغداء قال للحبيب حسن: إن نحن

ملّكنا كم أمرنا وبا نغدّي أهل الدار أو كيف الأمر؟ قال الحبيب حسن: رَدَدْناه عليك.

وسمعته يقول رضي الله عنه: إن كلام الكُبَّار كبير، وإن أعمالهم عظيمة وحركاتهم جسيمة.

وقال في قول الحبيب عبدالله الحداد: «وهُمْ خلّفوني في الحِمَى بعْدَمَا سَاروا»: يُفْهَمُ من قوله «خَلَّفوني» من التخليف، والظاهر أن المعنى: أنهم جعلوني خليفتهم

ولما وصل تريم قال نفع الله به: هذه دُورهم وهذه منازلهم ومحلاّتهم.

منازل خيرِ سَاده لكلِّ النّاس قاده محبّتهُم سَعَاده

ألا يا بخت من زارهم بالصِّدق واندر إليهم معتني كل مطلوبه تيسّر

هذه دورهم وأنت محبٌّ مابقاء الدّموع في الآماقِ

ماجزاء من يُحب إلاّ كما قيل يحتب

وقالَ رَضيَ اللهُ عَنه: إن الحبيب أحمد بن عمر الهندوان أخواله آل بافقيه، وكانوا أهل سَبَب، وتربّى هُوَ عندهم، وفي يوم من الأيام قال له خاله: اطرح السِمَار حق السَّمن في الشمس، فأخذه فلما أراد أن يضعه سقط من يده وتطير ما فيه، فأخذت الحبيب أحمد خَجْلَه، فلما رآه خاله قال له: إن نحن بغيناه يتطير قبل اليوم تريبضاً لخاطره، فلما كبر الحبيب أحمد قَصُرت أحوال أخواله فسافر لقضاء دَيْنهم مرتين، وكان رضي الله عنه يحب العود والعطر والزواج، وقال سيدي عبدالرحمن بن محمّد المشهور: إن له من الأولاد الذكور عشرين ولد.

وتكلّم رضي الله عنه على صُحبة الحبيب عبدالله الحداد لسيدي علي بن عبد الله العيدروس، ثم قال بعد: لما توفي سيدي الحبيب علي بن عبدالله العيدروس سمع الحبيب عبدالله الحداد هاتفاً يقول له مات القطب، فلما أصبح سأل سيدي عبدالله عمّن توفي، فقيل له مات فلان من أهل تريم، قال: فعجبت لكونه ما بلغ هذه القُطبية، ثم بعد مدة أتت الأخبار بوفاة الحبيب علي بن عبدالله العيدروس فحسبوا الأيام فإذا هو ذلك اليوم.

وقال رضيَ اللهُ عَنه بتاريخ ١٨ جماد الآخر سنة ١٣٥٤ بر باط تريم ولما تلا قوله تعالى: (إنّ المسلمينَ وَالمسلِمَاتِ وَالمؤمنينَ والمؤمِنَاتِ) حتى قال (والصَّادِقِينَ والصَّادِقَات) تكلّم على الصدق بكلام نفيس لم يبق بذاكرتي منه شيء إلا قوله: كان جزاؤهم من ربهم (أعدَّ اللهُ لهُم مَغفرَةً وأجرًا عظِيمًا) (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ) وحاشا جوده وكرمه أنهم امتثلوا أوامره وانتهوا عن مناهيه خمسين سنة أو أكثر با يتركهم آخر العمر، قال الشيخ عمر:

ما جزاء من تحب إلا كما قيل يحتب

ثم قال نفع الله به: الأسماع ملآنه من العلم، ملآنه من الوعظ، لكن العمل قعد بنا، تخلّفنا عن العمل، لا معنا خشوع ولا ورع حاجز ولا زهد ولا تحرّي في المأكل والملبس، معاد با نقول الأبواب كلها مُقفَلة، المفاتيح فوقها، والحجاب عاده إلا قليل، أما لو صُكّت والعياذ بالله الأبواب، بعيد علينا فتحها، الله لا يغلقها

دونا. قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:

وأحمل نفسي ما استطعت على اقتفاء سبيلهم حتى أوسّد في الرمل

مَن منكم با يحمل نفسه على اتّباع سلفه كما عبدالله حداد، وشوه سهل الحمد لله، أعطانا الله كتابه تفصيلاً وإجمالاً، وأعطانا السُنّة تُبيِّن لنا المُجمل، وأعطانا الفهم، ولكن أين التالي، وأين المستمع، وأين الراغب، وأين العامل، وأين المستيقظ

قال سيدي الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:-

لقد عزَّ في هذا الزمان مُساعد يُعينُك في مجد وينهاك عن سُفلِ
إذا قُلتَ خيرًا قال لبّيك مُسرعًا وإن قُلتَ شرًا قال أُفّ لك أو نُقّل

قال الحبيب علي الحبشي: الحبيب عبدالله حداد يقول: «لقد عزَّ في هذا الزمان» وأنا أقول: لقد عُدِم في هذا الزمان.

قال الأخ محمّد بن هادي رضي الله عنه: قرأت على الوالد علوي بن عبدالرحمن السقاف تنبيه المُغترين، فسألني الوالد عما قرأته، فقلت له: قرأت أن الولي ما يبلغ مقامه إلاّ إن فعل كذا وكذا وعمل كذا وكذا، فقال لي والدي: طريقهم إلاّ سهلة عليك بالعمل على ما ذكره الغزالي في البداية والنصائح.

ثم قال سيدي: ووصايا الحبيب عبدالله بن حسين، ووصية الإمام محمّد ابن علي عيديد، والحبيب عمر بن حسن الحداد.

واجتهدوا في عمارة الطريق وعمارة الأوقات، شو معكم نَسَب يا خير نَسَب وأصل يا خير أصل ولكن الله يُلحق الفرع بأصله:

نَسَبٌ تحسب العُلا بحلاه قلّدتها نجومها الجوزاء

مثل الفقيه وعلوي والسقاف والسكران والمحضار والعيدروس والعدني

قال الحبيب عبدالرحمن بن مصطفى رضي اللَّهَ عنه :

عالمٌ عالمٌ أبي ثم جدّي هكذا هكذا إلى المختار

وأنا أرتجي كمثل أصولي ذاك أقصى المنى من الغفار

الحمد للَّهَ العلماء بين ظهرانيكم، لا تخلون الجه تقوم عليكم، شوهم ورثة النبي صلى اللَّهَ عليه وسلم: « أولَئكَ ورّاثُ النَّبِيِّ وَرَهْطُه » ، قال أبو هريرة لأهل السوق : « ما لكم هكذا وميراث النبي صلى اللَّهَ عليه وسلم يُقَسَّم في المسجد فساروا إلى المسجد ولم يجدوا شيئًا غير حِلَق العلم فرجعوا إلى عند أبي هريرة، فقال لهم: ذلك ميراث رسول اللَّهَ صلى اللَّهَ عليه وسلم». قال صلى اللَّهَ عليه وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورَث ، ما تركنا صدقة، وإنما ميراثنا العلم» وهذولا ورثته:

ولولاهمُ بين الأنام لدُكدِكَتْ جبالٌ وأرضٌ لارتكاب الخطيئةِ

لكنكم اقربوا منهم وجالسوهم، شوهم يوم القيامة با يقولون : (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) و (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ).

الطريق واضح والحق لائح ، قال النبي صلى اللَّهَ عليه وسلم : «تركتكم على المحجة البيضاء » أين المشمّرون؟ أين المتّعظون؟ أين من با يتعظ؟ أين من با يستمع؟ إيات أحسن ، يوم تجي في هَدْي غير هديهم ولباس غير لباسهم وعمل غير عملهم، شو سِيَرهم ملآنه بها الكتب، مشرعنا شرعنا موجود، ورياضنا موجود .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله، قال: حِلَق الذِكر». الحمد لله، أبشروا وبشّروا، باب المولى مفتوح لكن لمن سعى وجاهد، شو المولى سبحانه وتعالى قال: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) جاهدوا الكفار وجاهدوا الشيطان وجاهدوا الهوى والنفس الأمارة بالسوء، قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:

وجاهد تُشَاهد واغنم الوعد بالهدى هُدىً نصّه في العنكبوت بآيةِ

وهي هذه الآية، الله يحفظنا من الشيطان وجنوده، ويجعل لنا عليه قوة حتى لا يغلبنا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بلِّغوا عنِّي ولو آية» وقال صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع» الحُجّة ظاهرة، منهاجنا معنا، ونصائحنا عندنا، وإحياءنا عندنا، كل يوم المذكّر يذكّر والواعظ يوعظ. لكن الآذان ما تسمع أو تدخل من الأذن ذي وتخرج من الأخرى، قال الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه في ذكر الشفاعة للحبيب علي بن عيدروس: لا تُكَلِّف نفسك في العبادة جمْ، عاد معنا الفقيه المقدّم ومن في صَفُّه، والسقاف وبقية أهلنا، قال له سيدي علي بن عيدروس: ولكن يوم تجي وتدخل ومعك جيش ما هو كما يوم تدخل لَطْيَة.

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) شو الدنيا إلّا مثلها مثل زهر الأشجار، أول يوم تنظر بروقك منظره وثاني يوم تحصله يابس، هذا إذا كانت من وجهٍ طيب، وأما إن

كانت والعياذ بالله من وجهٍ خبيث فهو أعظم وأكبر، نرجو الله أن يُخرج حُبّها من القلوب ويُزهّدنا فيها، إن شُغْفنا زخرفة أولهو أو لعب يجعلنا من المعتبرين حتى نرى حقيقتها، ماهو نستلذ بها، شوهم بايخرجون منها خَلِيّين، ماحد بايخرج بشي معه، قال الحبيب عبدالله الحداد :-

ماكان حظهم من عرض ما اكتسبوا ... غير الحَنُوط وغير القطن والكفنِ
تلك القصور وتلك الدور خاويةٌ ... يصيح فيها غرابُ البَين بالوهنِ

ثم ذكر سيدي مكاتبات الحبيب عبدالله الحداد فقال: إنا مشغُوفون بها ومتعلقون وعندنا قليلة الوجود، والحبيب عبدالله قال: إنَّا أودعناها علومًا لم نُودعها في غيرها، قال سيدي: ولاسيما مكاتبات الحبيبين أحمد بن عمر الهندوان والحبيب علي بن عبدالله العيدروس.

ثم ذكر له الشيخ أبو بكر الخطيب أنهم استكتبوا نُسخة من مكاتبات الحبيب أحمد بن حسن الحداد، فقال سيدي رضي الله عنه: أكثرها أسئلة وأجوبة فقهية، تجري زمانه مع تصوف، وأخَذَ عن والده وعن الحبيب عمر بن سقاف رضي الله عنه، وله معه مكاتبات عديدة وهنَّأه بابنه علوي بقدومه من الحج بقصيدة مطلعها:

هنيئًا هنيئًا بالبشارة والبُشرى ... ولازالت النَّعما بذاك الحِمَا تترى

وقال رضي الله عنه: إن الحبيب حسين بن طاهر كان يقرأ على الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في شرح وصية الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه التي مطلعها: «وصيتي لك ياذا الفضل والأدب».

الشرح للحبيب أحمد بن زين الحبشي، واستعاره صاحبه أخذه منه، فأخبر الحبيب عيدروس، فقال له اقرأ البيت ونحن بانشرحه. ثم استطرد إلى قصة الشيخ عمر بامخرمة مع البدوي لما أراد المدينة، وهي أنه استأجر جملاً ثم سار عليه بعض الطريق فمات ذلك الجمل، ثم أتى له بغيره فمات بعد ما ركب عليه الشيخ حتى استوفى عِدَّة، وفي أثناء اللَّيالي مع سَيْرِهم ليلاً ابتدأ الشيخ عمر يقرأ القرآن حتى أكمله واستوفى جُلَّه، فلما كان الصَّباح قال له الجمَّال: ياشيخ شُفنا حفظت غنايتك البارح كُلّها، فقال له: هاتها، فَسَرَدها كلها، فعجب منه الشيخ، قال سيدي: فسَبَقت له السَّابقَة الحسنة والسّعادة، ثم قال: لما وصلا المدينة قال له الشيخ عمر: باتعيِّن ثمن الجمال أولي يدخل علينا من الجاه، فاستشار صديق له وكان يعرف جاه الشيخ عمر فأشار عليه بما يدخل من جاه الشيخ عمر، فلما واجه الشيخ عمر ضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم أنشأ قصيدته التي مطلعها:

قِفْ بالمطِيِّ ضُحىً على الأطلالِ ... وأنِخْ بظِلِّ نخيلها والضالِ

وقَالَ رضيَ اللهَ عَنه لما أُنشدت بين يديه قصيدة الحبيب أبي بكر العدني التي مطلعها:

ماحُسن يُعشق غير حُسن لُبنى　　　ما مثلها محبوب

تكلَّم سيدي رضي الله عنه بكلام نفيس أبى اللهَ أن تحفظه الأفهام القاصرة فلم يسنح بخيالي ولم يقف ببالي، ثم قال بعده نفع اللهَ به: في هذا البيت الأول طوى تغزُّلاتهم كلها وجعلها في جانب وطرحها بشويش، وكنَّى بلُبنى عن محبوبهم وهي الحضرة الأحدية، ثم قال: «ولا جمال يُذكر بكُلِّ معنى» حِسِّي أو معنوي أو غيره إلّا وهو مأخوذ من سَنَاها، ثم قال:

من أراد أن يحيا بها فيفنى　　　في عِشقها المرغوب

أي من أراد أن يبق بها فيفنى ويستهلك في محبتها وعشقها وذوقها وطاعاتها، ثم أخبر عنها بأن لا جمال يُذكر إلّا وهو منسوب لها، ولا خُلُق لحسناء حَسَن إلّا من بهائها ثم قال

أموات ما فيهم سواي حيّا　　　مِن إنسها والجان

هذا البيت نتيجة البيت الأول لمّا قال: «من أراد أن يحيا...» أخبر عن نفسه بأنه حي، ثم قال رضي اللهَ عنه:

لو يعلم العُذّال ما معَانا　　　لقصّروا في اللوم

لكنهم محجوبون كما قال الحبيب علي بن محمد الحبشي:-

«حُجبُوا وحَسْبُهم الحِجَاب عذاب»

ثم قال :

إن الذي قد صار في وِعانا ذُخراً لذالك اليوم

يعني في الجسم والقلب والروح ذُخراً لذالك اليوم .

شفاعتي في الحشر ما تُعانا وأنا بها القيدوم

يوم الحشر يوم الشهود يوم العرق، وقد مرّت معنا في الجوهر الشفاف أن بعض المُحبين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يُحوِّل بالشفاعة للشيخ عبد الرّحمن السقاف ثلاث مرات، ويقول له السقاف: أنت أولى بها يا رسول الله، ويردها النّبي صلى الله عليه وسلم إليه، وهذا السقاف ولده ووارث سرّه، ومن هُنا يقول الشيخ عبد الرحمن: أنا ابن محمّد شفاعتي من قاف الى قاف،

وقصته مع سلطان شبام لما شكى إليه بعض مُحِبّيه من جَوْر ذلك السلطان، فكتب إليه يطلب منه أن يُخفِّف على ذلك المحب، فامتنع ذلك السلطان وكتب للشيخ عبد الرحمن أن شفاعتك إلا من لحلان وشرق أمّا من لحلان وقبله ما باتمشي، فاشتق الشيخ عبد الرّحمن وخرجت منه دَعْوة على السلطان طار معها بايرد الدّعوة وأبق القميص قائم على عادته، فلحقها خرقت الحُجُب ولم يستطع ردَّها فمات ذلك السلطان من يومه.

وابن العدني أحمد المساوى يقول في قصيدته التي مطلعها:

لمن خيامٌ وقصورٌ عاليات أنوارها لاحت لنا

أنا المساوى أحمد وجدي أحمدا أنا المساوى وابن الرّسول

إلى أن قال:

أسمع منادي الحق في وقت النِدا ... وما أشتهي القائل يقول

أنا ابن طه والجزر والذاريات ... وابن المثاني والثنا

ثم قال سيدي رضي الله عنه: وهذا الكلام ما يَسُوغ لنا أن نتكلم به، وهو إلا تجري منا يوم نحن نتكلم على هذه القصيدة وأمثالها، وهذا كان اعترافًا منه رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه: إن الشيخ عبد الوهاب الشعراني زار شيخ الإسلام، ثم طلب منه مدوّنة الإمام مالك فأجابه إليها، فلما عزم على الرجوع إلى مكانه قال شيخ الإسلام لخادمه: احمل المدوّنة معه حتى يَصِل إلى مكانه فأعطه إياها وارجع إلينا، فلما وصل إلى مكانه أراد الخادم الرجوع، فكلّف عليه الشيخ عبد الوهاب أن يَبِيت عنده حتى الصباح، فجلس الخادم وجلس الشيخ مع تلامذته حتى أذان المغرب، فصلى بهم وجلس معهم حتى دخل وقت العشاء، ثم صلى بهم وجلس كعادته في أوراده وحزوبه، ثم بعد قام وأخذ المدونة ودخل إلى الخلوة وجلس بها ما شاء الله أن يجلس، ثم قام وقت عادته لقيام الليل، وبقي معه الخادم حتى دخل وقت الفجر فصلوا وأصبح الصباح، ثم عزم الخادم على الرجوع إلى شيخ الإسلام، فقال له الشيخ عبد الوهاب: احمل المدونة معك وأعطها الشيخ، فأخذها وسلّمها شيخ الإسلام، فعاتب شيخ

الإسلام على الشعراني ثم قال: أيسخر بنا ويستهزئ، ثم تصفحها صفحة صفحة حتى وجد على كل رُبُع من أرباعها بخط الشيخ عبدالوهاب تعليقات فعجب ثم قال لخادمه: أمِنْ حين وصل وهو يقرأفيها، فقال له: أخذها نحو ساعتين من الليل وخرج بها إلينا، فقال: آمنّا وصدّقنا بكرامات الأولياء، ثم بعد مدة جاء الشيخ عبدالوهاب الشعراني إلى شيخ الإسلام، فذكر له أنه عاتب عليه وأنه لما رأى التعليقات رجع عما كان عليه من العِتَاب، فقال له: نعم سيدي وهذه التعليقات انتحاها منه، فقال له: آمَنّا وصدَّقنا بكرامات الأولياء.

ثم قال سيدي رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة العدني التي مطلعها:

هبَّت نسيم المواصلة — من مُنتهى حضرة الجلال

عند قوله: « فالاقتداء ثم الاهتداء — حال بعد حال » قال سيدي: ذَكَر العدني الطُّرق من طريق التدلّي إبتداء بالاقتداء أي اتّباع السلف الكرام والأئمة الأعلام، مثل الفقيه والسقّاف والمحضار والعيدروس وغيرهم، كما قال الحبيب عبدالله الحداد:

« واقتد هداك الله بالأسلاف »

ثم ارتقى قال: فالاهتداء بالشرع العظيم والمحجة البيضاء طريق النبي صلى الله عليه وسلم القويم وصراطه المستقيم، لي مضى عليها هو وأصحابه الكرام وأتباعه وخُلَفاه جيلاً بعد جيل، لا تحيد عنها، قال الله تعالى: (أولَئكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه) (أولَئكَ عَلَى هُدىً من رَبِّهِم وَأولَئِكَ هُمُ المفلِحُون).

قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه :-

ثبتوا على قدم الرسول وصحبه | والتابعين لهم فسل وتتبع
ومضوا على قصد السبيل إلى العلا | قدماً على قدمٍ بجدٍ أوزع

ثم ارتقى إلى الاصطفاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه «كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصِر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» وفي الحديث الآخر: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:

وجاهد تُشاهد واغنم الوعد بالهدى | هدىً نصّه في العنكبوت بآيةِ

هي هذه الآية. ثم قال: وكلتا القصيدتين للعدني عظيمتين والأخرى مطلعها:

«هبَّت نسيمُ الملاطفة»

ثم تكلّم على مشارب الصوفية وأذواقهم، قال فيه: كلٌّ كلامه وذوقه جنس، والمشرب واحد، قال الشاعر:

عباراتُهم شتَّى وحُسنُكَ واحدُ | وكلٌّ إلى ذاكَ الجمالِ يُشير

وقال البوصيري:

وحيثُ كنَّا معاً نُفضي إلى غرضٍ | فحبّذا فاضلٌ منَّا ومفضولُ

الألسن ما هي عِينَه، وكلّهم على خير وهدى.

ثم تكلّم رضي الله عنه على أموال جاوة وأنها سريعة الفوات، قال سيدي

وذلك إمّا لطمعهم، كمن يملك ثلاثين ألف، ثم أخذ أرض وعمّرها بمبلغ ستين ألف، ماندري به إلاّ قالوا له مالك استهلك كله وعاد الذمه مرهونة في ثلاثين ألف، وإمّا لأنهم ما يتحرّون الورع فيها، ولا يتفقدون يجمعونها من حلال أو من حرام، وهي في الدنيا تفوت حالاً وفي الآخرة حسابها وعقابها أشد، وإما لعدم زكاتهم لها.

كان الحبيب عقيل بن حسن الجفري بيّاع مُشْتَري، ثم إنه كَتَبَ لوكيله يرسل له سُكّر في السّاعية الواصلة إلى الشحر، فأخذه وكيله ثم سار إلى عند صاحب السنبوك فاستلمه منه ووضعه عنده، فخرجت الساعية فغرقت في البحر، فبلغت الأخبار إلى حضرموت والخطوط إنّ ما في الساعية غَرِق، فوصل خط وكيل السيد عقيل إلى عنده، قال: فعجب السيد عقيل، وقال: أم مُحقّق إلاّ أني أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما تلف مال في برٍ ولا بحر إلاّ بحبس الزّكاة» وأنا مُحقّق أن النبي صلى الله عليه وسلم ما يكذب، ما ينطق عن الهوى، وأنا خرّجت زكاتها كلها في ظنّي، وأما أنا (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)، ثم بعد مدة جاءت ورقة من الوكيل اعتذار منه بأنه ما أخذه صاحب السّاعية الأولى والآن تحت أمركم، قال الحبيب عقيل: هذا ما هو شُغْلَك وكان ذلك السيد إماماً ورعاً زاهداً رضي الله عنه.

ثم قال رضي الله عنه: عاونوا أهلكم وسلفكم وبرّوهم، آه با تقولون للفقيه المقدم، أما يقرأ (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أو ما يقرؤون (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) شو هم يقولون ذلك كان بعضهم كل يوم يقرأ لوالده ختمه، ثم رأى بعض الصَّالحين أهل البرزخ يلتقطون ما يهدونه لهم الأحياء، ورأى واحد جالس لنفسه، فقال له: ما يفعلون هؤلاء، قال: يلتقطون ما يهدونه الأحياء لهم، فقال له: وأنت لآه ما تلتقط معهم وتُزاحمهم، فقال: أنا مُستغني معي ولدي في سوق الفلاني يبيع ويشتري يقرألي كل يوم ختمه، قال: فلما أصبح ذهب إلى ذلك السوق فوجد رجلاً جالساً فيه يُحرِّك شفتيه، قال: يا هذا ما تقول. فقال له: اقرأ ختمة كل يوم أهديها لوالدي، قال: فقلت له: أنا رأيت أهل التربة ورأيت أبوك وأخبرني بقراءتك له وأنه في خير وعافية، قال الرّاوي: ثم بعد مدة رأيت أهل البرزخ ورأيت ذلك الرجل يُزاحمهم فيما هُم فيه.فقلت له: لآه رجعت تُزاحمهم، فقال لي: إن ولدي مات وانقطعت القراءة، قال: فخرجت إلى ذلك المحل فلم أجده.

ثم قال سيدي: وهكذا كان أهلنا وسلفنا، كان الحبيب عمر بن زين بن سميط لا يمل من القراءة، وكان ابنه الحبيب أحمد يقرأ له، حتى اشفقوا عليه أهل شبام وقالوا الوالده: إنه با يتأثر باليبوسة والخِفَّة، فقال لهم الحبيب عمر: أنا ما أقدر أصبر من القراءة، وأما أنتم هاتوا لي يرطِّب دماغه مثل اللوز وغيره، ثم مرة وقع زواج عند أحد من أهل البلد فاجتمعوا أهل البلد للوليمة، وعندهم من السّادة

نحو أربع فخائذ مدعوين للوليمة، فلما جاء الحبيب عمر والمجلس مُغْتَص بأهل البلد وصدورهم السَادة، فسلّم عليهم وقال لهم: صبّحكم الله بالخير، وجلس حيثما انتهى به المجلس، وقال لابنه الحبيب أحمد بن عمر: اقرأ فقرأ، فانحرفوا أهل البلد نحوه وولّوا ظهورهم السَادة حتى تخلوا وصار آخر المجلس صدره.

ثم قال سيدي: وكان الحبيب عمر مُهابًا، أخذ نحو من سبعة عشر سنة ماينام، إلاّ إذا غلبه ألقى لوح كان معه واتّكأ به على يديه، قال سيدي: قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ الخ.

لهم من شراب القوم شِربٌ ومن حديـ ... ـثِ نجدٍ حديثٌ طيِّبٌ وقويمُ

ولما مرّ رضي الله عنه بعلامة الشيخ محمّد بن عمر أبو مُرَيَّم قال: كان الشيخ محمّد له مجاهدات عظيمة، يقوم ثلث الليل الأخير ويخرج إلى المسجد ولا يرجع إلاّ قريب استقال الشمس، وكان يُحفّظ أهل العِلم حقّه القرآن وربع التنبيه، ويُقال: إنه حفّظ خمسمائة شخص.

ثم ذكر معارج الهداية فقال: قرأناها وأفادت نحن جمّ، وأما الحدائق ما شاء الله عرفناها، قسّم الخلق إلى قسمين: القسم الأوّل: المحجوبون، والقسم الثاني ينقسم إلى قسمين: سيّارون وطيّارون، فالسيّار يسير حتى يبلغ قصده، والطيار أرقى وأعلى، عَبْدوَرَبْ، وأنا أحب أنهم يردون القراءة فيها.

وقال رضي الله عنه للسيد عبدالله بن عمر الشاطري في مدرس الرباط بتريم: أنا ما ودّ بيتهم يدخلون بي إلى داخل المجلس، با أجلس إلا في طرف من أطرافه، فقال له السيد عبدالله: ما با يخلونكم الناس تجلسون، ولو جلستم با نتحول كلنا قداكم، فالصدر حيثما جلس الصدر.

وسمعته رضي الله عنه يتكلم على آيات المعية، كقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ) وكقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ) مفهوم الآيات أن الله عز وجل مع المتقين والمحسنين والصابرين لا مع غيرهم، لا إنما هذه معية لطف ورحمة وشفقة، وإلا فهو مع الناس عموماً ومع جميع خلقه، كقوله (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ) العموم والخصوص.

ثم قال رضي الله عنه: إن الحبيب محمد بن علي بن عبدالله السقاف رضي الله عنه توفي لأحد عشر خلون من رجب سنة ١٣٠١.

وفي ٢٧ رمضان أنشد الشيخ سعيد بن عمر حسان بقصيدة الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه التي أولها:-

هواكم بقلبي والفؤاد مُقيم ... وشوقي إليكم مُقعِدٌ ومُقِيمُ

فلما وصل قوله:

وقد كان بالوادي وبالرَّبع والحِمى ... رجالٌ مصابيح الوجوه نجومُ

لهم من شراب القوم شِرب ومن حديـ ... ـثِ نجدٍ حديثٌ طيِّبٌ وقويمُ

وكنتُ بهم وافي الجناحين ساكن الـ ... ـفؤاد وريحي إذ تَهِبُّ نسيمُ

فأعدمني الدهر الخؤون وجودَهم		وما الدهر إلا خائن وظلوم

ضجّ الحاضرون بالبكاء لذكرهم الحبيب محمّد رضي اللهَ عنه، إذ هو من الرجال الكُمّل قال فيه سيدي أبو بكر العطاس رضي اللهَ عنه: اشهدوا عليّ أن محمّد بن علي إمام آل باعلوي يوم القيامة، وكفى بذلك فخرًا وشرفًا.

ثم تكلم على قول الحبيب عبدالله الحدّاد رضي اللهَ عنه:

حاجةٌ في النفس يا رب		فاقضها يا خير قاضي

فقال: نحن نسمع أن مطلوبه حُسن الخاتمة، وليس الأمر كذلك، بل مطلوبه مقام الرِضا بقضاء اللهَ وقَدَره، قال في قصيدة أخرى له:

حبكم أقصى مطالبه		والرّضا أعلى مآربه

ثم قال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة شيخه الإمام علي الحبشي:

«هات لي ذكر أحبابي عسى يجلي الهمّ»		إلى أن قال:

«يا أهل طيبة من الخيرات شُوقِسمكم جمّ» قال بعض أهل الإشارة في هذا المعنى في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ): أي كلما ارتقوا قيل لهم ارتقوا، لا مقام لكم هنا بل أعلى وأعلى.

ثم سمعته يقول عند قول الحبيب عبدالله الحداد:

يا اللهَ بذرّةٍ من محبةِ الله		أفنى بها عن كل ما سوى الله

قال: سألت عنه سيدي أحمد بن طه وسيدي علي بن محمّد الحبشي رضي اللهَ عنهم أهي محبة العبد لربه عز وجل أو محبة اللهَ لعبده؟ فقالا: هي محبة الرّب لعبده، قال

الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: إلهي إن حسنات مُحِبّيك مظنونة القبول، وحسنات محبوبيك مضمونة القبول، فنَزِّهني اللهم بالمضمون عن المظنون.

ومن أثناء كلام له رضي الله عنه قال: إنَّ الود أعلى وأعم من الرحمة، والرحمة خاصة، قال تعالى: (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) فالود يشمل الرحمة (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا).

ثم قال نفع الله به: إنّ الشَّيخ المُحَلِّي كان معه حانوت للتّجارة، وكان إذا أراد أن يخرج إليه ينوي نيات كثيرة مُسْتحسنة، كمثل نويت قرض المستقرض، نويت نفع عباد الله، نويت الاستغناء عن الناس، نويت إعانة الضعيف، وهكذا يجمع نيات شتَّى كثيرة، وكذلك في الوقت الأخير أحمد بن علي مكارم يكتب نيات كثيرة في لَهَجِ الخَلْفَه حَقُّه، وإذا أراد أن يخرج نواها وقرأها، أهل نيات صادقة صالحة بلغوا مقاصدهم.

لما بَنَى داره الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه قامت عليه كم مائة قرش دَين في ذِمَّته، جاء أحمد بن علي مكارم إلى عند سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه واستشاره في السفر لقضاء دين الحبيب عيدروس بن عمر، فأذن له، وقال له: أنا متوجه القابلة واطلب منك تكلم السيد علوي الحداد معه حمار جَوَاد با اشتريه منه، فسار الحبيب علي إلى عند السيد علوي فكلمه في الحمار، فقال السيد علوي: الحمار

كبير عليّ عادنا إلاّ أخذته، وانّه عندي أكبر من الحمار، شلّوه برأس ماله، فأخذه أحمد بن علي وسار به ورجع وقضى دين الحبيب عيدروس.

ومرة سافر ونوى في سفره أن يُشَارك الحبيب علي بن محمد الحبشي على نصف ما يُحَصِّله من السفر، فلما رجع أرسل عاني للحبيب علي يقول له: أرسل عمر ابن حامد وسط الليل إلى عنيزات، فخرج السيد عمر وطلعوا بخمسين حمل بالليل خُفية، شاركه حتى في النعال النعل بالنعل، رجال حصّلوا الدِّين والدنيا.

وأما الآن والعياذ بالله جابوا ميازين خفيفه تِطيش من أدنى شيء، وبعضهم شحيح يُعطيك الوزن حقك إن لا هو أقل منه، الله يحفظ ويسلّم، (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) وادي في جهنم اسمه ويل، وَفُوا الكيل والميزان إذا كِلتم، شو أصحاب شُعيب ماهلكوا إلاّ بتطفيف المِكيال، ولاحد بايقرأ نظير أحد، كلٌّ يأخذ كتابه بيده حد بايقول: (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) من صاحبها.

والقسم الثاني يقول: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) ثم يقال للملائكة (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) شوه عذاب شديد ما يقدر له ابن آدم، إذا لَفحته النّار قليل صاح منها فكيف بجهنم، الله يحفظنا من النار ومن مُخالفة الجبار ويرزقنا سلوك هدي النبي

المختار صلى الله عليه وسلم .

وسمعته يقول رضي اللَّهَ عنه : إنّ بعض العارفين كان له تلميذ ، وكان التلميذ فاني في محبة شيخه ، ومرة مرّت زوجة التلميذ ثم رأى الشيخ ينظر إليها ، فقال التلميذ : لعلّ الشيخ أحبّها فطلّقها ، وكان له تهجد طويل بالليل ، فقدّر اللَّهَ أن خَطَبَها الشيخ وتزوّج بها ، وكان قيامه بالليل أقل من التلميذ يركع ركعتين ثم يقول أنا أنا ثم ينام ، ثم طلّقها الشيخ فرجع التلميذ وتزوجها ، فلما كان بالليل قام كعادته فقالت له : ياهذا إن شيخك يقوم قيام خفيف ، يركع ركعتين ثم يقول: أنَا أنَا أنـا ويرجع وينام ، وأنت تبيّت تركع وتتعبّد ، فقال لها : يصلح له يسمع مناجاة الحق بقوله : « من يدعوني فأستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » فيقول : أنا أنا ، وأنا عسى ربّي يقبل عملي ويُضاعِف لي فيه .

وقال رضي اللَّهَ عَنه في مجلس العواد بمسجد الجدطه : اشكروا اللَّهَ سبحانه وتعالى واسألوه المزيد من فضله ، فكم عوّدنا نِعَمَه ، وكم أسبغ علينا مِنَنَه ، الأمة المحمدية مرحومة ، كل يوم المجالس والمواعظ ، المذكِّر يُذكِّر والواعظ يُوعِظ ، اللَّهَ يوصلها إلى القلوب ، بغينا لها ثَمَر ، سمعتوا كلام الحبيب عبدالله الحداد وكلام الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي اللَّهَ عنهم ، وفائدة السماع الاتباع والانتفاع وإلا ما شي فائدة من تصنيف العلماء بالله الكتُب ، ويكفي المتعظ آية من القرآن أو حديث من أحاديث سيد ولد عدنان ، أو بيت شِعر من كلام العلماء بالله

وكلها تدعونا إلى القُرب من اللهَ وجوار رسول اللهَ صلى اللهَ عليه وسلم.

شو ربكم رؤوف بكم عَطُوف عليكم رحيم بكم، أرسل لكم النبي محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إليه، وجاء بعده خلفاؤه العلماء باللهَ إلى زماننا هذا وهم يدعون إليه (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي) ما بُعث النبي صلى اللهَ عليه وسلم إلاّ لدعوة الخلق إلى ربّهم، ليُعَلِّمهم ما أوجب اللهَ عليهم فعله، وما أمرهُم اللهَ بتركه، وَالنَّبي صلى الله عَليهِ وَسلم بغا الخلق كلهم يقعُون زيان، ولكن من سَبَقت له مِن اللهَ الحُسنى اتبعه وفاز باتباعه، وظهرت فيه أنوار المتابعة له صلى اللهَ عليه وسلم.

أمره بالصَّلاة صلّى صلاة كاملة مع الإخلاص والإتقان وسائر الشروط ظَهَر فيه نور الصلاة، أمره بالصدقة فتصدّق كما أُمر حتى لا تعلم شماله ما تُنْفِق يمينه ظهر فيه نور الصدقه، أمره بصلة الرّحِم فوصَلهم على الوجه المشروع ظهر فيه نور الصِّلَة، أمره بالإحسان إلى الفقراء والمساكين والمنقطعين فأحسن إليهم ظهر فيه نور الإحْسَان، ونهاه عن المعاصي فانتهى ظهر فيه نور النهي، ونهاه عن الغيبة والنميمة فانتهى ظهر فيه نور النّهي، أمره بترك المحظورات فتركهن ظهر فيه نور الترك، قال اللهَ (إنّ المصّدِّقينَ وَالمصّدِّقات وَأقرَضُوا ٱللَّهَ قرضًا حَسَنًا يُضَاعف لهُم) (إنّ المسْلِمِينَ وَالمسْلِمات).. «إلى قوله» (وَالحَافِظِينَ فروجَهُم وَالحَافِظَات وَالذاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذاكِرَات أعدّ الله لهُم مَغْفِرَةً وَأجرًا عَظِيمًا).

ونحن بغينا هذه الأنوار تظهر فينا، بغينا نور العلم يظهر فينا وينتشر، بغينا نور الصدقة يظهر فينا، بغينا نور العبادة يظهر فينا، بغينا نور الترك يظهر فينا، بغينا نور الذكر يظهر فينا، بغينا الأنوار تُشْرِق في وجوهنا.

ومن سبقت له من الله ضد السّعادة أبَى من الحق وامتنع، وخالف النّبي صلى الله عليه وسلم، وخَسِر وبَاء بِغَضَبٍ من الله، وظهرت فيه آثار المعصية والظُلمة، وشَقِيَ وحُشِر مع الكفار (النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدوًا وَعَشِيًّا) (النَّار مثْواكُم خَالدِينَ فِيهَا) (ومَأْوَاهُم جَهَنّمِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكسِبُون) (وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ ٱلعَذَاب قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَات قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَال) والآية الأخرى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلعَذَابِ عَلَى ٱلكَافِرِينَ قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلمُتَكَبِّرِين).

اقربوا من النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحبّوه، وتقربوا إليه بكثرة الصَّلاة عليه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِم وَأَزْوَاجُه أُمّهَاتهم) وقال صلى الله عليه وسلم: «أقربكم إليَّ أكثركم عليَّ صلاة» ومن صَلّى عليه صَلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، ومن صلى عليه عشرًا صلى الله عليه مائة، وقال الله تعالى: (إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَه يُصَلّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أمرنا الله بالصَّلاة عليه صلى

الله عليه وسلم، وأهل القُرب في قُربهم، وأهل النعيم في نعيمهم، وأهل اللذة في لذَّتهم، وأهل البُعد في بُعدهم، وحالتنا هذه والعياذ بالله تفزّع، نخاف على أعمارنا، يكاد الدين ينمحي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بدأ الدِّين غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ» معاد معنا إلّا لفظة الشّهادتين: أشهدُ أن لَا إلَه إلَّا ٱللَّهَ وأنَّ محمّدًا رسُول اللهَ صلى الله عليه وسلم، آه تنتظرون عادكم، هل تنتظرون إلّا غنىً مُطْغِيًا أو فقرًا مُنسِيًا.

نخاف من حالة أهل البُعد إذا ذُكروا، وأعمالنا كأعمالهم، سمعتوا ما حكى الله عن أهل القرية بقوله: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) والآية الأخرى: (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) يعني وقت القيلولة.

وَأيُّ عَذابٍ أعظم من قسوة القلوب، وأي عذابٍ أعظم من الحجاب، قال الحبيب علي بن محمد الحبشي:

حُجبُوا وحسبهمُ الحجابُ عَذابُ ... ياليتهم سمِعُوا الندا فأجابُوا

المواعظ كثُرت، والمجالس كثُرت والقلوب تزداد قسْوة فوق قسْوتها (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) عَميت البصائر وأظلمت السرائر، وطَلَع عليها الرّان (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ).

والعارفون بالله يتلذّذون بالنظر إلى وجه الله رضيَ الله عنهم، قال

الحبيب عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه:

حاجَةً في النّفسِ يا رَب　　فاقْضِها يا خيرَ قاضي

وفي مقام الرّضى والنظر إلى وجهه الكريم قال في الأخرى:

«وَالرّضى أعْلى مَآرِبه»

وفي قصيدة للحبيب علي «هات لي ذِكر أحبابي عسى يجلي الهمْ» إلى أن قال «يا أهل طيبة»، وأهل الحجاب والبعد يكفيهم حجابهم وغفلتهم عن الله، غافلين عن مصرعنا، غافلين عن المُنقلب، كأن الموت على غيرنا كُتِب، وكأن الحق على سِوانا وَجَب، وكأن الذي نُشَيّعهم من الموتى سَفْرٌ عما قريب إلينا راجعون نُبَوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم، كأنا مخلّدون بعدهم.

كَثُرت المواعظ والإنذارات ولا نفعت فينا شيء، الحبيب عبدالله الحداد قال: أنا حُجّة على أهل وقتي، لأنهم ما عرفوا حقّه ولا قاموا به، ونحن المواعظ والمجالس الله لا يجعلها حُجّة علينا يجعلها لنا، وإلا نحن ما قُمنا بها، ما حد قال با أخرج من المجلس بفائدة، كما الأسمار، نعم فائدة حفظ الوقت.

تقرأون كل ليلة في الراتب: «تُبنا إلى الله باطناً وظاهر»، وأين التوبة، تكذبون على ربكم، وتقرأون في الصلاة (وَجّهتُ وَجهيَ لِلذي فَطَرَ السَّموٰتِ وَٱلأَرضَ) وقلبك ما هو حاضر مشغول بشي ثاني، من يوم تدخل المسجد وقدك تودّي تفر كما الطير في القفص ما هو داري متى با يحصّل له فكّة، ولو عاد الصلاة با تتأخر رُبُع ساعة با ينذُر من المسجد في تلك المدة، ولا هو مُبالي حصّل الصلاة

كلها أو بعضها أو التشهد الأخير، معاذ ينظر إلى فضل تكبيرة الإحرام خلف الإمام.

وكذلك الشُّبه عمّت والحرام عَمْ والجوارح مُطلقة، والظُّلم فشا بيننا بعضنا البعض، والتباغض والتحاسُد والغيبة والنميمة، كل هذا سببه طُعمة الحرام أورثت قسوة القلوب، لعاد قلب يخشع ولا عين تدمع ولا أذن تسمع، والجوارح مُطلقة، العين تعصي والأذن تعصي واللِّسان تعصي واليد تعصي والبطن تعصي والفرج يعصي والرّجل تعصي، إنّا للهِ وَإنّا إليهِ رَاجِعُون.

وسألته رضي اللهَ عنه عن قول النبي صلى اللهَ عليه وسلم في دعاء الاستخارة « اللهُمَّ إن كُنْتَ تعلم أنّ هَذا الأمر خيرٌ لي ... الخ » كيف أتى بإن الشرطية مع أنه يعلم أن اللهَ يعلم ما هو خير له منه من غير شك.

فأجاب بقوله: معناه اللهم إن كنت قدّرت هذا الأمر لي فقدّره ويسّره لي، كقوله تعالى لنبيه عيسى: (أَءَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) مع أنّه يعلم أنّه ما قال لهم، وأنّه بريء من ذلك، ولكنه قال له تبكيتاً للكفار.

وسألته أيضاً رضي اللهَ عنه عن قول المسلم للموتى في قوله: « وإنّا إن شاء الله بكُم لاحِقُون » كيف يُعلّقه مع العلم القطعي بأنّه لاحق بهم، فقال: ليس القصد بها تعليق الموت، وإنما تؤتى بها للتبرك أو للموت على الإسلام أو للدفن بتلك البقعة.

وسألته رضي الله عنه عن قول النبي صلى اللهَ عليه وسلم: « يُصْبِح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فأمر بمعروف ونهي عن منكر صدقة، وإماطة

الأذى عن الطّريق صدقة ... إلى آخر الحديث » كيف جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة وهو واجب.

فقال رضي الله عنه: أنه يُثاب عليه ثواب الواجب ثم ثواب الصّدقة وفي آخر الحديث: « ويُجزي من ذلك ركعتان يركعهما من صلاة الضحى» خفّف عنا الشّارع، وإلاّ هو مَن يقدر على ثلاثمائة وستين صدقة، على كل سُلامى صدقة، أي على كل عضو من الأعضاء صدقة، اللهَ يحفظنا من الميل إلى بُنيّات الطريق، ويرزقنا الاعتصام بالحبل المتين.

وقالَ رضيَ اللهَ عَنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه التي مطلعها:

مرحبًا مرحبًا بِعُربِ المصلّى   مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلا

قال: عُربِ المصلّى هم أهل البيت الطاهر، وهم ورثة جدهم المصطفى صلى اللهَ عليه وسلم وخُلفاه، إذا صلَحوا أهل البيت صَلَح بصلاحهم كل شيء، قال النّبي صلى اللهَ عليه وسلم: « ألاَ إنَّ في الجسَد مُضغَة إذا صَلحت صَلح الجسَد كله وإذا فسَدت فسَد الجسد كله، ألاَ وهيَ القَلب » والحبيب محسن بن علوي السقاف رضي اللهَ عنه يقول: ألاَ إنّ في البلد بضعة إذا صلحت صلح البلد، وإذا فسدت فسد البلد كله، ألاَ وهي أهل البيت الطاهر.

قال الفرزدق في وصف سيدنا علي بن الحسين رضي اللهَ عنهما:

يكاد يُمسكه عِرفانُ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلَمُ

قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:

نعرفُ البطحا وتعرِفُنا والصفا والبيت يألفُنا ولنا المعلا وخيف مِنى
فاعلمن هذا وكُن وكُن

ولنا خيرُ الأنام أبُ وعليُّ المرتضى حسَبُ وإلى السِبطين ننتسبُ
نسبًا ما فيه من دخَن

(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) وهي شجرة أهل البيت الطاهر (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ) ولكن عليهم العمل بأعمال أهلهم وسلفهم، وإلاَّ إذا سيتّبوا الحطام باتضيع عليهم الأشياء، عليهم بجدِّهم الأعظم صلى الله عليه وسلم، لا يحيدون عن طريقته حتى يخلفونه في ملّته السمحاء ومحجّته البيضاء النقية، ولا يغترون بآبائهم وسلفهم، قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه في هذه القصيدة:

ثم لا تغترّ بالنّسب لا ولا تقنع بكان أبي واتّبع في الهدي خير نبي
أحمد الهادي إلى السّنَن

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله الحدّاد التي مطلعها:

بشِّر فؤادك بالنصيب الوافي   من قُرب ربّك واسع الألطاف

قال: ينبغي لسالك طريقة أهله العلويين، الراغب في أعمالهم، أن يستمع لما في هذه القصيدة من الوصايا والحكم، فقد جمعت طريقة السادة العلوية إن كان ثَمّ أسماع واعيه وقلوب تعي القول، قال رضي الله عنه فيها:

واقرأ كتاب الله واتبع سُنّة   واقتد هداك الله بالأسلاف

هذا البيت جمع الطريقة العلوية كلها، وبعده قوله رضي الله عنه:

أهلُ اليقين لعينِه ولحقّه   وَصَلُوا وثَمّ جواهرُ الأصدافِ

ما في الدنيا إلاّ الصّدفْ والجواهر في يوم الجزاء، قال رضي الله عنه:

هذا شرابُ القوم سادتُنا وقد   أخطا الطريقة من يَقُل بخلاف

الله يسقينا من شراب القوم، ويمنحنا من أذواقهم وفهومهم، ولا يحرمنا بركتهم، ويَهب لنا ما وهبه لهم، ويُقِر أعينهم بنا.

وقال رضي الله عنه: قرأت أمس في الصّلاة سورة (والضُّحى) و(ألم نشرح) فعرفت الفرق بين (وَالضُّحَىٰ) و(أَلَمْ نَشْرَحْ) بالبسملة، وإلاّ كلاهن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنّ (وَالضُّحَىٰ) فيه تعليم وتربية بقوله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ) (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ) وفي (ألم نشرح) تزكية وتكملة بقوله: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ).

وبعدها القسم بالتين، أنه خلق الانسان في أحسن تقويم، وبعدها الكمال (اقْرَأْ باسْمِ) وبعدها (إنّا أنزَلْنَاهُ) وكلها متناسبة يعرفها أربابها، وبعد رجع إلى الخلق وأحكامهم وأقسامهم وفرقهم في (لم يكُنْ) إلى ما بعدها.

وقال رضي الله عنه: عند ما يقول المنشد: (رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذابَ النَّارِ) في الدنيا حسنة وهي: التوبة الصادقة والنية الصالحة وما انبنى عليها من كلِّ عمل، وما ينبني عليها إلا كل خير وعمل صالح وسرور، وهي أوّل قدم للسالك في سلوكه، قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه

والتوبةُ الخلصاء أولُ خطوة للسالكين إلى الحماءِ الأمنع

(وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذابَ النَّارِ) أي ثواب الطاعات التي عملها في الدنيا وجزاؤها في الآخرة ما بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم وأعلاها النظر إلى وجهه الكريم ورضاه عنهم الدائم، وجوار المختار في (جَنَّاتٍ تجْرِي مِن تحتِهَا الأنْهَارُ) (في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ).

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن

تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) إلى آخر الآيات، قال: لا يأخذ الإنسان بالآية الأولى ويترك مابعدها، إنما هي متعلقة بما بعدها، آيات مترابطات إلى آخرهن، لما ذكر سعته وعطفه وتحننه على عباده أردفها بعدها (وأنيبوا إلى ربكم) إلى آخر الآيات، الإنسان يشل الميزان ويوزن به، يعرفه ترابط الأشياء بعضها ببعض ويعرف الأسباب، الله ربط المسببات بالأسباب، من عمل بأعمال أهله وسبق في علم الله أنه من أهل الجنة دخلها وفاز، ومن عمل بعمل أهل النار وسبق في علم الله أنه من أهل النار دخلها «كل ميسر لما خلق له» (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

وقال رضي الله عنه: قال الله سبحانه وتعالى: «ابن آدم خلقتك من أجلي وخلقت الكون من أجلك» ولا خلقنا إلا لنعبده، والعبادة ما تصلح إلا من واحد يعرفك، ما حد يعبد واحد يجهله، وأرسل لنا الرسل ليعرفونا إياه، ولنربح عليه ما يربح علينا، وجعل الكون كله مسخر لك، وربط بعضه ببعض اعرف فائدة الاتصال، ما جعل الوسائط إلا ليعرفك ما له عليك من المزايا

الجليلة والخصال الكبيرة، التي ماتقدر تفي بعشر معشار واحد منهن، ولو عبدته طول عمرك مايساوي حتى نعمة البصر ولا أقل منها، تفضّل علينا بالإيجاد ثم بالإمداد ثم بالإرشاد ثم بالإسعاد، وغذّانا بنعمه الظاهرة والخفيه سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

ثم أجازنا رضي الله عنه في قوله: اللهمّ إني اسألك من كل خير أحاط به علمك في الدّنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شرٍّ أحاط به علمك في الدّنيا والآخرة.

وأجازنا أيضاً في نشر الدّعوة إلى الله، وفي تحصيل العلم ونشره وخصوصاً علم الحديث وعلم الفقه وعلم النحو وعلم اللغة وعلم الصرف.

وفي يوم الثلوث ١٤ جماد الأولى سنة ١٣٥٤ تكلَّمَ رضيَ اللّهُ عنه على الورع والزهد والمعاملة الطيبة بكلام نفيس، لم أحفظ منه إلاّ قوله: كان أهل الزّمان الأول ورعون، ومن بعدهم أقل، وهكذا إلى العصر الأخير، وفي وقتنا الأخير اشتبهت الأموال، ففي الأثر أو الخبر: «يأتي على النّاس زمان يُقال فيه: عامل من شئت مُطلقاً، ثم يأتي زمان يُقال فيه عامل فيه من شئت إلاّ فلان وفلان، ثم يأتي على الناس زمان يقال فيه: لا تُعامل فيه إلاّ فلان وفلان» وأخاف أن يأتي زمان يُقال فيه: لا تُعامل أحداً.

وكان الأوّلون يُنفقون أموالهم في طلب العلم وتحصيله، يُحكى أنّ أُمَّ ربيعة

الرأي شيخ الإمام مالك سافر والده في غزوة وأمه حامل به، وكان مع أبوه مال فوضعه عند أمه لَمَّا أراد الذهاب، وقال لها: تَحَفَّظِي عليه، ثم وَلَدَت بربيعة فشبَّ وخرجت به إلى عند العلماء، وأفنت المال في تحصيله للعلم، حتى برع في جملة من فنون العلم، وصار أكبر مُدَرِّس في الحرم ووالده غائب عنه في تلك السفرة، ولما انقضت المدة التي قُدِّرَت له أتى إلى بلده وبيده قناه كعادة العرب، وحينما وصل البلد قصد بيته، فوجد ربيعة جالس بفناء البيت فانتهره ربيعة لكونه لم يعرفه أنه والده، وقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) فأجابه بأن البيت بيتي، وصار بينهما نزاع لكون كل منهما لم يعرف الآخر، فخرجت أم ربيعة وعرّفت كل منهما الآخر، ولما جلس مع زوجته سألها عن المال الذي وضعه عندها لما أراد الذهاب عن البلد، فقالت له محفوظ، ثم إنه لما أصبح النهار ذهب إلى الحرم فوجد أكبر حلقة يُدَرِّس فيها ابنه ربيعه، فحمد الله وشكره على ذلك، ولما رجع إلى البيت سأل زوجته عن المال، فقالت له: هذاك الذي رأيته يُدَرِّس في الحرم، ففرح منها كثيرًا وشكرها على عملها المبرور.

وقال رضي الله عنه في آيات المعية كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) قال: المُراد بالمعية هُنَا معية رحمة ورأفة ولُطف، فلا يُفْهَم أنه مع المتقين لا مع غيرهم

ومعنى المعية في قوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ) معية قهر وحكم، فهو تعالى مع الكُل بالقهر والحكم والإحاطة والعلم، ومع المتقين بالرحمة والرأفة.

ثم أُنشدت بين يديه قصيدة الحبيب عبدالله بن علوي الحدّاد رضي الله عنه التي مطلعها:

نسيم حاجر يا نسيم حاجر هل من خبر تُشْفَى به الخواطر

فقال بعد إنشادها: كرّر الحبيب عبدالله كلمة «نَسِيم» لتعظيم المُخاطَب وتقريب للسامع، وتلذّذ بالمُناجاة، والنسيم هي الريح الضعيفة واللطيفة، وهي أحسن الرياح، تُجلي الهموم وتكشف الغموم، كما قيل:

أيا جبَلَي نَعمان بالله خَلِّيَا نسيم الصبا يَخْلُص إلي نسيمها

فإنَّ الصّبا ريحٌ متى ما تنسَّمت على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

وقوله: «هَل من خبرٍ تُشفَى بِه الخَواطِر» استفهام إنكاري، وقوله:

عسى معك لي يا نُسَيِّم أخبار عن الحبيب النازح المُهاجر

يُقرأ نَسِيم بالتكبير، ونُسَيِّم بالتصغير للترحم، وهو الموافق للذوق، وقوله: «عن الحبيب النازح المهاجر» يحتمل معنيين؛ الأول: أن يكون معنى النازح البعيد وهو الظاهر، فمعناه حينئذٍ الحبيب الراقي مرتبة أعلى من مرتبة الناظم والثاني: أن يكون معنى النازح المتخلِّي عن الأخلاق الذميمة والمتحلِّي بالأخلاق الكريمة، وهو بعيد عن الأخلاق الذميمة ونازح عنها ومهاجر لها البتَّه، وقوله

حيثُ المنادي يسمع المنادِي يا أهل البصائر حدِّقوا البصائر

يحتمل الأول بناء المنادَى للمفعول، والثاني بناؤه للفاعل، فمعناه على بناؤه للفاعل حيث المنادي وهو الحضرة الأحدية، تنادي أربابها الحاضرين بها، وهم أهل النفوس المطمئنة، المناداة من الحضرة الأحدية بقوله: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) فهي تسمع منادات الحق لها كما يسمع الحق منادانها سماع قبول وإقبال، فكل منادي يسمع مناديه، أو أن معنى ذلك أنَّ المنادِي يسمع المنادِي، أي أن الولد يتبع أباه وجده، بمعنى قولهم الصائغ يتبع الصائغ، فالولد قريب من والده بحيث يسمع نداه له، فهو قريب منه غير منقطع عنه في الصفات الحسنة والأخلاق المستحسنة والعبادات والأعمال. وقولـــه:-

حبُّ الأَحبّة في الفؤاد خيّمْ لا بل جرى مِنّي مجاري الدم

المحبة هي شدة المشغوف بالمحبوب، والانطواء المحض فيه، حتى يفنى عن كل ماسواه، كما قال في القصيدة الأخرى:-

يا اللهَ بذرّةٍ من محبة اللهَ أفنى بها عن كل ما سوى اللهَ

قال ابو الحسن الشاذلي في بعض اوراده: إلهي إنَّ حسنات مُحبّيك مظنونة القبول وحسنات محبوبيك مضمونة القبول، فنزّهني بالمضمون عن المظنون ومحبة اللهَ تعالى في متابعة الرّسُول، قال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) وهي وإن تعددت أسبابها وتفتحت أبوابها ترجع إلى الحُسن والإحسان، المجموعة له أطرافها، ومحبته صلى اللهَ عليه وسلم وسيلة

إلى سعادة الدارين والفوز بالحسنيين، «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: متى السَّاعة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أعددت لها، قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلَّا أنّي أحب الله ورسوله، فقال عليه الصّلاة والسّلام: أنت مع من أحببت» فما فرح الصّحابة رضي الله عنهم بشيء مثل فرحهم بهذا الكلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اختلط حُبّي بقلب أحد إلَّا حرّم الله عليه النار» وكلّ مسلم يُحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر إيمانه.

واختلف فيها العلماء، فقال الأكثر: لا ينفع من المحبة له إلّا الشّرعية وهو أن يجعل الإنسان هواه تبعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، والمحبة الشرعية دليل وجود المحبة الطبيعية، فبقدر ما يكون من المحبة الطبيعية عند الإنسان يكون اتباعه لسيد ولد عدنان صلى الله عليه وآله وسلم، الله يجعل لنا النصيب الأوفر من محبته صلى الله عليه وسلم، وإلّا ما نحن إلّا بُعَداء عنهم بعدم اتّباعنا لهم، ولكنّا نُحِبّهم كما قال الإمام الشّافعي رضي الله عنه:

أُحبُّ الصّالحين ولستُ منهُم ... لعلّي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي ... وإن كنّا سواءً في البضاعة

وقال الآخر:-

لي سادةٌ من عزّهم ... أقدامُهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي ... في حُبّهم عزٌّ وجاه

وروحه صلى الله عليه وسلم طوافة ملء الوجود، تسمع الكلام وتَرُدُّ السَلام، وقوله: «في الفؤاد» وادي داخل القلب، وقوله «خيَّم» أي نزل فيه واستولى عليه «لا بل جرىٰ منِّي مجاري الدم» وسائر الجسم، وامتزجت المحبة به امتزاج العود الأخضر بالماء، وقوله:

وكلَّما بَرَقُ الحِمَا تبسَّم ... فاضت دموع العين في المحاجر

تبسَّم بَرْقُ الحِمَا أي لمع، فكنَّىٰ بالتَّبَسُّم عن اللَّمَعان، وإذا لمَع برقُ الحِمىٰ تذكَّر أحبابه السَّاكنين به، ففاضت دموعه في محاجره شوقًا إلى لقاء من أحبه قلبه، وقوله:

عسى عسى يا ساكنين نَعمان ... أن ينثني وقتُ الصفا الذي كان

كرَّر وقت الترجي بقوله: «عسى عسى يا ساكني نعمان» رجاء أن يعود صفاهم الذي تقدَّم، ونَعمان بفتح النون وادٍ معروف، وقوله: «أن ينثني وقتُ الصفا الذي كان» يُفيد أنه قد سبق له معهم صفا فترجَّى أن يرجع

وينكشف حال الأسىَ والأشجان ... بوصل ليلى بهجة المُسَامِر

تزول أشجانه وأحزانه بوصلهم، وقوله:-

هذا جمالُ الحق قد تجلَّى ... ولم يكن محجوبٌ قَبْلُ كلَّا

إشارة إلى معلوم، وقوله: «قد تجلَّى» أي ظهر وبدا، ولا يكون التجلِّي إلَّا بعد التخلِّي، وقد تجلَّى له جمال الحق بالأنوار الحقيقية والعلوم الغيبيَّة

وقوله:

طور التجلّي قلب كُل عارف ومهبطُ الأسرار واللّطائف

والنّفس مُوسى تشهَدُ المعارف مهما تجلّت واثبت الظواهر

أي محل التجلّي الإلهي هو قلب العارف بالله، والتجلّي هو نور الحق الذي يقذفه في القلب، ومهبط الأسرار واللّطائف أي مستودعها ومستقرها والنفس تشهد المعارف إذا تجلّت أي بشرط التجلّي، ولا تجلّي إلاّ بعد تحلّي ولا تحلّي إلاّ بعد تخلّي، وقوله:

والنّفس مغناطيس أمر الإلهام والرّوح مغناطيس كون الاجسام

وذاك من بعد التوجُّه التّام بكلّ باطن وبكلّ ظاهر

النّفس أي المُلهَمَة (فَألهَمَهَا فجُورَهَا وَتَقوَاهَا) وقوله: «والرّوح مغناطيس كون الاجسام» أي جاذب الأجسام، فالجسم تابع للرُّوح القويّة، فالرّوح الكُليّة تجزأكذا أي صورة، ولا يحصل هذا المقام إلاّ بعد التوجُّه إلى الطّريق المُثلى، التوجُّه التّام الظّاهر والباطن الذي لا يَشُوبه شيء ولا يكدر، وقوله:

الله أكبر هذه الحقيقة قد أشرقت من مشرق الطريقه

فامسك أخي بالعروة الوثيقة وهي اتّباعك سيد العشائر

لهم شريعة وطريقة وحقيقة، فالشريعة أن تعبد الله على وفق ما أمر به صلى الله عليه وسلم وما نهى عنه، فعبادة الله شريعة عندهم، والطريقة

هي أن تقصده بالعلم والعمل من غير أن تشوبه أو تكدّره بشيء من الشوائب، والحقيقة وهي نتيجتها، وهي أن تشهد بنور أودعه الله في القلب أن كل باطن له ظاهر وعكسه، كخرق الخَضِر السفينة.

وَقالَ رَضيَ اللّهُ عَنْه للشيخ عمر بن عوض شيبان:

ابتهجنا بكلام الحبيب عيدروس بن عمر وفهومه في القرآن العظيم، وسبحان المعطي، وكذلك كراماته العظيمة الخارقة، ومن أعظمها قراءته القرآن من غير مُعَلِّم، وأهلنا وسلفنا سَمَاهم قريبة، ويُعطون أشياء غريبة، مثل الحبيب عبدالله الحدّاد والحبيب عمر بن سقاف والحبيب حسن بن صالح البحر والحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنهم، الدّحقه خضراء الحمد لله، ولا انقطعوا ولا با ينقطعون، وفي كل وقت لابد حد معه حال الفقيه المقدم وابنه علوي والشيخ عبدالرحمن السقاف والسّكران والمحضار والعيدروس والحداد رضي الله عنهم، ولكنهم ماظهر والتغيُّر الوقت، أين وقتنا من وقتهم وصفانا من صفاهم وأُنسنا من أُنسهم:-

فأيُّ شمس أنا ولكن حتماً على العُمي لا تراني

وهم إلا بَشَر كانا، ولكنهم صَفُّوا اسرائرهم، وغسّلوا أوعيتهم ونظّفوها حتى طرحوا لهم السر، ولكن نرجو من المولى أن يَرُدّا الأشياء إلى محلِّها، ولا ينزع السر من أهله كما قيل:

إذا ما رأيتَ آمرءًا ماجدًا فرجَّ النجابةَ في نسلهِ
فإنَّ من الأمرِ في كفِّه أبى ينزع السرَّ من أهلهِ

والأخ محمّد بن علي الحبشي رضيَ اللَّه عنه قال: شكوت مرضًا بي إلى السيِّد عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين رضي الله عنه فقال لي: إن كان المرض من قديم هو إرث من أهلك، وكل من كان في أهله شيء لابد ما يصِله قسمه منه، وسيدي الوالد قال: رأيتُ الشيخ أبي بكر بن سالم رضي اللَّه عنه فوجدته أصفر اللون طويل القامة كبير الأنف، وتجد أولاده مثله، علامة على أن من كان في أهله شيء لا بد ما يصله قِسمه منه، ونحن نرجوا من اللَّه أن لا ينزع السر من محله ولا من أهله.

وقال رضيَ اللَّه عنه: إذا جالست الملوك فاحفظ لسانك، وإذا جالست الأولياء فاحفظ قلبك، لأن الأولياء ينظرون إلى البواطن.

وقال أيضًا رضيَ اللَّه عنه: إنّ الشيخ عوض بامختار كان من الأولياء المجاذيب، وكان شيخه الشّيخ محمّد عباد رضي اللَّه عنه، وكان له زوجة إسمها عطيوة كان مُولَعًا بها الشيخ عوض، وكان صبّانًا يُصبِّن الثياب، ثم إن السلطان جاب مَلْحَفَة بغا الشيخ عوض يُصَبِّنها، فأعطاه إياها، وبعد ما صبَّنها قالت له زوجته عطيوة: بغيت لي بُرقع منها، فقال لها: إنها حق السُّلطان، فقالت: وإن كانت حق السلطان، وكلَّفت عليه غاية الكَلَف

حتى قَطَب لها بُرقع منها، فعَلِم السلطان به فأرسل إليه يجيب المَلحَفَه فأخذها الشيخ عوض وجمع طرفيها وقال: يامساوي ساوها ويامحمد داوها يعني به الشيخ محمد عبَّاد فالتصقت ولا بها شي.

وكانت معه دابة، ثم إنه مرة بغا الدابه وهي ترعىٰ في مضايق الغرفة وأبطأ يدوِّرلها ولا وجدها، فقال: الليلة الدابّة تستاهل صميل حَذْ بجلدها بُه ثم حصَّلها تحت دار أهل زوجته عطيوة، فقال لها: حتى انتي تحبينهم تستاهلين الاّمُصْرَا شقَاشْ، ثم بعد مدة ماتت زوجته عطيوة فحزن عليها حزنًا شديدًا، ثم مَرَّبه الشيخ عمر بامخرمة، فقال له الشيخ عوض « ياعمر ما دواء أهل القلوب المراضي » فأجابه الشيخ عمر بقـوله: « طِبُّه العذب لي ينزح على بئر راضي » فسار الشيخ عوض إلى بئر راضي فوجد فيها امرأة تستقي، فسألها الشيخ عوض عن اسمها ونسبها وزوجها وأهلها، فقالت له: ماني مُزَوَّجة، فخطبها الشيخ عوض من عند أهـلها فقبلوه وتزوجها كشفًا من الشيخ عمر بامخرمة رضي اللَّه عنهم.

والشيخ عوض له شِعرفي الذوق عجيب يحبونه السادة العلويين ويكفيه فخرًا أن الحبيب أحمد بن زين الحبشي رضي اللّه عنه شرح قصيدته التي مطلعها:

بوبكر ذي ساعة غزا وقهوة تفور تفور والنور بين أفوارها له عكور

ثم ذكر سيدي رضي الله عنه الشيخ محمد أبي بكر عبَّاد، فقال: كان من عباد الله الصالحين وكان شيخ الشيخ عبد الرحمن السقاف رضي الله عنهم ويُعَظِّم الشيخ عبد الرحمن السقاف ويحبه، ويحب أهل البيت الطاهر، وكان إذا أتى إليه الشيخ عبد الرحمن يقول له: اجلس في مسجد الخوقة في الجانب البحري مقابل خلفه يجلس تحتها الشيخ محمد بن أبي بكر وداره الآن دار الشيخ بو بكر معلِّم رضي الله عنه، ويقول لا تدك الباب تعظيماً للشيخ عبد الرحمن وكان تحته حصير يجلس عليه، فلما قُرئت عليه الآيه (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) فنزعها من تحته وجلس على الأرض وقال: أخاف أن تكون من إرادة العلو. ومرة طلبوا منه آل شبام أن يخرج للاستسقاء فخرج، فلما كان في أثناء الطريق رجع وقال: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ومرة بلغه ان «آل حذيه» أكلوا رجل من قِلِّ الرحمة وضنك المعيشة فدعا الله بالرحمة لهم ومات بعد ثمانية أيام فداء بنفسه لهم.

والشيخ أبو بكر بن سالم رضي الله عنه كان شيخه الشيخ معروف باجمال رضي الله عنه، وكان إذا أتى إليه يجلس تحت شبام في بُدِّ الزاهر، فشرفن عليه أربعين عذراء من آل باجمال، فقُلن له: حذو يابن سالم، فقال: سلَّطكن الله على رجالكن، فكانت لهن الغلبة على رجالهن، وكذلك أغلب حريم آل شبام.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: كان الحبيب أحمد بن محمّد الحبشي رضي الله عنه يخرج من الحُسَيِّسَة ويحضر مدْرَس شيخه الشيخ أبو بكر ابن سالم رضي الله عنه بعينات ويجي قبل الدرس، والشيخ أبو بكر بن سالم يقول: ثلاثة فخَطّهُم بيدي والفخطة فخطتي، الحبيب يوسف بن عابد والحبيب أحمد بن محمّد الحبشي والحبيب عبد الرّحمن بن محمّد الجفري رضي الله عنهم.

ومرض رجل ولا وجد لمرضه طبيبًا، فقيل له: ما حد با ينفعك إلا الشّيخ أبي بكر بن سالم اخرج إليه، فخرج إليه، فقال له الشيخ أبو بكر: سِر إلى تريس عند الولد عبد الرّحمن بن محمّد الجفري، فسار إليه قاصدًا تريس حتى وصل بير تحت تريس، فجاء إلى عنده فقال له: أين السيد عبد الرّحمن الجفري، فقال له: اجلس ونحن نَسِير بك إلى عنده، فجلس مدة طويلة، ثم قال له: أين الشيخ عبد الرّحمن الجفري، قال له: اجلس ونحن نسير بك. فقال له: جويع فقال له: قُمْ إلى القضب وكُل منه ما شئت. فقام وأكل منه ما شاء الله، ثم قرقرت بطنه فقال له: بغيت الطهارة، فسار به إليها، فخرجت من بطنه الأوساخ وشُفِي، ثم قال له: أين الشيخ عبد الرّحمن الجفري، فقال له: با نسير بك إلى عنده، والشيخ عبد الرّحمن هو السّاني يسني في مكانه حتى ترك فرضًا، ثم قال له: أنا الشيخ عبد الرّحمن الجفري، فأنكر عليه بباطنه حيث أنه ترك فرضًا من الفروض، فسار به إلى الدّار وفتح له خزانة فإذا فيها رجل قائم يُصلّي

وصورته مثل صورة الشيخ عبدالرحمن الجفري، حتى أتى به على تسع خزين فيها صورة الشيخ عبدالرحمن الجفري يصلي، وأخبره كشفاً منه بما أسره بباطنه.

ولما قربت وفاة الشيخ أبي بكر بن سالم رضي الله عنه وكان خدّه على فخذ السيد يوسف بن عابد الحسني، وكان السيد يوسف يكرر عليه قوله: (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا) يريد منه أن يقول له: (زَوَّجْنَاكَهَا) فقال له: يكفيك يا يوسف لي معك، والباقي خله لأولادنا، إن حد منهم تأهل طرحناه فيه، وإلا وضعناه أولاً في الكثيب حتى يتأهل له أحدهم، وأهلنا وسلفنا من معه سر بغاه لعياله يبقى محفوظ، وإلا ما نحن إلا قفينا بأهلنا وأدبرنا عنهم، فهم يرعون نحن ويدعون لنا في كل فرض وفي كل وقت (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ) ولا تخلون نحن نغيظهم ولا يشتقون منا، برّوهم وشوبركم بايصلهم إن هم أحيا وإن هم أموات.

ثم قال رضي الله عنه: إن الشيخ عمر بامخرمة رضي الله عنه جاء إلى شبام على راحلة وطرحها في البطحاء، فقالوا أهل شبام: بغينا سيل، فقال بعضهم: اطرحوا غداً قضب للراحلة حق الشيخ عمر، فخلّوا

واحد يجلس عند السّدّة حق البلاد وكلما دخل قضب إلى البلاد أخذه وطرحه للنّاقة، حتى غطّوا رأسها من القضب، فأخبروا الشيخ عمر بذلك، وقالوا له بغينا سيل، فقال لهم: اندروا واعلموا، فخرج معه واحد يعلوله السيل، وكلما علَم له علَم قال له: ارفع فوق، فقال له: إذا زاد على هذا بايغيّر البلاد فقال لهم الشيخ عمر: هاتوا المُغنية حقكم، وأنشا بقوله رضي الله عنه:

نسنسي يا فضيضه بردي لا هب الحر　　شلّي الصوت قولي فيه يا الله على سر
يا الله إنّا نبا وادي الهرايكل يُمْطَر　　يرتعش بنعش يرجع كما الجُبّه اخضر
خصّ ما بين يا رحمٰن حذيه وبحر

فطلعت السُّحب وحنَّ الرّعد وحصل السيل العظيم لأهل شبام ببركته رضي الله عنه.

ثمّ قال رضي الله عنه في قوله تعالى: (إنْ تُعذِّبْهُم فإنّهُم عبادُك وإن تغفِر لهُم فإنّك أنتَ العزيزُ الحكيم) عدل نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسّلام عن المغفرة والرحمة إلى قوله: (عَزيزٌ حَكيم) إجلالاً وهيبةً وتعظيمًا للحق جلّ وعلا لما قال له: (إذْ قَالَ ٱللَّهُ يَاعِيسَىٰٓ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) قال له نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسّلام (سُبْحَانَكَ) أي تعظيمًا وتكريمًا وتنزيهًا لك (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) ولا قال المولى لعيسى: (أأنت قلت للناس) إلا وهو أعلم به، ولكنه قال له تبكيتاً للكفار، لهذا عدل عيسى عن المغفرة.

وأما نبي الله إبراهيم عليه السلام من أهل الرطوبة، قال الله تعالى حكاية عنه: (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)

وأجازنا رضي الله عنه في الصلاة البدوية[1] وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية، وأشرف الصورة الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنية، والرتبة العلية، من اندرجت النبيون تحت لوائه فهم منه وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت . وفي (إنا أعطيناك الكوثر) وفي قول البوصيري:

ليته خصني برؤية وجه ... زال عن كل من رآه الشقاء

وفي قوله أيضاً:

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني ... والحب يعترض اللذات بالألم

وقال: إنها مجربة لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأتم إحداها مائة

[1] للسيد أحمد البدوي المدفون بطنطا.

مـــرة.

وأجازنا أيضاً في قصيدة الشيخ عمر بامخرمة التي مطلعها:

« سَهْل بـالله سَـلِ المولى عسىٰ انه يسهِّل »

وقال: إنها لتسهيل الولادة. وكان الحبيب عمر بن سقاف رضي الله عنه يكتبها ويقول: أمرَني بها الحبيب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه.

وقَالَــــ رَضِيَ اللهُ عَنه: أهل البيت النّبوي لهم الفضل والشرف على كلِّ الناس، ولهم المزيد على المسلمين، لأن الله فضّلهم على غيرهم وجعلهم جزءًا من أجزاءه صلى الله عليه وسلم، وحبهم على الناس واجب، بنص قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي قُلْ لَهُم يا محمّد ما أريد منكم أجرًا إلَّا محبتي ومحبّة قرابتي، وفي الحديث الآخر: « من أحَبَّهُم فبحُبِّي أحبّهم، ومن أبغضهم فقد أبغضني » قال الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه:

وآل رسول الله بيتٌ مطهرٌ   محبتهم مفروضة كالمودّة

هم الحاملون السرّ بعد نَبِيِّهم   ووُرّاثه أكرم بها من وراثةِ

وحبيبكم محمّد صلى الله عليه وسلم بايشتق منكم إذا ما فَرَّحتوه وكرّمتوه، الإنسان ينظر في نفسه إذا أحد أكرم ولدك وحبه وفرحه بانفرح منه، أولاد النبي صلى الله عليه وسلم مثلكم، إذا أحد أكرم أولاده وحبّهم بايخته بالجزاء والمحبة

والإيناس من النبي صلى الله عليه وسلم ويا سعادته ويا فوزه ويا بُشْراه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يوعدون».

وأهل البيت عليهم لا يحيدون عن سَنَن جدّهم سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، ولا يتخلفون عن أعمال أهلهم وسلفهم وما هُمْ عليه، لأنهم اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا حادوا عن طريقته، ما خذو كذا ولا كذا، غير كما قال الحبيب عبدالله الحداد:

ومضوا على قصد السبيل الى العُلا   قدماً على قدمٍ بجدٍ أوزع

والوالد عبدالرّحمن بن علي رضي الله عنه قال:

طريقهم مدارها يا صاح   على عقيدة سلف الصّلاح

وسلف الصّلاح هم أهلنا وسلفنا لي تقرأون مناقبهم وسِيَرهم وشمائلهم تسمعون كان يقول كذا وفَعَل كذا وله من الأعمال بالليل كذا والنهار كذا، طريقهم سهلة تَجْمَعها الحبيب علي الحبشي بقوله:

وها هي أعمال خَلَت عن شوائبٍ   وعلمٌ وأخلاقٌ وكثرةُ أورادِ

وقبله هذا البيت:

وإياكم من صُحْبَةِ الضّدِ إنّني   رأيتُ فسادَ المرءِ صُحْبَةَ أضداد

والضد كل من خالف طريقة أهله وسلفه، يقال له ضد لأنه ضاد أهله عن

الطريق، وهو بطريق وأهله بطريق.

الله يردنا إلى ما عليه أهلنا وسلفنا، ويحفظنا من بُنيَّات الطريق ومن صحبة الأضداد ومن مجانبة الزيغ والإلحاد، ويبارك لنا فيما أعطانا وفيما وهبه لنا، ويُقِرّ أعين أهلنا بنا إذا قرّت أعين أهل الصَّلاح بأبناء الصّلاح، ويهب لنا ما وهبه للأجداد والأمجاد، واللحوق بالأولياء والأوتاد.

وقال رضي الله عنه: السلطان إذا قام بتقوى الله والرأفة والرّحمة والشفقة وسلك سبيل الصّالحين من الولاة، وامتثل أمر الله واجتنب مناهيه، وأشفق بالرعية وسوّى بينهم، وتبع الولاة الصّالحين القائمين بالعدل في رعيّتهم الهُداة المهديين، مكّنه الله في الأرض ونصره على أعاديه وقوّى جنده.

وقال رضي الله عنه: الحمدُ لله نحمده على جميع نعمه الباطنة والظاهرة، ونسأله أن يُتمّها علينا ويوفقنا لشكرها في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيّدنا محمّد الواسطة الكبرى، صاحب الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود وعلى آله وصحبه الرّكع السجود، صلاة دائمة مستمرة إلى اليوم الموعود، وعلى سلفنا ومشائخنا في الدين، الشاربين والكارعين من عين اليقين، وعلينا معهم آمين.

وقال رضي الله عنه: العبد إذا أخلص في محبة مولاه قربه وأدناه، وهداه إلى ما فيه رضاه واجتباه، وجات الأشياء طوع يده وصار من المحبوبين المقربين، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من تقرّب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرّب إليّ ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيْتُه هرولة، ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنّوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها» وفي الحديث الآخر «فبي يسمع وبي يُبصر».

وفي ذلك أشار الشيخ عمر بامخرمة رضي الله عنه بقوله:

مُطْرِبه قال محبوب القلوب الوفا حَلْ　　والذي جيتنا به من قدا الدّين قابَل

عندنا يا عُمَر من راد يعمل فيعمل　　لا كثيره يفرحنا ولا نسخط إن قَل

وإن جفا أو زَلْ ما الزله تزيله إذا زل　　ذه صفتنا بها المحبوب منا يُعامَل

إذا قَرُبْت من ربك وامتثلت أوامره واجتنبت مناهيه وعملت بما في كتابه أحبك وقرّبك، ويا بختك بمحبته وقُربه، كل شيء بايجي في يدك. وكلها الأشياء باتُشْهُل لك، وكلهم بايخافونك، والقُدرة باتغار لك، والرّب بايغضب لك:

مُلوك على التحقيق ليس لغيرهم　　من المُلك إلا رَسْمه وعقابُه

وعادهم بايحصلون أكبر من هذا، وهو لذّتهم في الصلاة ومناجاتهم لربهم ورِضَى مولاهم، قال الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه:-

«والرِضَى أعلا مآربه»

وبعضهم يفهمون من قول الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه :-

حاجة في النفس يا رب فاقضها يا خير قاضي

أن طلب الحبيب عبدالله الحداد حسن الخاتمة وليس كذلك، إنما هي طلب مقام الرضى من الله كما قال : « والرضى أعلا مآربه » .

قال الحبيب أحمد بن عمر الهندوان رضي الله عنه : أخاف أن أمني في الصلاة لما أجده من اللذة ، وبعضهم يقول : إذا أحرمت بالصلاة اعملوا فيّ ما شئتم، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وجُعِلت قرة عيني في الصلاة » .

وذكر سيدي أن الحبيب عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه زار دوعن، ثم زار الشيخ علي باراس رضي الله عنه ، وكان من تلامذة شيخه الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس رضي الله عنه ، قال : فأراد منا أن نأخذ عنه الطريق فامتنعنا وقلنا : قد أخذنا عمّن أخذْتَ عنه ، وهو الشيخ عمر بن عبدالرحمن العطاس ، والسادة إنما مددُهم من بعضهم البعض ، وغيرهم إنما يستمد منهم ، وألحّ عليه في ذلك ، فلما رأى امتناعه عليه فعل له عصيدة وأراده أن يتغدّى عنده ، فأبى من ذلك ، فانكسرت البُرمة وسقطت العصيدة في الرماد ، فقرأ الفاتحة وخرج .

قال سيدي : وإنما فعل الشيخ علي باراس العصيدة لما امتنع من الأخذ عنه ، لأن الأكل والشرب عند أهل هذا الفن أخذ لطريقة مَن أكل أو شرب

عنده.

وليلة من ليالي شهر رجب سنة ١٣٥٥هـ بات يُملي علينا من مناقب أسلافه الكرام أهل الفضائل الجسام والمحاسن العظام، حتى أتى على ذكر مناقب السيد القَمْقَام عمر المحضار بن عبد الرّحمن السقّاف رضي الله عنه فأسْهَبَ في مناقبه وأطال، وأفنى جُلَّ الليل فيما لَهُ من المزايا الجليلة والخلال ثم ذكر ما خصه اللّهَ به من غارانه على أصحابه وعلى كل من هَتَفَ بإسمه، تكلّمَ عليه بكلام طويل لم أحفظ منه إلاّ قوله: من أهل الدّرك، من ناداه وهَتَفَ بإسمه أجاب نِدَاه ولبّاه ولو بأقصى الصين، وقال بعضهم: ثلاثة لا تزال خيولهم مُسْرَجة مُلْجَمَة: علوي بن الفقيه وابنه علي بن علوي والشيخ عمر المحضار رضي اللّهَ عنهم، وكان الشيخ عمر متوطناً بِعَرَف محل تحت الشحر، وقيل له: إنك تَقْتُل، فقال: لا ولكن من نَاوَانَا تَعْلَق فيَّ شرارة نار لا تنطفي إلاّ بموته، قال الشوّاف: «له سِر يقصف الاعمار».

ولما قَرُبَت وفاة أبيه الشيخ عبد الرّحمن السقاف رضي اللّهَ عنه كَتَبَ له يطلب منه الخروج إلى تريم، فاعتذر له بأنه عليه دَين من أسباب الحرث لأنه كان يعرف يحرث، فقال الشيخ عبد الرّحمن: من قضى دين ولدي عمر ضمنت له بالجنة، فلما بَلَغَه ضمان والده بالجنة لمن قضى دَينه قال: أنا بأقضي دَيني وبغيت ضمان والدي بالجنة، فباع ما كان يملكه بعَرَف وما كان معه من آلآت الحرث، وقضى دينه وخرج إلى تريم، ومن أمّل أملاً

وجعل للشيخ عمر شيئ إذا حصل يحْصُل أمله، وأولاد الشيخ عبد الرّحمن كلهم رضي الله عنهم ما واحد خن قرشه كلهم كُلّ، قال الشواف رضي الله عنه:

وأولاد شيخي الأكبر ثلاثة عشر وأكثر
والحال أكبر وأكبر وكُلُّهم شي لله

وبَعْدَ المحضار جاء الشيخ الكبير القطب الشهير عبدالله بن أبي بكر العيدروس رضي الله عنه، أخذ عن الشيخ عمر المحضار وتزوج بإبنته عائشة، كان الشيخ سعد بن علي مَدْحج السويني يقول لها: بنت القطب وزوجة القطب وأم القطب، أما بنت القطب يعني به الشيخ عمر المحضار، وزوجة القطب يعني به الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأم القطب يعني به أبا بكر العدني بن عبدالله العيدروس رضي الله عنهم، وكان الشيخ عبد الله العيدروس يقول: أعطاني عمي عمر المحضار رضي الله عنه ثلاث أيادي: يد من النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الكشف، ويد من الشيخ عبدالرحمن السقاف رضي الله عنه، ويد من أحد من رجال الغيب.

وتولى زعامة السّادة العلويين وهو في سن البلوغ بعد عمه عمر المحضار، وذلك أن السّادة العلويين وجّهوا أمرهم بعد الشيخ عمر المحضار إلى السيّد محمد بن حسن جمل الليل صاحب رُوغَة، وكان ذا مجاهدات عظيمة وأعمال جليلة، وكان له قُدرة على الشيطان يخلّيه يسْنِي في نخله وحرثه، ولما وجهوا السّادة العلويين أمرهم إليه وخرجوا عنده جاء الشيطان

إليهم في صورة رجل شائب وعلى رقبته سُبحة عظيمة قائم في الضِّيقه كل من دخل قبّل يده من السّادة الكبار والحبيب محمّد يضحك عليهم، وهم يَرِدون إليه أفواجًا، حتّى دخل السيد عبدالله العيدروس وهو أصغرهم سنًا واضعًا نعليه تحت إبطه، فلما رأى ذلك الرّجل عرف أنه الشيطان، فأخرج نعليه من تحت إبطه وجعل يضرب الشيطان حتى فر، فولاّه السيد محمّد بن حسن على السّادة وجعله زعيم.

وأمُّه بنت بارشيد تاج الدّنيا والآخرة، وأخوة الشيخ علي بن أبي بكر السكران صاحب المعارج والحدائق والبرقة المشيقة، والحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه يقول: لي مَدَد من العيدروس الأكبر، وكان سيدنا العيدروس يُكرر هذه الأبيات ويستغيث بها:

ألا يا رسول اللهَ غارة منجد ... ونجدة ذي جاه بها لا تؤجّلِ
ويا آل طه غارة علَويـة ... بها تنقضي الأوطار والهمّ ينجلي
سريعًا سريعًا هيًّا هيًّا بكم فما ... على غيركم عند الخطوب مُعوّلي
سريعًا سريعًا هيًّا هيًّا بنجـدةٍ ... سريعًا سريعًا يا أولي العزم يا هلي

وتوفي بِعَبُول على طريق الشحر، وساروا به يومين ليلاً ونهارًا، حتى دخلوا تريم فجهزوه ودُفن تلك الليلة بالليل.

وقال رضي الله عنه: إذا نابت الإنسان نائبة يتوسل بالسّلف الصّالح وبنبيه محمّد صلى الله عليه وسلم إلى الله في أن يكشف ماحلّ به من البلاء والوباء، ومثل كلام السّلف الصالح رضي الله عنهم:

يا قريب الفرج فرّج على عبدك اليوم　　يا قريب الفرج سالك تجلّي للاكدار

والآيات القرآنية نحو: (مَنْ يتّقِ اللهَ يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومَن يتوكل على ٱللَّه فهو حسبه إنّ ٱللَّهَ بالغ أمره قد جعل اللهُ لكلّ شيءٍ قدرًا) (ومَن يتّقِ ٱللَّهَ يجعل له من أمره يسرًا) (ومَن يتّقِ اللهَ يكفّر عنه سيئاته ويُعظم له أجرًا) قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه: فيها أسرار فكرروها يحصل الفرج ويزول الضيق والحرج.

وكم لله من لطف خفيٍّ　　يدقّ خفاه عن فهم الذكيِّ
وكم يسرٍ أتى من بعد عسر　　ونفّس كربة القلب الشجيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يومًا　　فثق بالواحد الفرد العليِّ
توسّل بالنبيِّ وكل عبدٍ　　يُغاث إذا توسّل بالنبيِّ
توسّل بالنبي وصاحبيه　　وذي النورين والمولى عليِّ

وقال آخر:-

كن عن أمورك معرضًا　　وكِلِ الأمور إلى القضا
فلربما اتّسع المضيق　　ولربما ضاق الفضا
ولربَّ أمرٍ مزعجٍ　　لك في عواقبه الرضا

الله يفعل ما يشاء   فلا تكن معترضا
أبشر بعاجل فرحة   يُنسى بها ما قد مضى

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بفصل من تائية الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه التي مطلعها:

بعثتُ لجيران العقيق تحيتي   وأودعتها ريح الصباحين هبّتِ

وهو قوله:

أيا صاحبي والنصح دأبي ومذهبي   عليّ به أخذ العهود الوثيقةِ

قال: سمعتوا ما قاله الحبيب عبدالله الحدّاد رضي الله عنه في هذا الفصل وقبله الفصل الثاني:

خليليّ هل من مُسعد منكما على   سلوك سبيل دارسٍ وخفيّةِ
تأخّر عنها الأكثرون وأعرضوا   لِمَا عَلِمُوا في قطعها من مشقّةِ

عَفَت الطريق ودُرِسَت، والسبب في ذلك تأخُّرنا عما كانوا أهلنا يطلبونه، وطلعت علينا الأكدار، وطُبِع الرّان على القلوب، وعادها أورثتنا تعب في الدنيا والدِّين راحة معنا عاجلة ولا آجلة، أما في الدنيا بغلاء الأسعار ومخالطة الأشرار والبُعد عن سيرة السلف الأخيار، وإلّا ما هُوْ كلام الله وكلام الرّسول صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء الفحول يمُرُّ علينا بلا تَعَقُّل معاني، قنعنا بالدُّون ورضينا بالسُّفُل، وإلّا ما يقنع بالدُّون إلّا كُل مغبون، وهو الذي قال فيه النبي

صلى الله عليه وسلم: «من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه خيراً من أمسه فهو فائز» ونحن بعاد من هذه، والتالية الله يحفظنا منها وهي: «من كان يومه شراً من أمسه فهو خاسر» (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) كل منا مشى على غير طريقة أهله: (وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا) أهل البيت تأخروا عمّا عليه أهلهم وجدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإلا هم القدوة وبهم الأسوة قال الحبيب عبدالله الحدّاد رضي الله عنه:

ولغير الله ما قصدوا ... ومع القرآن في قرن
أهل بيت المصطفى الطهر ... هم أمان الأرض فادّكر
شُبّهوا بالأنجم الزهر ... مثل ما قد جاء في السُنَن
وسفينٌ للنّجاة إذا ... خِفْتَ من طوفان كل أذى
فانج فيها لا تكون كذا ... واعتصم بالله واستعِن
ثم لا تغترّ بالنسب ... لا ولا تقنع بكان أبي
واتّبع في الهدي خير نبي ... أحمد الهادي إلى السَنَن

ولكن (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل: هل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ

اللَّهَ وآمنوا به يَغْفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبكُمْ وَيُجِرْكُم مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ) وبعدها شوه (وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيسَ بِمُعجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاءُ) وفي الآيَةِ الأُخرَى: (وَمَا لَكُم مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) وقال: (فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُم مِدْرَارًا وَيُمْدِدكُم بِأَموَالٍ وَبَنِينَ وَيَجعَل لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجعَل لَكُم أَنهَارًا) هذه في الدنيا وأما في الآخرة: (فَلَا تَعلَمُ نَفسٌ مَا أُخفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعيُنٍ) والآية الأخرى: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا رَبَّهُم إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَت أَبوَابُهَا وَقَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيكُم طِبتُم فَادخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعدَهُ).

الحمد لله أمة محمد خير الأمم ورسول الله صلى الله عليه وسلم خير الرسل أكرمنا الله به، يا بختنا إن اتبعناه، ويا خسارتنا إن تخلفنا عنه (فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدنَى وَيَقُولُونَ سَيُغفَرُ لَنَا وَإِن يَأتِهِم عَرَضٌ مِثلُهُ يَأخُذُوهُ أَلَم يُؤخَذ عَلَيهِم مِيثَاقُ الكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعقِلُونَ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ المُصلِحِينَ) يكفي القرآن عن المذكرات والكتب، كلها تدعونا إلى القرب من الله، وأكرمنا الله بالحج والمناسك والمشاعر العظام والأشهر الحرم وسائر أركان الإسلام.

والعيد إلا لمن كثُرت طاعاته، ليس العيد لمن لَبِس الجديد بل العيد لمن طاعاته تزيد، ولمن كَثُرت منه المجاهدات والأعمال الصَالحات، والقُرَب من رب البريّات بما يُرضيه، ولا يرضَى علينا إلا الآمن طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه. اعملوا مثل أعمالهم واقتدوا بهم، وحِبُّوهم واقربوا منهم، شوهم معهم سرجدهم صلى اللهَ عليه وسلم ومعهم الخبايا والأسرار، قال الحبيب عبدالله الحداد:

وآل رسول الله بيتٌ مطهَّرٌ   محبتهم مفروضةٌ كالمودَةِ
هم الحاملون السرَّ بعد نبيهم   ووراثه أكرم بها من وراثةِ

وقال في الأخرى متحدثًا بالنعمة:

مواريثهم فينا وفينا علومهم   وأسرارهم فليسأل المترامي

ولكنهم بعد ما اتبعوهم وعملوا مثل أعمالهم وساروا بسَيْرهم دحقة بدحقة نالوا ما نالوا وبلغوا ما راموا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الناس تَبَع لقريش مؤمنهم لمؤمنهم وكافرهم لكافرهم» ولكن عليهم لا يسيبون الخطام (يانِسَاء النبيِّ لسْتُنَّ كأَحدٍ منَ ٱلنِّسَاء) إلى أن قال: (إنمَّا يُريد اللّهَ ليُذهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهْلَ البيْتِ ويُطهِّركم تَطهيرًا) إذا اتبعتُوا نبيّكم صلى الله عليه وسلم وأعنتُوه يا بختكم أما نحن بلغنا (ولْتكُن منكُم أمّة يَدْعُونَ إلى الخيْرِ ويَأمُرُونَ بالمعْرُوفِ وينْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وأولَئِكَ هُم المفْلِحُونَ) (ومَا يَفْعَلُوا مِن خَيرٍ فلَن يُكفَرُوه) وبا يقع مثلها شوه، وما تفعلوا من شرْ

باتجدونه قدّامكم، علينا البلاغ بلّغنا (قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...) إلى آخر الآيات.

واعلموا أن للمسلم على المسلم حقوق: لا يظلمه ولا يخدعه ولا يغشه ولا يغبنه، واعلموا المنقلب وفكّروا فيه، قادمين على قبر وضغطته، ومنكر ونكير واسئلته وفرقته، إثنان مَهيبان فظّان غليظان، وبا تردُون المورد يوم القيامة عرايا جِيَاع ظمئا، كلكم عارٍ إلّا من كسى مسلماً ثوباً لله تعالى، كلكم ظمئا إلّا مَن سقى مسلماً شَربة لله تعالى، كلكم جائع إلّا من أطعم مسلماً لله تعالى، والحشر والنشر والصراط والميزان والحساب، وبعد هذا الخلود في الجنان والشُّرب من حوض سيد ولد عدنان، أو الخلود في النيران مع فرعون وهامان.

والنار لها أهل يعملون أعمال توجب لهم الدّخُول فيها، والجنة لها أهل يعملون أعمال توجب لهم الدخول فيها، وهي متابعته صلى الله عليه وسلم، ما من خير عاجل ولا آجل إلّا وسببه متابعته صلى الله عليه وسلم، وما من شر عاجل ولا آجل إلّا وسببه البُعد عنه صلى الله عليه وسلم أو تخلُّف عنه، اسمعوا كتاب الله يدعونا إلى متابعته ويُحذّرنا من مخالفته، توبوا إلى الله مازالها مقبولة، قبل أن تقول: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) بايخاطبك ربّك: (بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) كذّبت ربك التكذيب بالقلب، وهو الإعراض عنه والغفله عن

ذِكره، بَيْنَنَا وَبِين القرآن بُعد كبير وبون كثير (وَقَالُوا قلُوبنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْه) (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) والآية الأخرى: (قال رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ)

اعتبروا بالأمم السالفة أُمَّة قفا أمة، وعندكم الواعظ الكبير الموت كل يوم تُشَيّعون جنازة، والدنيا هكذا ممر ميِّت إثر ميِّت، أولها المهد وآخرها اللَّحد (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ) كلها تعب ونكد لا راحة فيها المؤمن، اعملوا لليوم الآخر (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) شو ربكم مُطَّلع عليكم وعلى أعمالكم (يعلم السرّ وأخفى) (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) والموت يأخذ الكبير والصغير والحرُ والعبد والذكر والأنثى (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا) ماهولنا لا لباس ولا أثاث (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) ويُعيد الله خلقاً جديداً، الموت ماخلّى شيطان ولا سلطان ولا عاصي ولا مطيع (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) نسمع الآية ولا نعتبر بها ولا نذّكر عادهم إلّا بايلقون ربّه في التربة بصوتهم الظاهر كأنها سماع، شابت الشعور والمفارق والأجسام، إن عاد شي انتباه أو ردّه شو هذا وقتها، هذا آخر الزمان (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) وإنّا لنرجو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الدُّنيا والآخرة، ونرى وجهه الصبيح يقظة ومناماً، وإن كنا قاصرين عن أهلنا وسلفنا، الله يعطينا ذلك بمحض فضله

وكرمه.

وإلا ما حالنا هذه إلا التفرّج، وين علمنا من علمهم؟ وين خُلُقنا من خلقهم؟ وين يقيننا القوي الذي هو الأساس من جميع الأشياء؟ قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:

عليكَ بتصحيح الأساس الذي هو الـ ... يقين وروح الدِّين من غير مرية

لا معنا يقين قوي ولا ثقة بوعد الله، ولا اتّكال على ضمان الله ولا خوف من وعيده، الله يحفظ، حالة تفرّج جمْ، قال الحبيب عبدالله الحداد:

مقاماتها تسْعٌ عليك بحفظها ... وإحكامها وابدأ بتصحيح توبةِ

بدأ أولاً بالتوبة وهي الندم على ما ارتكبته من المحرمات، وأسبابها ثلاث: الإقلاع في الحال، والعزم على أن لا تعود، والندم على فعلك، قال صاحب الزبد:

واعرض التوبة وهي الندمُ ... على ارتكاب ما عليه يحرمُ

تحقيقها إقلاعه في الحالِ ... وعزم ترك العَوْد في استقبالِ

ثم قال الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه:

وخوفٌ ونِعْمَ الخوف للعبد سابق ... ونِعْمَ الرَّجا من قائدٍ للسَّعادةِ

الخوف عدم الأمن من مكر الله، قال الله تعالى: (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) هذه الآية صيّرت عيون العلماء في خُورهم والخشية والوجل والإشفاق، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) إلى أن قال: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)

أي أنهم يؤتون الطّاعات وهم على وجلٍ عظيم من قبولها، والآية الأخرى: (يَخافُونَ رَبَّهُم مِن فَوقِهِم وَيَفعَلُونَ ما يُؤمَرُون) و«نعم الرّجاء قائدٌ للسّعادة»، يرجو وعد الله ويخاف وعيده، يتحقّق أن أعماله هبا، إلّا ظنّه بربه جميل أنه يغفر له ذنوبه ويدخله في زُمرة أحبابه، قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه: لو وزنّا خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وقال الله في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي فليظنّ بي ماشاء»

حسّن ظنونك بالمولى ترى البُشرى فالربّ عند ظنون العبد فلْتدرى[1]

ثم قال:

وصبرٌ جميلٌ عند كلّ بليّةٍ وأمرٌ ونهيٌ أو ركونٌ لشهوةٍ

قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتهُم مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيهِ راجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُون) قال سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: نِعْمَ العدلان ونِعْمَ العلاوة، الصلوات عدل والرّحمة عدل والهداية هي العَلاوة، والصبر الجميل عند البلايا والشدائد والنوازل محمود العواقب، قال الله تعالى: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزمِ الأُمُور) والصبر سُلَّم إلى كُلّ خَير، وينال صاحبه كل خير، وقوله: «وأمرٌ ونهيٌ أو ركونٌ لشهوة» الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليُغيّره بيده» وهذه رُتبة الملوك «فإن لم يستطع فبلسانه» وهذه رُتبة العلماء «فإن لم يستطع

فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وتعليم الجاهل وإعانة الضّعيف وإغاثة الملهوف من الأمر بالمعروف، ثم قال:

وشكرٌ على النّعما برؤية مُنْعِـمٍ وصرف الذي أهداه في سُبل طاعة

قال العلماء: الشكر ثلاثة أقسام: شكر باللّسان وشكر بالجنَان وشكر بالأركان وقوله: « برؤية منعـم » أي بأن لا ترى مُنعِمًا عليك غيره، وأن الخلق كلهم وسائط مُسَخَّرون ومقهورون تحت إرادته وقَهْرِه ومشيئته، وعلامة الشكر أن تصرف ما أنعم الله به عليك فيما يُحبه منك ويرضاه، وأما إذا صرفته في غير رضاه كنت عاصيًا، وليس من الشكر الشكر باللسان مع عدم مساعدة صرف المال في غير رضـاه، ثم قال رضي الله عنه:

وصَحِّحْ مقام الزهد فهو العِماد والـ ـتوكل وهو الزّاد في حِينِ رحلَةِ

مقام الزهد هو المقـام العـالي:

يا باشعيب لا تغبط إلاّ الزاهدين فيها يا باشعيب لا تغبط إلاّ من شَنِيها

قال الإمام الشّافعي رضي الله عنه: لو أوصى واحد بمائة ريال لأعقل الناس يُعطاها الزاهد، لأن هذا العاقل عَرَف أن الدنيا ممر، فتهيأ للسفر وجاهد وشمَّر، قال الحبيب عبدالله الحداد: « وما هي إلاّ كالطّريق إلى الوطن » والزهد هو الإعراض عنها والإقتصار على حَد البُلْغة، قال النّبي صلى الله عليه وسلم « ازهد في الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما أيدي الناس يُحبك الناس ».

وقال عليه الصلاة والسلام: « الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة

فيها تُكثِر الهم والحَزَن» وقوله: «والتوكل وهو الزاد في حين رِحلَة» ونِعْمَ الزاد، قال صلى الله عليه وسلم: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو اخماصًا وتروح بِطَانًا» ثم قال بعده رضي الله عنه:

وحبّ إلهِ العالمين مع الرضا بكلّ الذي يقضيه في كلّ حالة

وقال في الأخرى:

يا اللهَ بذرة من محبّة اللهَ أفنى بها عن كلّ ما سوى الله

محبة مع الرضا بحلو القضاء ومُرِّه.

اجتمع عارفان بالله في فلاة فقال أحدهما للآخر: أرني صدقك مع اللهَ، فقال له: اللهَ ومات، فقال: لقّيت لنفسي نِشْبَه قتلت صاحبي بغا تغسيل وكَفَن وبحث قبر وصلاة، ثم سار إلى البلد الّتي بِقُربه، فأخذ جميع ما يحتاجه الميت ورجع إلى المكان فلم يجد صاحبه، فعجب غاية، وإذا بهاتف يقول له: إن هذا عبد آلا اللهَ أن لا تغسله ولا تصلي عليه إلا ملائكته، ثم قال للهاتف: بم بَلَغَ هذه المنزلة، قال له: إنه مر عليه جائع وطلب منه ما يَسُد جَوعته فأعطاه كِسرة في يده، فقال له: حرَرَك اللهَ من رِقّ المعصية كما حرَّرتني من رِق الجوع، فقبل اللهَ دعوة ذلك الجائع.

وقالت رابعة: ما عبدناك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك، ولكن حُبًّا لك. وعبادة الخلق كلهم لربهم على ثلاثة أقسام: منهم من يعبده محبة له وتقربًا إليه وهذا أفضلهم، ومنهم من يعبده طمعًا في جنته، ومنهم من

يعبده رهبة من ناره، وهذي القسمين زيان ولكنهم ناقصات، وأهل القسم الأول أكمل رسوخ وهو أرقى من القسمين الآخرين.

ثم قال الإمام الحدّاد رضي الله عنه:

وجاهد تُشاهد واغنم الوعد بالهدى   هدىً نصه في العنكبوت بآية

والآية هي قول الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) جهاد النفس بترك المكروهات، بترك المحرمات، بالتقرب إلى الله بالطاعات، بترك الخيانة والغش والخديعة لأحدٍ من المسلمين بالبيع فيما يحبه الله، بالمبادرة إلى أعمال البر، بالتجافي عن دار الغرور، وبالإنابة إلى دار الخلود، بالاستعداد للموت قبل نزوله، بالتقرب إلى الله بالنوافل بأداء الفرائض، بالمشي في محاب الله، وفي الآية الاخرى: (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَالَمِينَ).

وسألته رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ العبد صُهَيب لو لم يَخَفِ الله لم يَعْصِه» فقال: إن معناه أن صهيب رحمه الله يحب الله محبة شديدة، بحيث أنه ما با يعصي مولاه إن خافه وإن لا خافه، وإن فزّعه بنار أو فرّحه بجنه، ما تخطر المعصية على قلبه من شدة محبته له، وليس معناه ما يتبادر إلى الفهم ويسبق.

وقالـــــ رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله ابن حسين بن طاهر رضي الله عنه التي مطلعها :

« ياطالب الإيصاء هداك الله خذمني كلام »

أين الطالبين الإيصاء لي يرغبون في العُلا؟ اين الذين يخطبون الخيرات؟ أين العاشقين إلى سِيَر أهلهم وسلفهم؟ أين لي يحبون الغالي؟ هذه بضائع غالية تُعرض عليكم كل يوم، باتندمون إن لا شليتوها، وسَيَبِين للمبطئين شؤم البِطَا، شـو البطالة ما جابت لأهلها شي، والسلف هجروا النـوم ولازموا الصوم، ولا لهم ساعة من السّاعات إلّا وهي مشغولة بما يقربهم إلى ربّ البريات.

أين الطالبين للإيصاء؟ والحبيب عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه قالـــــــ :

وصيّتي لك يا ذا الفضل والأدب   إن شئْتَ أن تَسكُن السّامي من الرتبِ

وفي القصيدة الأخـرى :

عليْك بتقوى الله في السّر والعلَن   وقلبك نظفه من الرّجْس والدّرن

(لعَمرك إنَّهُم لفي سَكرتِهِم يَعمَهُون) ما أظن أنّ حد راغب في الوصايا والكتب إلَّا إن كان حد صغير قال : أنا بغيت كتاب الفلاني ، ذلّا شرْغه ، هذا ما أظن والله أعلم، قال تعالى : (وَقَالُوا قلوبُنا في أَكِنّةٍ مِمّا تدعُونا إليهِ وَفي آذانِنا وَقر قُل فَلِلّهِ ٱلحُجّةُ ٱلبالِغَة) .

القرآن أنذر نحن والحديث أنذر نحن، وتقلُّب الأحوال أنذر نحن، ولا اعتبار ولا ادّكار ولا كأن شي كان، قُبيل نقرأ في العهود المحمدية: «أُخِذ علينا العَهْد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نُذنب، إلا إن وقع بدون اختيار فنُبادر بالتوبة، ولا إصرار بل نرجع عنه حالاً». قال تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إن ينتَهوا يُغفَر لهُم ما قد سَلَف) وأمّا توبة الكذّابين والعياذ بالله يتوب وهو عازم على الذّنب، قالوا المحققين: استهزاء بالله جلّ وعَلا.

وهذه الوصية للحبيب محمّد بن حسين الحبشي من الحبيب عبد الله ابن حسين بن طاهر كل بيت منها با يُنجي طالبه وبا يرفعه وبا يُخلّصه مما هو فيه ولكن (لِلَّهِ الأمرُ من قَبلُ ومِن بَعد) كم تقصير في الصّلاة، كم تقصير بالواجبات، كم تقصير بالسُّنن، كم تقصير بالعبادات، قال الحبيب علي بن محمّد الحبشي رضي الله عنه: وجدت مشقة النفس في فعل السنن والعبادات والأوراد.

أجمع آية سمعناها من الخطيب: وَأْتَمِروا بقول الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَٱلبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أين الائتمار؟ إن امتثلنا أمره يا بختنا بأمره، يأمر بإيه؟ يأمر بالعدل والإحسان وصِلة الأرحام، وبعدها ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وفوقها صميل (يَعِظُكُم لعَلّكُم تذكّرون) ونحن ما نذّكر ولا نعتبر.

الآن فضّلوا هذه السّاعة عشية للروحة، ولا شي أفضل من قراءة القرآن

في هذا الوقت، القرآن أفضل إلاّ أنا هجرناه (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) إلاّ إن كانت فيها فائدة بانتذكر، وإلاّ شوها حسرة كبيرة وأيّ حسرة (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عسى لنا ردّه وانتباه وقلوب واعية:

فيا نفحات الله يا عطفاته ... ويا جذبات الحق جودي بزورة
ويا نظرات الله يا لحظاته ... ويا نسمات اللطف أُمّي بهبّة

الناس في غفلة كبيرة، وفيما أظن أنّ المواعظ ما تنفع ولا با تنفع، وأظن أن كثرة المذاكرات تزيد نحن قسوة، الله يحفظ، قامت الحجّة والأمر جِدْ، والسّير إلى وراء (أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) وكلكم سواء، ولا واحد له ذُوق أو بصيرة نافذة، لا نفع مدرسنا ولا روحتنا، كل ما جات قصيدة من وصايا الحداد مرّت على أسماعنا ولا أحدْ قال أنا با عمل على وِفْقها، عاده إلاّ أقام الحُجّة علينا وعلى نفسه، وأين هُو مِن كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء، ولعاد رجوع ولا انتباه.

أقمنا الصّلاة جسد بلا روح، وبقية أركان الإسلام مقصّرين فيها مثل الحج قال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) قالوا الفقهاء رضي الله عنهم: من ملك زائد على مسكنه يبيعه ويحج بثمنه من عقار أو غيره، وبعده صلة الرحم تقرأون: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) والآية الأخرى: (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ) كم من واحد منا مُقصّر في بِر

والديه وفي صِلة رحمه، والله يقول: (وفي أموالهم حقٌّ معلوم) إذا كان هذا في الأجنبي فكيف بالوالدين أو الرحم، والآية الأخرى: (وانفقوا مما جعلكم مُستخلفين فيه) لكن ما شي استماع قال الله: (أم على قلوبٍ أقفالها) ما أنزل القرآن إلا ليُعمل به.

قال الحبيب عبدالله الحداد بعد أن أورد قوله صلى الله عليه وسلم: «ذاق طعم الإيمان مَنْ رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًا» واعلموا أن من رَضي ذاق ومن لم يرض لم يذُق. وأما نحن نقول: «رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًا» كذب، شغلنا حب الدنيا، يجي وقت الصلاة وهو مشغول بدنياه أو نساه أو غير ذلك.

كفى بالخطبة واعظ وبالقرآن واعظ وبالموت واعظ، ولكن (غلبت علينا شقوتنا) نخرج المدرس ونسمع المذاكرات وأعمال الأكابر ما تميل أنفسنا إليه أبدًا ولا يتحرك مناعِرق، ولا نرجع منه حتى بمسألة واحدة، أينكم من أعمالهم وأخلاقهم؟ كان واحد أعمى يخرج المدرس كل يوم ويرجع بمسألة واحدة يقبض عليها ويعمل بها ثم ذات يوم من الأيام خرج إلى المدرس ثم أرهقه البول في الطريق فجلس ليبول، وكانت معه بنت تقوده، فقالت لأبيها: إني سمعتهم في المدرس يقولون إذا كان الإنسان بايبول في أرض صلبة يدُق الأرض بحصاة حتى تلين لأجل ما يُصيبه الرشاش، فقال لها: سمعتيهم يقولون هكذا. قالت: نعم سمعتهم قال لها: رُدينا إلى الدار يكفي هذه مسألة.

انظروا إلى هذا، في السَّنة بايجيب له ثلاثمائة وستين مسألة، ولكنه يلقي باله إلى المسَائل، ويعمل بما يسمعه، شوهذا كلام ما يوزن بالذهب، ونصائح غالية نُهديها لكم، قال الحبيب علي الحبشي رضي اللّٰه عنه :

« من نَصَحني فإني منه للنُصْح قَابل »

أين من يَقْبَل النصائح؟ أين من يُلقي أسماعه؟ أين من يُحافظ عليها؟ مضت أعمارنا الستين والسبعين ونحن في حالتنا هذه ما نتحرك منها، شِبْنا وشَيَّبنا ونحن في الحالة هذه.

قرأنا المواعظ ولا ادَّكرنا، سمعنا الخطيب ولا اعتبرنا، وقرأنا سِيَر أهلنا ولا تحركنا، هُمْ عملوا أعمال زينة، وقَدِموا على ربهم بأعمالهم الحسنة، ونحن علمنا أعمال خبيثة، وبا نلحق بهم إلى الدّار الآخرة، هم السابقون ونحن اللاَّحقون، هم كسبوا الزهد في الدنيا، ونحن كسبنا الدنيا وضيَّعنا عمرنا فيها وفي جمعها ومحبتها : (إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) إن كسبتوا حسنات يا بختكم وإن كسبتوا سيئات يا خسارتكم، ولا سبب هذا إلاَّ ثلاث خصال : طُعمة الحرام او الجهل او التساهل بالدين، أما طعمة الحرام معاد تورَّعْنا منها ولا سألنا عمَّن جاب لنا شيئ، كله عندنا سواء، وأما الجهل خَبَطْنا فيه خَبْط عشواء، والاعتبار ما شي، كأن نحن بهائم (أولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَل)، وأما التَّساهل بالدِّين لعاد صلاة سواء ولا نفل ولا قراءة القرآن عادهم إلاَّ يتحيلون للزكاة بحِيَل فاسدة نسأل اللّٰه السَّلامة.

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة الحبيب عبدالله الحدّاد رضي الله عنه التي مطلعها:

يارحمة الله زُوري   وأنعِمي بحضوري

الخلق مفتقرون إلى الرحمة الظاهرة والباطنة، والرّحمة الباطنة أكثر فأما الرحمة الظاهرة فقد ضمن المولى بالرزق بها، وأما الرّحمة الباطنة فسببها جور الولاة وعدول الخلق، قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) والآية الأخرى (وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) الباب مفتوح، الأصل إنك تُقبِل، والله سبحانه ادَّخر عنده تسعة وتسعين رحمة وأنزل لنا رحمة واحدة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والبهائم على أولادها، ولكن مامَنَع غيث السماء إلاّ الذنوب وهكذا تشتكي منه البهائم وغيرها، ظلمتوها بسبب ذنوبكم، الله يرد الجميع مَرَد جميل.

مُقبِل علينا رمضان شهر الصِيام والقيام، ابتهلوا إلى الله فيه وارجعوا، شو ربكم غفور (حمٓ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ) لمن تاب (شَدِيدِ الْعِقَابِ) لمن لم يتُب وبقي مُصِرًا (ذِي الطَّوْلِ) ذي القوة (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) إليه مرجعنا ومآبنا، شو ما سبيل ولا طريق إلى ربكم إلاّ بعدم الظلم وعدم الإصرار

ورد المظالم لأربابها، وبالتوبة النصوح الخالصة لله، التي ما يشوبها كدر ولا غيره من رياء أو سمعة، وربنا با يقبلنا إذا تبنا من صدق، وخزائنه ملآنة، ومائدته تقبل الطفيلي، قال الحبيب أبو بكر العدني:

خزائنك بالجود لا تنتهي   لكثرة عطاياك للراغبين

(فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)

شو الذنوب حجبت نحن عن خير كثير، وفوتت علينا شي كبير، سبب غلاء الأسعار وضنك المعيشة الذنوب، قال الله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) نعم نتعلل بظلم القبائل وجور الولاة، وفي أنفسنا ما نتفكر، ونحن نذنب ذنوب كبيرة ومُلقي الإنسان أن سبب غلاء الأسعار جور الولاة، ولعل سبب هذا كله الذنوب، بسببها عدموا الناس خير كثير.

كلّين يرجع على نفسه ويعاتبها ويوبخها، ويعتبر بما في القرآن من الصبر وما في السنة المطهرة، والموت أكبر عبرة لمن با يعتبر (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) فينا عيون جهارير، ما شي أبصار قلبية، ارجعوا إلى الله (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) هذه الآية مقيدة بما بعدها.

طالما ذكّر المذكرون ووعظ الواعظون، وليس بعد القرآن ولا الحديث تذكير، ولكن (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد

قَسْوَة) قلوب قاسية، يمر الشهر بعد الشهر والعام بعد العام ونحن في نومتنا، لا شي اعتبار ولا ادّكار كالبهائم.

ثم قال رضي الله عنه: إنَّ الحبيب عبدالله الحدّاد رضي الله عنه انشأ القصيدة التي مطلعها:

يا رحمة الله زُوري وأنْعِمي بحُضوري

للرحمة الظاهرة، والقصيدة التي مطلعها:

«يا رسول الله يا أهل الوفاء»

للرّحمة الباطنة، قال بعض العارفين: ما أخْرُج من المجلس إلا واستفدت منه أشياء جمْ، ونحن مجلس قفا مجلس ونحن في غفلة (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

قرأ الخطيب في الخُطبة (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا والآية الأخرى: (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) ماشي تصديق بذلك، غير نمُرّ عليها كما نمر على الطريق، ولو كان شي تصديق كان نحن نعمل بالكتاب أعمال زينة نحصّلها فيه.

وهذا مُقبل علينا شهر رمضان، إن هو إلّا بأيمُر علينا كما مَرّت علينا أشهر رجب وشعبان يا خسارتنا ويا بخسنا، شوذا شهر عظيم مُقبل علينا، يبسط المولى موائد لعبيده المُقبلين عليه، ونحن نفرح إلّا بمرور الأيام علينا، ويا ريتنا قدّمنا عمل حتى نفرح بمرور الأيام إلّا إن كانت سيئاتنا بانتقُص، قال الشاعر:

يَسُرُّ المرءَ ماذهَبَ اللّيالي　　وكانَ ذهابهنَّ لَه ذهَابا

تجَد الإنسان يعمل المعصية ولا يُفكّر لحسابها وعاقبة أمرها، ولا يدري بقوله: (أن تَقُول نَفسٌ يَاحسرَتا عَلىٰ مَا فَرّطتُ في جَنْبِ اللّه) عاد بعدها (وقُلِ اعْملوا فسَيرَى اللّهُ عَملكُم ورَسُولهُ والمؤمنُون) ومثلها كثير من الآيات وكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم (ذَلِكَ يومُ التَّغابن) (مَن عَمِل صَالحًا فلِنَفسِه).

لآه ماندّبر القرآن لنعمل به، أُنزل القرآن لنعمل به (وَاتّخذتُمُوهُ وَرَاءكُم ظِهريًا) يمُر علينا ولا ندري به، نقرأ الآية والسورة والختمة ولا نستفيد منها أدنى شيء، قال الحبيب علي رضي الله عنه: ولو جاءتك ورقة من أخيك أو محبّك أو وكيلك من جاوة حفظتها كلها حالاً من غير ترديد. قُبل يقرأ في الخطبة (يا أيّها الّذين آمنُوا لا تُلهكم أمْوالكُم ولا أولادكُم عَن ذِكرِ اللّه ومَن يفعَل ذلِكَ فأولَئكَ هُم الخَاسِرُون) تدبروا القرآن وخافوا وعيده (إنّ في ذَلِكَ لعِبرةً لمن يخشَى).

ما مَرّت عليكم في القرآن (إنّ اللّهَ يُحِبُّ التّوابِين) ولا سمعتوا (ويُحِبُّ

المَتطهّرِين) غير ماهو يوم تغمس في الجابية ربك بايحبك، وهل هذه الطهارة تظنونها..لا، إنما هم المتطهرون من الأرجاس الباطنة والظاهرة والخبائث والكدورات والشوائب، مثل العجب والريا والحسد ومتابعة النفس، والعدول عن السَنَن القويم طريق سيدنا محمَّد صلى اللَّه عليه وسلم، والغيبة والنميمة ومجالسة الضِد، والإعراض عن الله الذي هو أعظم ذنب بعد الإشراك بالله، والإقبال على الدُّنيا، مشغولين بها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أصبح وهمّه الدُّنيا شتَّت اللَه شمله وفرّق عليه ضيعته ولم يأته من الدُّنيا إلّا ما كُتِبَ له، ومن أصبح وهمّه الآخرة جمع اللَه له أمره وأتته الدنيا وهي راغمة... الحديث .

عسى نحن نَسْمع ونَعْقل ونَعْتَبر ونَتَّعِظ وندّكر، ونُتاجر المولى بالأعمال الصالحة، ومنين بانجي الرّحمة ونحن مُصرّين على الذنوب ومُقبلين على الدنيا ومُعرضين عن الآخرة، وقد منعنا صِلتنا ومعروفنا وصَدقتنا، قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «الرّاحمون يرحمهُم الرّحمٰن، إرْحَموا مَن في الأرض يرحمْكم مَن في السَّماء» قروا العلماء بالله هذا الحديث حديث الأولية وحديث الرّحمة، إرحموا أنفسكم وأولادكم وأهليكم وجيرانكم، حتى أهل البرزخ بايصلهم نصيبهم من هذه الرّحمة، وآه با تقع رحمتك؟ با تقع بمصرا أو أقل أو كماهامن الدّراهم، وباتحصّل رحمة من ربك كبيرة ما تقوّم بملء الدنيا، ولكنهم أضاعوا الصَّلاة وأضاعوا الواجبات. الصَّلاة صورة بلا روح (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ

إلّا على الخاشعين) إن حد عنده شي من الخشوع والخضوع والرهبة والخوف والوجل من الله والرغبة فيما عند الله وإلّا يبكي على نفسه.

قال الإمام الغزالي: رحمة الله لا يقدّر قدرها، وإنّ الله خصّ بها من عمل بما في هذه الآية (إنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) قال العلماء رحمهم الله: معنى (يُؤْتُونَ مَا آتَوا) من الخيرات (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) مُشفِقة خشية أن لا تُقبل (وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) أي يؤتون أجرهم مرتين بصبرهم وبدفعهم السيئة بالحسنة، وبإنفاقهم مما رزقناهم، وبإعراضهم عن سماع اللغو، حد يشرع هذه الحالة أو لا؟ حد يميل قلبه إلى هذه المرتبة أو لا؟ هذا كتاب الله بين ظهرانينا ينطق بالحق ويشهد لنا وعلينا.

الدنيا تابعة للآخرة وخدّامة لها، أوحى الله إلى الدنيا: «يا دُنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه» وهذا مُجرّب ظاهر في الفريقين، قال الحبيب عبدالله الحداد:

واجعل إلهي هذا عوناً على كل خيرِ

بغا دُنيا مُقَرِّبة إلى اللَّهَ وخادمة للدِّين وتابعة له، ماهي دُنيانا، نلقَى الشُّح في جباههم آثاره، وهو سبب الرّان، قال النبي صلى اللَّهَ عليه وسلم: «إذا أذنب العبد نُكِتَ في قلبه نُكتة سوداء، ثم إذا أذنب نُكِتَ في قلبه نكتة سوداء، حتى يَسْوَد القلب كله، فذلك الرّان» وإذا اسود القلب كله صَعُبَ بياضه وبَعُدَت تنقيته من السواد، لآه ما انته كما الرّجال الذين مايخلُّون الرّان يطلع على قلوبهم، ولا تخطر هذه الأشياء على بواطنهم، لكنه وصَفَهم اللَّهَ في القرآن بقوله: (يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَه).

قُبيل يقرأون في المدْرَس في محبة اللَّهَ، اللَّهَ يجعل لنا النصيب الأوفر من محبته:

يا اللَّهَ بذرة من محبّة اللَّهَ أفنى بها عن كل ما سوى اللَّه

ويجعل قدوم رمضان علينا قدوم خيرات ومسرات وأعمال خالصة من كل الشوائب.

وأحسنوا إلى الأيتام، خصوصًا في الأشهر الحُرُم، رُبما تجي دعوة من يتيم تفتح لك الباب، هذا إن بغيت الغالي وهو الآخرة بالرّخيص وهو الدنيا وآثرت الآخرة على الدنيا وإن عكست الأمر يا خسارتك، اللَّهَ يرفعنا ويقربنا فيمن قربه ويُدنينا فيمن أدناه.

تعرضوا للأرباح ومتاجرة الآخرة في رمضان وبقية شعبان، اللَّهَ اللَّهَ في الصّدقة فإنها ترد البلا المُنْزَل، وتدفع القضاء، شوهم مساكين وأرامل

وشرائف مخدّرات جالسات في الدّيار (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا) وعاد لهم الصولة والسلطنة يوم القيامة، وفي الدنيا « رُبَّ أشعث أغبر ذي طِمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه » جالسين بين ظهرانيكم في الديار أو يطلبون من التجار إذا أرهقتهم الحاجة. قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: « يقول الله عز وجل: عبدي استطعمتك فلم تطعمني فيقول له: كيف أُطعمك وأنت أرحم الراحمين؟ فيقول له: استطعمك عبدي فلان فلم تُطعمه، ولو أطعمته لوجدتني عنده ... إلى آخر الحديث ».

(مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ) هذه صورة الإيمان، وأما باطنه أن تحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك

وقال صلى الله عليه وسلم: « والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه» وفي هذا الوقت كثُرت أذيّة الجيران، با يموت الإنسان وبا يحاسب على صلاته وجاره ومعاملته (إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم).

وقال رضي الله عنه بعد الإنشاد بقصيدة الشيخ عمر بامخرمة رضي الله عنه التي مطلعها:

إليكَ إليكَ القصد يا الله يا أحد   إليكَ إليكَ الوفد يا الله يا صمدْ

قال: هذه القصيدة للشيخ عمر بامخرمة، قال العلماء بالله: إن فيها الاسم الأعظم، وهي على أربعة اقسام: أوّلها التجاء وافتقار، وأوسطها مدح وشكر

للغني القهار، وبعدها تضرع وافتقار، وآخرها مقام الصوفية الأبرار، قال فيها « أماهذه نجدٌ أبق فيها ولا تَعَدْ ».

والقصيدة بعيدة الأطراف، والكلام عليها يستدعي مجلدات عظام أولها: « إليك إليك القصد يا اللهَ يا أحد لا إلى أحد غيرك « إليك إليك الوفد يا اللهَ يا صمد ».

إليك فأنت العِز والكنز والغِنَى وملتجا اللاجين والذُّخر والسَّنَدْ

وبعدها:

فياحَيُّ ياقيُّومُ يامَن توَجَّهَت إليهِ وجُوه الآملِين ولم تُرَدْ

أي لم ترجع خَلِيَّة:

أغِثْني أجِرْني من عذابكَ سَيدي وَمِن طَلَبي غوث الخلائق والمدَدْ

أي أغثني من طلبي غوث الخلائق والمدد، وأجرني ياسيدي من عذابك

مـدَدتُ إليكَ الكفَّ ألتمس الغِنَى ولم أبْغِ نحو النّاس يا ذا الجلال اليَدْ

أي مددت إليك كفي التمس غناك لي من فقري، وليس لي حاجة بالناس مامددت كَفِّي إلاَّ إليك.

والغِنى ماهو غِنى في التوسعة في الرزق، ولا غنى الدنيا الي نطلبه نحن. وإنما هو الغنى الذي يطلبونه القوم من ربهم، اللهمّ أغنني بحلالك عن حرامك، وأما نحن مقتصرين في طلبنا الغنى على التوسعه في الرزق وكثرة الدنيا، هِمَمْنا قاصرة على الدرهم والدينار والمُصرا والبهار.

ثم قال الشيخ عمر بامخرمة رضي الله عنه:

فجُدْ يا كريم الوجه لي واقض حاجتي وهَبْ لي يا مغني المُقِلِّين بسط يَدْ
إلى مَن تكِلْني يا ملاذي وموئلي إلى نفسي اهلك أو تكلني إلى أحَدْ
من الخَلق يا ربّ أضيع ولا ولا ولكن إليكَ الملتجا والرّجا وقَدْ
قصدت بحاجاتي إليك وليس لي سواكَ وهل ربٌّ سواكَ لها يُعَدْ

وبعد توسّل بأسمائه العِظام فقال:

بحرمة باسم الله لا تحرمنّي عطايا لك يا رحمن حُلَّ لي العُقَدْ
وزدني مزيداً يا رحيم يكون لي من الدّين والدنيا مزيداً بغير حَدْ
فمن تُغْنِه فهو الغنيُّ ومن تكن وجوداً له يا موجداً لكُلّ قد وجَدْ
ومن كان في أحواله بكَ حاضراً لديك فما ذا فاته ما الذي فقَدْ

أي أيُّ شيءٍ فاته؟ وأيُّ شيءٍ فقده ثم رجع يتبجّح تحدُّثاً بالنعمة فقال:

أنا عبدك المنسوب بين أقاربي إليك وهل عبدٌ يُهان إذا عَبَدْ

لا ما يُهان، إنما هو يُكرم وينال فوق مراده ويحظى بآماله، والمعنى: أني عبدك المنسوب إليك بين أقاربي، وهو أحسن وصف للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده خلفائه قال تعالى: (سُبحَانَ ٱلذِي أسرَى بِعبدِه ليلاً مِنَ المسجدِ الحَرامِ) والآية الأخرى: (وَأنّه لمّا قامَ عبدُ ٱلله يدعُوهُ) يتحدث الشيخ بالنعمة خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم، نسب نفسه إلى عبادة مولاه، فاستغنى به عن الخلق:

وهل يحمل المولى تغافله إذا ... بَدَتْ حاجة المملوك أو ذاك يُعتَقَدْ
فدبّر أموريَ الكُل تدبير مشفقٍ ... رحيمٍ يُراعي عبده إن قام أو قعدْ

كما هي صفاتك الشفقة والرّحمة واللّطف والرّأفة والحنانة بعبدك الضعيف

وحِطْني ولاحظني وألقِ محبـةً ... عليَّ بودٍّ منك تبقى إلى الأبد

أي حِطني بالسَّعادة والحفظ واللّطف، ولاحظني بعينك التي لا تنام وألقِ عليَّ محبة منك لي بودٍ يبقى إلى الأبـد.

والمحبّة مقام كبير، ويعيش صاحبها عيش هَنِي في الدُّنيا والآخرة (فَسَوْفَ يأتي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ) أوّلاً هو (وَيُحِبُّونَهُ) تابعاً، أو الآية الأخرى: (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ) أوّلاً هو (وَرَضُوا عَنْهُ) تابعاً.

يا ٱللَّهُ بذرّة من محبّة ٱللَّه ... أفنى بها عن كُل ما سِوى ٱللَّه

وقال الشيخ عمر بامخرمة رضي الله عنه في القصيدة الأخرى:

مطربه قال محبوب القلوب الوفا حَلْ ... والذي جيئنا به من قدا الدِّين قابَلْ
عندنا يا عُمر من راد يعمل فيعمل ... لا كثيره يفرِّحنا ولا نسخط إن قَلْ
وإن جفا أوْ زَلْ ما الزلّه تزيله إذا زَلْ ... ذِه صفتنا بها المحبوب منا يُعامَلْ
ما نخلّيه فيما فيه خِلّه إذا حَلْ ... غير نمهله لي شُفناه من نهجنا مَلْ

ثم قـال:

فإنك لي ما زلت بل لم تزل ولا ... تزال بلطف الصُّنع تُطلق ما انعقَدْ
وكم لك يا ذا الجود والمجد والعُلا ... لطائف لا تحصى لمُحصٍ ولا تُعَدْ

فيا دائم المعروف لا نقطعنَّه ... وتمِّمْ وعمِّمْ واصلح الرُّوح والجسَدْ
وأهلي وأولادي وأهل مودتي ... أنلهم غِنى الدارين عفواً بلا نكَدْ
وقُل هاكَ يا عبدي وهاك مضاعفاً ... هنيئاً مريئاً مُرغماً كلّ ذي حسَدْ
فبابُك مقصودي وجودك موردي ... وخيرك معهودي وجدواك لي عَمَدْ
ولكنما فقري وضُرّي أصارَني ... إلى بثّ شكواي إليك ولا أوَدْ

أي أن الذي الجأني إلى بثّ الشكوى إليك فقري وضُري وأنت أمرتني أن أرفع ما بي إليك، وإلا فأنت أعلم بي وبما أصابني، ولا حاجة للشكوى لولا أنك أمرتني بها:

إذا كان شكواي إلى من بأمره ... تقوّمت الأكوان وامتدت المددْ
وما ذاك إلا مالك المُلك ربنا ... وما لكافي يومنا الدُّنيوي وغدْ

ثم رجع إلى حال الصوفية والغنى بالله والاستغناء عن الناس فقال:

فيمِّم فِنَا أبوابه وانطرح وقُلْ ... أما هذه نجدا بقَ فيها ولا تَعَدْ

«يعني لا تتعداها»

أقِمْ في حِماها بين ماها ونبتها ... ففيها لأهل الجدّ أكبر كل جَدْ
وغِبْ عن سِواها وانجذب وانقطع بها ... إلى من بها تحظى بفذلكة العدَد

«أي بجمع العدد وجُملته»

وتملك مُلكاً لا يبيد وتنتهي ... إلى مقعد الصِّدق الّذي عزّ وابتعَدْ
على غير أهل الصِّدق فالصدق يا فتى ... أساسٌ لنيل القصد في كلّ مقتصَدْ

فكم قام لا بالصدق شخصٌ فما شفا غليلاً وكم نال الصّدوق وقد رقد

وكم قد رأينا من جبانٍ مُحَــقَّرٍ أشار بأيدى الصدق فاستأسر الأسد

جبان مُحقَّر قال للأسد بأدنى وجهة: تعال، فأتى إليه الأسد منذللاً مخطوماً ويش يقود الأسد؟ ويش يجيبه من مكانه؟ ويش يقابله؟ لكن الصدق يُذَلِّل صعب الأمور، ويوطي الرؤوس الصليبة، قال الشيخ عمر بامخرمة:

وذي نجدةٍ مشهورةٍ وشجاعةٍ لقلة حفظ الصدق من أرنبٍ شرد

أي ذي قوة وعزمة ونجدة وشَجَاعة مشهورة، شرد من أرنب لقلة حفظ الصدق، والصدق سُلَّم إلى كل خير، وينال به الإنسان كل خير، قال الله تعالى: (يا أيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقين) والآية الأخرى: (وَٱلَّذِي جَاء بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ به).

أورد الإمام القشيري وأبو طالب المكي في قوته والغزالي في الإحياء رضي الله عنهم حديث: «الصِّدق سِرٌ من أسراري أُودِعه قلب من أُحِبَّه أو أحببته من عبادي» والمحبة شأنها عظيم، إذا أحبّك مولاك خافك كل شيء، رجعت تتكلم به وتُبصر به وتسمع به وتبطش به، كما في الحديث القدسي.

يا الله بذرة من محبّة الله أفنى بها عن كل ما سوى الله

ويقول قائلهم: لو غاب عنّي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسي من المؤمنين، ويقول الآخر: إذا أحرمت بالصَّلاة فافعلوا

فيَّ ما شئتم.

فكُنْ قائلاً بالصِّدق واعمل به ودُمْ　　عليه وسائر من به جدَّ واجتهدْ
وسَل ربك التّوفيق ما عِشْتَ واستعن　　به فهو نِعْمَ المُستعان لمن قصدْ
فيا اللّه يا ربّاه يا منتهى الرّجاء　　أعذنا وأيِّدنا إلى مُنْتَهى الأبدْ
وسخِّر لنا الأسباب واشرح صدورنا　　بنورك والحقنا بمحبوبك الأوْدْ
محمّدٍ المحمود واختم بجاهه　　بخيرٍ فجاهُ المصطفى أكمل العُدَدْ

والعارفين باللّه رضي اللّه عنهم أُعطوا مقاماً عظيماً في الدنيا ومقاماً عظيماً في الآخرة.

وصلى اللّه على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم والحمدُ للّه ربّ العالمين

«انتهى مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرّحمن
السقّاف نفعنا اللّه به في
الدّارين آمين»

* نالَ شرف كتابة هذا الكتاب، الفقير إلى عفو مولاه القدّوس:
ناصر عبد اللّه عُمر بامشموس

القسم الثاني

المحتويات :-

١- الوصايا

٢- المكاتبات

أولاً : الوصايا

هذه الوصية من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى السيد الفاضل عبد القادر بن حسين بن سقاف السقاف، وقد أرسلها إلى مكة المكرمة مع الحبيب العلامة محمد بن الهادي بن حسن السقاف، تاريخ ١٤ شعبان ١٣٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

الحمد لله الذي جعل التواصي بالحق والصبر والمرحمة سبيلاً موصلاً لنيل المكرمة المعظمة، بالعمل بذلك من الموصي والموصى حتى يكونا من أصحاب الميمنة، الفائزين بالجنة السالمين من المشأمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد العبد الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله سرج الظلمة وأصحابه النجوم الأئمة. هذه كلم قليلة بعثتها إلى أخص الإخوان، السابقين للأقران المؤيد بعناية الرحمن، المرجو له إن شاء الله بلوغ المراتب الحسان في كل شأن برضى الوالدين وقرة العين في الدارين بالنظر إلى وجه الكريم المنان، في مقعد الصدق بالقرب من سيد ولد عدنان، الولد الأبر، الفائز إن شاء الله

بالظَّفر وقضاء الوطَر، بعد أن حجّ واعتمر وزار جدّه سيّد البَشَر، ورجع إلينا بكمال العافية الظّاهرة والخافية، مصحوبًا بالعِناية والكلاية والرِّعاية عبدالقادر ابن الأخ الفاضل الشفيق حسَين ابن الحبيب سقّاف السقّاف، حفظه اللَّه وغمَره بالألطاف وآمنَه مما يخاف، وجمع به وله الشمل بجميع المحبين والأهل على أسرِّ حال وأهناه وإيّانا آمين.

فالوصية لنفسي ولهذا الولد الكريم تقوى اللَّه العزيز الحكيم، وحَمْلُ النفس على امتثال الأوامر واجتناب الزواجر، امتثالاً لقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وقول النّبي صَلى اللَّه عليه وسلّم: «إذا أمرتكم بأمرٍ فأتُوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكُم عن شيءٍ فاجتنبوه كلّه».

وأعظم الأوامر بعد التوحيد إقامة الصَّلاة في الجماعة مع الحضور والخشوع وتدبّر القِراءة وتدبّر الأذكار، ومراقبة المولى واستحضار أنه يراك ومطّلع على قلبك وظاهرك، وصَرْف الخواطر والأفكار الشاغلة، ومجاهدة النَّفس على ذلك حسب الاستطاعة، وتكميل الصَّلاة بالمحافظة على الرواتب وصلاة الوتر والضحى وغيرها، ثم بقية أركان الإسلام، والمحافظة على تحري الزّكاة وإخراجها في وقتها وصَرفها لمستحقّيها، وعدم تخصيص من لكَ مِنْه نَفْعٌ بها، بل تُعطيها لمن وجَبت له، قاصدًا بها وجه اللَّه تعالى، والإكثار من صدقة التطوّع، وخصوصًا صدقة السر، فإنها تُطفي غضب الرَّب وتدفع البلايا عن النّفس وعن الأولاد والوالدين والأهل. وأوصيك ببرِّ الوالدين

والمُبالغة في طاعتهما وفِعْل مايسرّهما، وترك مايكرهانه منك، فإنهما الباب الأعظم المُوصِل إلى رضى الله سبحانه وتعالى، ولايخفاك ماورد في برّهما وطاعتهما من الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة، ومن تمام برّهما صلة الرحم لأجلهما من إخوة وقرابه.

وأوصيك بالإحسان إلى زوجتك وولدك، والمسامحة لها في التقصير في حقوقك، والقيام بحقوقها حسب استطاعتك.

وأوصيك بحُسن الصُّحبة وكمال الأدب مع شيخك الأخ محمّد ومع الرِّفقة المُصاحبين، والقيام لهم بما تقدر عليه من النّفع بالخدمة والمُسامحة واحتمال الأذى وتحسِين الأخلاق معهم خاصّة ومع غيرهم عامّة.

وأوصيك بإصلاح النية في سفرك هذا وفي جميع أمورك، واجعله خالصًا لوجه الله الكريم، وفتّش في النيّة عن شوائب الرّياء والحظوظ الدنيوية والأغراض الشّهوانية، وداوم على تفقّد القلب عن ذلك.

واستشعر تعظيم المولى وهيبته واستغناه عن الشريك، ثم استحضر سِعَة رحمته وفضله وارجو قبول العمل، واستحضر الواسطة الأعظم صلى الله عليه وسلم، واجعله الوسيلة في القبول ونيل السُّول والكرم المبذول، واطلب من مولاك أن يُكرمك بفوق ماترجوه مما أفاضه على الواقفين والزّائرين والمتعرضين لنفحاته وغير المتعرضين، وكُنْ طامعًا وراجيًا بغير عمل، واشهد التقصير في جميع الأعمال والإقرار بالذنوب، والإعتراف لله بالنِعم المستمرّة الّتي لا تستطيع عدّها ولا

تحصي شكرها، واسأله التوفيق للشكر عليها، وبالغ حسب الإمكان في تعظيم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، واحذر واحترز غاية الإمكان من الوقوع في المعصية في تلك الأماكن لقول الله تعالى: (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وإن وقعت في معصية فبادر بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الرحيم الغفار.

وعليك بالورع في الطعام والكلام وحفظ الجوارح من الآثام. وعليك بالإجتهاد في طلب العلم الشريف النافع، والأدب مع أهله، وتعظيمهم وحسن الظن بهم وبسائر المؤمنين، وتأويل ما ظاهره التقصير والإساءة.

وعليك بالرحمة والشفقة على جميع خلق الله، خصوصاً الأيتام والأرامل والمرضى والمساكين والمستضعفين، وتذكر قول الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» وغيره من الأحاديث القدسية.

وعليك بملازمة الأوراد المأثورة عن السلف الصالح، مثل ورد الحبيب عبدالله الحداد وراتبه وورد الإمام النووي وحزب البحر وقراءة يس والواقعة والدخان والسجدة وتبارك الملك وكثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم وليلة وزيادة يوم الجمعة وليلتها، وأذكار الصباح والمساء وأذكار السفر والحط والترحال، وكثرة التحصن والتعوذ، وأكثر من استيداعك نفسك وأولادك ووالديك وأهلك وجميع ما تحب ومن تحب خصوصاً أول النهار وأول الليل، واستحضرنا فيهم وفي جميع الدعوات

وزيارة خير البريات عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات وزيارة الأولياء والصالحين، وما وجدته من كتب العلم النافع إن وجدت ثمنه فاضلاً عن مؤنة سفرك فاشتره. وبعد تمام الحج والزيارة فاسرع الرجعة إلى والديك وولدك وأهلك ووطنك، فإن فراقك عليهم شديد، وأملنا وأملهم أن يحفظك الله في سيرك ومقامك، ويحفظ عليهم نعمته ويتمها علينا وعليك وأن يردك إلينا بسلام.

والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وهذه الوصيّة كتبها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف لأولاده وإخوانه وبعض طلبة العلم الشريف، وذلك يوم الجمعة بتاريخ ٩ رجب سنة ١٣٥١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل (إن وليّي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين) اللهم صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آل سيّدنا محمّد الوسيلة العظمى في نيل كلّ مطلوب ومحبوب ومرغوب، وشفيعي وشفيع الأمّة في دفع كلّ مرهوب صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد: فإني (أفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد) وأسأله أن يجعلني وأولادي وإخواني ممن يتّق الله ويجعل له مخرجًا من كلّ شدّة وشبهة وبلا وكربة في هذه الدار والبرزخ ودار القرار، ويرينا ويرافق بيننا وبين سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم وسلفنا الأخيار، في مقعد الصدق في دار القرار، ويكفّر عنّا الذنوب والأوزار، إنّه حيّ قيوم رؤوف رحيم ستّار غفّار.

أما بعد: فهذا تعرّف لطيف جرى على لساني، ألزمْت وأقمْت وأنبْت ووكّلت عنّي وعن أولادي وورثتي، أولادي الكرام وطلبة العلم الصدور الأعلام، أوّلهم أخواي شيخ وعمر وولدي وقرة عيني الحسن بن عبد الرحمن ومحمد وعبد القادر ابناي والأولاد أحمد بن حسين وإبراهيم بن عقيل ومحمّد بن عبد الله بن علي وعبد الله بن عمر بن حامد وطه بن عبد القادر وسالم بن محمّد بن حسين وسالم بن عمر:

أن يفعلوا لي معونة ويقوموا بحفظ وتولّي كتُبي التي صارت إلى ورثتي، وتحفظونها بعد التقويم، ويقسّموها قِسمة شرعية بالسَّويّة بعد التقويم والتعديل، وأن لا يستعجلوا فيها ولو مكثوا عشرة أيام، وجعلتُ كلَّ واحد منهمْ قائمًا عن أحد الورثة على سبيل المُراضاة والمُساواة، وألزمْت وأمرْت المذكورين وأولادي كلهم الذكور والإناث أن لا يبيعوا شيئًا من الكتب، ولا ينقادوا لأحد يقمرهم أو يغلبهم حتى تبلغ بهم الحاجة إلى غايتها، وإن أحد أراد الاستعارة أو الانتفاع بكتاب من طلبة العلم من أحد فلا يُسلّمه إلّا بوثيقة حتّى يرده، لأنّي تعبت في تحصيلها.

وأسأل منَ الله أن ينفع بها أولادي وأولادهم وأحفادي وأحفادهم في الدنيا والآخرة، وآمرهم أن يجعلُوا من هذا التعريف واللفظ الخفيف عند كل واحد نُسخه من هذا، وهذا عند الولد طه والله وصيّي ووليّ عليهم وأسألهم أن يتناصحوا ويتراحموا ويتوادّوا ويتزاوروا ويحتملوا المشقّة فيما بينهم من بعضهم لبعض، لأنها سبب إلى البر والسَّعادة والحسنىَ والزّيادة في هذه الدّار ودار القرار، واسألهم أن يترحّموا ويتصدّقوا عنّي ويستغفروا لي.

وأُحذِّر غاية التحذير أولادي الكِبار خاصّة والصِغار بالصّبر على أخلاق وطبايع إخوانهم خاصّة، وغيرهم من القرابة والإخوان والجيران عامّة، وأن يسامحهم فيما يأخذونه من حقوقهم ظاهرًا وباطنًا، وأن يسكتوا لهم من المنازعة والمجادلة والهوىٰ، وعِوض من صبَرَ على الله ورسوله سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الدُّنيا والآخرة.

فمن أراد بِرّي واستماع أمري وأن يكون الله ورسوله ووالداه راضين عنه وبارًّا بهم في الدّنيا والآخرَة فليعمل بهذه الوصيّة، وعليه المتابعة لخير البرية صلى الله عليه وسلّم الموصل إلى محبّة الله ومغفرة الذّنوب كما ذكره الله في كتابه العزيز. وصلى الله على سيّدنا محمّد وعَلى آله وصحبه وسَلم.

قال ذلك وأملاه الفقير إلى عفو مولاه:

أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عمر السقّاف

سامحه الله... آمين

وهذه الوصية أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى مكة المكرمة للسيد العلامة الحبيب عيدروس بن سالم بن عيدروس البار، وذلك بتاريخ ٤ القعدة ١٣٥٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالعصرِ إنَّ الإنسَنَ لفي خُسرٍ إلا الذين ءامَنُوا وَعملوا الصالحات وَتَوَاصَوا بالحقِ وَتواصَوا بالصَّبرِ) (ثمَّ كانَ مِنَ الذِينَ آمنُوا وتواصوا بالصَّبرِ وَتَوَاصَوا بالمرحَمة أولَئِكَ أصحابُ الميمنَه) (آلم ذَلِكَ الكِتَبُ لاريبَ فِيه هُدَىً للمتقِينَ الذِينَ يؤمِنُونَ بالغَيبِ وَيقيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزقنَاهُم يُنفِقُون وَالذِين يؤمِنُونَ بما أُنزلَ إليكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ وبالآخرةِ هُم يُوقنُون أولَئكَ على هُدىً مِن رَبِّهِم وأولَئِكَ هُمُ المفلِحُون)

الحمدُلله ربِّ العالمِين حمدًا يوافي نِعمه ويكافئ مزيده، ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهكَ وعظيم سلطانك، ونسألك اللهمّ أن تصلِّي وتسلّم على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد الصادق الأمين، المبعوث بالدعوة إلى الهُدى والحقّ واليقين، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

هذه كلمات رسمناها مع الإفلاس والتقصير عن مقام وأحوال وعبادات سلفنا المتقدِّمين، السابقين إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، طلبها منّا أخونا وحبيبنا الفاضل العارف بالله إن شاء الله، الكامل العالم ابن العالم: عيدروس بن سالم بن عيدروس البار، أكرمه الله بما يطلبه ويرجوه من

الأسرار والأنوار، وجعله من خُلاصة السَادة الأبرار، التّائبين التّابعين على قَدَم الصّدق للنّبي المختار، والسّلف العلويين الأخيار، وإيّانا آمين.

فالوصية لأنفسنا ولهذا الأخ الكريم تقوى الله العظيم، القائل في كتابه المبين: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) فهي امتثال أوامر الله تعالى ظاهراً وباطناً، واجتناب مناهيه سراً وعلناً، وليس بعد أمر الله أمر، ولا بعد زجره زجر (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) عطيّات وهبات جزيلات (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) تحذيرات وتنفيرات (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) مخالفة أمره وارتكاب نهيه وزجره (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه وعصاه (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) لمن أطاعه وسعى في رضاه (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فلو لم يكن في اتباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وشرّف وكرّم إلا هذه الغنيمة العظيمة والكرامة الفخيمة لكانت كافية، وبجميع خيرات الدنيا والآخرة وافية، إذ المولى يعامل المحبوبين ويكرمهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) وأعلاها النظر إلى وجهه الكريم ومجاورة النبي العظيم صلّى الله عليه وسلّم، ويُحلّ عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً.

ثمّ الّذي أشرنا إليه، ونحث أنفسنا وأخانا عليه، ما أرشدنا إليه القرآن الكريم، وأقوال وأفعال وأخلاق وآداب نبينا العظيم صلى الله عليه وسلم،

الموصوف بالخُلق العظيم، الّذي أخلاقه القرآن، وشِيمته وطريقته الإحسان وقد جمعها السَّلف الصَّالحُون الأئمة العَارفون في كتبهم ووصاياهم النّافعة التي هي لمن تمسَّك بها رافعة، مثل وصايا سيّدنا عبدالله العيدروس، وقطب الإرشاد الحبيب عبدالله الحدّاد، والحبيب العارف بالله ذي الأسرار عمر البار، والحبيب علي بن حسن صاحب العَطيّة الهنيّة، والحبيب عبدالله بن حسين الذي جمع في ديوانه ووصاياه كُل زين، وحبيبنا وشيخنا العارف بالله علي بن محمد الحبشي، وغيرهم من السَّادة العَارفين المقتفين لسيّد المرسَلين صلى الله عليه وسلم، الصَّادق فيهم قول الله في كتابه المبين: (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أدعو إلى الله عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أنا وَمَن اتبَعَني). وفّقنا الله وإيّاكم لكمال المتابعة له صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ظاهراً وباطناً، وجمّلنا وإيّاكم بالعافية والسَّلامة، وحقّقنا وإيّاكم بالتّقوىٰ والاستقامة، وأعاذنا وإيّاكم من موجبات النّدامة.

هذا مع العجز والإفلاس عن التخلّق بخُلق الأكْيَاس، الّذي قال فيهم سيّد النّاس صلّى الله عليه وسلم: «الكيّس مَن دانَ نفْسه وعمل لما بعد الموت».

فالتّقوىٰ هي الصِراط المستقيم الّذي أوجب الله سؤاله والهداية إليه في أُمّ القرآن العظيم في كل ركعة من الصَّلاة، وهي الجامعة لجميع الخيرات، ومراتبها كثيرة، توصل إلىٰ الحضرات الشريفة والمقامات المُنيفة، كلٌّ علىٰ ما قسم الله له وأعطاه ويسّر عليه ووفّقه، ومن أهمّها ترك المناهي، والإحتراز من المعاصي مع التمسُّك بأداء الفرائض الموجبة لمحبة الله، والزُّهد في الدُّنيا وإخراج محبّتها من

القلب، والرَّغبة فيما عند الله، وشدة التعلُّق والمحبة لسيِّد المرسلين صلى الله عليه وسلم وكثرة الصلاة والسَّلام عليه صلى الله عليه وسلم حسب الاستطاعة في كل وقت وحين. وقد أجزناكم وأجزنا الولد محمّد بن سالم الحبشي في تلاوة القرآن، وفي الصَّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلم، وما تيسّر من ذِكر الله بقول لا إله إلاّ الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قُوّة إلا بالله العَليّ العَظيم، وفي الإستغفار بأيِّ أنواعه حسب الإستطاعة، والمراقبة لله في جميع الأوقات وعلى كلّ الحالات، مع اقتران ذلك بالخوف والرّجاء والإبتهال إلى الله في التّوفيق لما يُرضيه وترك ما يُسخطه. والفقير مقرّ ومعترف بأنه ليس أهلاً للإيصاء والتّذكير، لولا رحمة ربه القدير، ورجاه في العفو عن الذّنب الكثير.

يا أيُّها الرّجلُ المعلِّمُ غيرَه ... هلاّ لنفسك كانَ ذا التّعليمُ
تصِفُ الدّواءَ لِذي السّقام وذي الضّنَى ... كيما يَصحّ به وأنْتَ سقيمُ
إبدأ بنفسِك فانهَها عن غيّها ... فإذا انتهَت عنه فأنتَ حكيمُ
لا تنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثْله ... عارٌ عليكَ إذا فعلْتَ عظيمُ

والله سبحانه وتعالى المسئول أن يمنَّ علينا بالتّوبة النّصُوح، ويُدخلنا وإيّاكم في زُمرة المحبين المحبوبين، ويُدخل أعمالنا ونياتنا في أعمالهم ونياتهم، ويسامحنا فيما ادّعيناه ويُحقِّق ما به ظننّاه، وما منْهُ رجوناه، بجاه سيّدنا محمّد الصّادق الأمين صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه في كلّ وقت وحين، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

« قال ذلك العبد الفقير إلى مولاه الغني: أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عمر السقّاف حرّر ٤ القعدة سنة ١٣٥٥هـ »

وهذه وصية من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف للشيخ محمد بن عوض بافضل وأولاده، وذلك بتاريخ ٦ ذي الحجة ١٣٥٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده على جزيل نعماه، ونستعينه ونشكره على عطاه، ونستغفره من كل ذنب جنيناه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد عبده ومصطفاه، ومختاره من خلقه ومجتباه، وعلى آله وصحبه الأئمة الهداه، السالكين سبيله والراغبين في قربه وولاه، خصوصًا سادتنا العلويين، الراسخين في العلم واليقين وإخوانهم من المشايخ الأكرمين، المشاركين لهم في الأقوال والأفعال والأخلاق والنيات والعلوم اللدنيات من أولي الفضل المشايخ الأجلاء آل أبي فضل خصوصًا أخينا الإمام، الراقي لأعلى مقام، بمحبة وصحبة الحائزين لشريف المقام، الشيخ العلامة محمد بن عوض بافضل وابنه السالك سبيله والماشي على منهاجه والراقي في معراجه، الشيخ الأفضل: فضل بن محمد وإخوانه الجميع، سلك الله بنا وبهم سبيل سلفنا الأكرمين، وسقانا وسقاهم من شراب علم اليقين ثم عين اليقين ثم حق اليقين، وحفظنا وإياهم بما حفظ به عباده الصالحين من شر الشياطين والحاسدين، ومن شر الإنس والجن أجمعين ... آمين اللهم آمين وعليهم منا جزيل السلام والتحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام، ونستمد منهم الدعوات العظام، بالحفظ والتسديد وبلوغ المرام، والتوفيق لكمال

المتابعة لخير الأنام عليه الصلاة والسلام ظاهراً وباطناً في الدنيا ونكون معه في البرزخ وفي الحشر وفي الصراط وفي دار السلام.

ذكرتم طلبكم وصيّة وإجازة، فلسنا لها أهل، وإنّا منكم نطلب ذلك أو نسأل إذا قدّر الله لنا ولكم ذلك. وعلينا أن نعمل بما نقول ونُخْلِص في ذلك العمل ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يُؤتى بالعالم يوم القيامة فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحا، فيقول الناس: ما بال الأبعد قد آذانا، فيقول: كنتُ آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشرّ وآتيه» وفي حديث المعراج «مررتُ بأقوام تُقْرَضُ شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار..» إلى آخر الحديث ولكنا نرجو أن ننتظم في سلك المتواصين بالحقّ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فالتقوى وصيّة الله للأوّلين والآخرين، وبها أوصى سيّد المرسلين في أحاديث كثيرة وتبعه خلفاؤه، ولكن العمل بغايتها عزيز، وهي حرز حريز، وهي مشروحة في كتاب الله وسنة رسول الله وكلام العلماء بالله، فنوصي أنفسنا وإياكم بها ونطلب من مولانا أن يوفقنا وإيّاكم لها، وفيما شرحه سلفنا المتقدّمون في

كتبهم من منثور ومنظوم، وأعظمها حمل النفس على العمل بظاهر القرآن وما فَهِمَه الإنسان من المعاني الباطنة بعد التدبر مع الخشية والخضوع وفي ذلك غُنية، ثم ما فَهِمَه من السُّنة المطهرة، ثم ما فَهِمَه من كلام العلماء الراسخين في العلم مما يفتح الله به من العلم اللَّدُنِّي الحاصل مع العمل بالعلم الذي هو ثمرة التقوى وثمرة التقرُّب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض مع الإخلاص المُشار إليه بحديث «ما تقرّب المتقرّبُونَ إليَّ بمثل أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يُبصر وبي يبطش، فإن سألني أعطيته وإن استعاذ بي أعذته..» الحديث. فالذي نوصيكم به ونوصي أنفسنا به، ما اشتملت عليه وصايا سلفنا السابقين مثل الإمام القطب عبدالله العيدروس، والإمام القطب الحبيب عبدالله الحدّاد، والإمام القطب الوالد علي الحبشي، والإمام القطب أحمد بن حسن، ومن قبلهم ومن بعدهم. والذي فقدناه، ومنكم ومن أنفسنا طلبناه، إصلاح النيّة في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات حسب الاستطاعة والصدق والإخلاص لله تعالى مقرونًا بالمتابعة لسيد المرسلين، والتخلّق بآداب سلفنا العلويين ومشايخنا المقرّبين وإكثار المطالعة لكتبهم، فإنّ فيها الطريق الموصلة إلى رضا المولى جلّ وعلا.

ثم حسن الظن بالله وبرسول الله وأهل بيته وأُمّته المؤمنين، والشفقة عليهم والرحمة التامّة لهم، والنصيحة والدعوة لهم إلى العلم النافع، وتعليم الجاهل

وإرشاد الغافل حسب الطاقة، ومجاهدة النفس، وما استطعت من الرياضة المذكورة في قول قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبدالله الحداد:

وبالرياضة من صمت ومخمصة ... مع التخلي عن الأضداد والسهر

وغير ذلك مما لا يخفاكم علمه. وقد وفر الله حظكم من محبة أهل البيت الطاهر ومحبة العلماء العاملين وجميع الصالحين، فهنيئاً لكم ذلك، فقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المرء مع من أحب» فهي طريق موصلة إلى أعلا الرتب، ونوصيكم بالورع الحاجز، وعدم مسامحة النفس فيما تدعوا إليه، وحفظ القلب ثم الجوارح السبعة، والتخلي عن الأخلاق المذمومة، والتحلي بالأخلاق المحمودة المعلومة.

وهذا منا تنبيه لأنفسنا لا لكم، فإنا والله الذي لا إله إلا هو مسيئون ومذنبون ومقصرون ومستغفرون، ونرجوا من مولانا بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالحين ومشايخنا العارفين أن تشملنا نظرة من نظراتهم السابقة ودعواتهم المقبولة تردنا إليه وتقبل بقلوبنا عليه، ونستغفر الله مما تجرأنا به وادعيناه ولسنا له أهل، ولكن مولانا للعطاء والفضل أهل، والجود والرحمة واسعة خص بها وعم.

وأما الإجازة فقد حضرنا مجالس مولانا الوالد القطب علي والوالد القطب أحمد وغيرهم من العارفين وإجازاتهم لنا وللحاضرين ولكم منها، فإذا صحت لنا الإجازات وشملتنا تلك البركات والنظرات: فقد

أجزناكم بما أجازونا فيه وبه من الدَّعوة إلى الله والتّعلُّم والتّعليم والذكر والتلاوة والتّذكير والدّعوة والصّلوات بِصِيَغِهَا على خير البريّات، إجازة إن شاء الله مُتَّصِلة بالسّند إلى سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم كما هو لديكم وعندكم، ونحن نطلب منكم مثل ذلك، وأنتم أولى بما هُنَالك، وإن تيسّر منكُم الجواب والمسَاعدة بما في الكتاب فهو المطلوب والمحبُوب ــــــ وصلَّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم.

قال ذلك الفقير إلى الله: أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرّر في ٦ ذي الحجّة سنة ١٣٥٥هـ.

ثانيًا: المكاتبات

هذه المكاتبة من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى السيد حسن بن عبد الرحمن بن محمد السقاف، أرسلها إلى الصولو، تاريخها ١١ جمادى الآخر سنة ١٣٤٣هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إلى جناب الولد المكرم الأبر قرة العين الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر السقاف حفظه الله وأتم علينا وعليه نعمته الباطنة والظاهرة في الدنيا والآخرة وجمع به الشمل في الوطن قريب في عافية. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من بلد سيئون، والدعاء مسئول ومبذول، ونحن وأولادنا محمد وعبد القادر وعمك عيسى وأولاد أعمامك الجميع وأخوالك بعافيه، نرجو أنكم والشيخ المحب في الله علي مكارم وكافة من لديكم خصوصًا الخال سعيد بارجا بأتمها، لنا مدة من كتبكم، ومتشوقون إلى أخباركم، نرجوا حصول الشغل المبارك وحصول البركة فيه، ونسأل الله تعالى أن يقضي حاجاتنا وحاجاتكم الدنيوية والأخروية ويصلح النية ويعجل برجوعكم إلينا قريب في عافية آمين.

ونرجو أنكم بسطتوا الدعوة إلى الله تعالى ونشرتم العلم النافع، الله الله في ذلك تربحوا التجارتين وتفوزوا بالحسنيين.

والولد محمد بن عبد الله نرجوه بعافية وأنكم تكاتبونه، وعرفوه من طرف

خروجه إلى الوطن، والدعاء لكم مبذول ومنكم مسؤول، والسّلام عليكم وعلى الولد سالم بن بصري وحسن بن حسين والشّيخ علي بن محمّد مكارم والخال سعيد والخال عبد القادر بن محمد آل بارجا وإخوانهم ومن سأل عنّا منّا ومن الأولاد وأولادكم الجميع.

خالك / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السّقاف
حرر ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣ هـ

وهذه المكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن أيضاً إلى الصولو للسيد حسن ابن عبد الرحمن السقاف، تاريخها ٢٨ شعبان ١٣٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً نستجلب به رضاه، والمزيد من نعمائه وعطاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله ومصطفاه، وعلى آله وصحبه الأئمة الهداة، ومن اتبعه ووالاه، واجعل اللهم منهم وفيهم الولد الأبر قرة العين، المخصوص بكل وصف حسن وزين، الحسن بن عبد الرحمن بن محمد السقاف أتم الله عليه نعمته وعافيته وستره، ووالى عليه بره وأصلح أمره وشرح صدره وإيانا آمين.

صدرت من البلد، والحمد لله على دوام ستره وعافيته لنا ولأولادنا ومن شملته شفقتنا، كالأولاد محمد وعبد القادر وأعمامكم سالم وعيسى وأخينا شيخ وسائر القرابة وسيدي عمر بن حامد وكافة من لدينا بعافية، ونرجو من الله أنكم والمحب علي ومن لديكم والأخ الجليل أبو بكر وآل بصري وحسن وكافة اللائذين بعافية.

كتبكم الكريمة وصلت، وإرسالكم من طريق الأخ عبد الله بن عقيل والكساء وصل، أوصلكم الله بتمام خيري الدنيا والآخرة، وبلغكم جميع المطالب الدنيوية والأخروية، وكذلك المحب المحبوب علي بن محمد مكارم، والصله منه

وصلت، شكر الله سعيه وبارك له ولكم، بلغوه منا السلام الجزيل، واعلموه أنه عندنا بمحل عظيم، ونطلب منه ومنكم الدعاء كما إنّا إن شاء الله له ولكم داعون.

والأخ عمر بن عبد الرحمن بن علي نرجوه وصل هو والولد طه إليكم والله يقضي حاجاتكم وحاجاتنا وحاجاته ويُصلح النيّات، والأخ سالم بن محمد ابن عبد القادر وصل إلينا وفرحنا به ودعونا الله أن يجمع الشمل بكم وبالأخوين سقاف بن طه وعمر بن عبد الرحمن وسائر الإخوان، والمدارس سابره والهمم فاتره، ونرجو أنكم نشرتم الدعوة ونفعتم المسلمين بدعوة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، الله الله في الاعتناء، والمحب علي لكم مُعين على ذلك، ومنه إرسال كُتُب أولاً في زمان سيدي الوالد القطب علي بن محمد الحبشي وسيدي العم العلامة سالم بن علوي العيدروس إن عاد نُسخه من القاموس أو مثله كالصّحاح أو القسطلاّني لعلّه يُرسل لنا إن شاء الله.

وذكر لنا أن الأخ أبو بكر بن محمّد السقاف صاحب قرسى عمّر مسجدًا بالصولو بشارة بقوة الدّين.

والدعاء لكم مبذول ومنكم مسؤل، واطلبوه لنا ممن توسّمتم فيه الصّلاح خصوصًا في شهر رمضان، والسّلام عليكم وعلى من شئتم منّا ومن الأولاد محمّد وعبد القادر وأعمامكم وآل الخطيب والأخ شيخ والقرابة والولد عمر بن حامد والأصحاب والأحباب.

خالك/ أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرر ٢٨ شعبان ١٣٤٤هـ

وهذه المطابة أيضاً إلى المذكور، أرسلها إلى الصولو، تاريخها ١ ربيع الثاني ١٣٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إلى جناب الولد الفاضل العالم العامل قرة العين الحسن بن عبد الرحمن بن محمد السقاف حفظه الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من بلد سيؤن، ونحن وأولادنا محمد وعبد القادر وأعمامكم سالم وعيسى وخالكم شيخ وأولاد الجميع بعافية، نرجو أنكم والإخوان محمد بن عبد الله وآل بصري وحسن وإبراهيم وكافة الإخوان والمحبين بعافية، كتابكم وصل، والصلة بانقبضها من الأخ عبد الله بن عقيل عند وصولها، ووصلت كتب من الأخ محمد مشهور ومن الولد محمد بن عبد الله وذكروا وفاة الولد عبد الله بن مشهور في منادو، رحمه الله رحمة الأبرار.. آمين.

والله يساعد الجميع، ويوسع عليكم الرزق الهني الحلال بغير حساب ويُعجل بخروجكم إلى الوطن وإلينا، ونحن معنا ضعف وتعب وأسباب في العيون وغيرها، وسبب ذلك المعاصي، ولكن الرجاء في الله يمن علينا بتوبة ورجوع وتبديل الحال إلى أحسن منه، يا محول الأحوال حول حالنا إلى أحسن حال، ونعوذ بالله من أحوال أهل الضلال، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

خير صحب وآل . والسلام عليكم وعلى المحب علي بن محمد مكارم ، أكرمه الله بما يروم
وفوق ما يروم ، وعلى كافة الإخوان منا ومن الأهل والأولاد والأقربين والمحبين

الداعي والمستمد / أحمد بن عبد الرحمن بن علي
السقاف . حرر فاتحة ربيع الثاني ١٣٤٥هـ

وهذه المكاتبة كذلك من الحبيب أحمد بن عبدالرحمن إلى المذكور، بتاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ إلى الصولو.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إلى حضرة الولد الأنور قرة العين وخلاصة الوداد، فائق الأنداد وثمرة الفؤاد، الولد الأبر الفاضل حسن بن عبدالرحمن بن محمد ابن الوالد المرحوم العارف بالله والدال عليه عبدالقادر السقاف، حفظه الله وحفظ عليه نعمته وأتمها ووفقه لشكرها وإيانا آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من بلد سيئون، ونحن وعمك سالم وأولاده وأهل بيته وعمك عيسى وأولادهم وأولادنا محمد وعبدالقادر وعمر ولد الولد محمد والأخ شيخ وأولاد أخوالك والأخوال آل الخطيب وكافة من يلوذ بنا بعافية، نرجو أنكم والشيخ علي بن محمد مكارم، والإخوان آل بصري ومحمد بن عبدالله بن حسين وحسن بن حسين والولد طه بن عمر وسالم الحبشي والخال سعيد بن أحمد بارجا وإخوانه وكافة اللائذين والمتعلقين نرجو الجميع بعافيه، أدامها الله علينا وعليكم وأتمها في خير وعافية.

كتابكم الكريم وصل، والصلة منكم من طريق الولد عبدالله بن عقيل استلمنا ذلك، أوصلكم الله بكل خير وقضى حاجاتكم وجمع الشمل بكم في خير، ونرجو

الأخ أبو بكر بن محمّد بعافية، ويختلف إلى الصولو، والأوقات معمورة، بلِّغوه منّا السّلام الجزيل، واطلبوا لنا منه الدّعاء وللأولاد . .

وكذلك الخال عمر بن محمّد بارجا وأولاده أحمد ومحمّد وإخوانهم نرجو أنهم بعافيه، بلِّغوهم سلامنا، ونُودّي نكتب للكُل، وإن شاء الله يُيسِّر الله ذلك، اطلبوا لنا العفو منهم.

وإذا كتبتوا إلى سورابايا أو إلى باكُلنقان أو سَماران أو قِرسي بلِّغوا سَلامنا الحبائب، وخاصة بلِّغوا سلامنا الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، والحبيب عبدالله بن محسن العطاس، بلِّغوهم سلامنا واطلبوا لنا الدُّعاء منهم.

وقبل هذا الكتاب بشهر وصل كتاب من الولد محمّد بن عبدالرّحمن مشهور إعلاماً بوفاة الولد عبدالله مشهور، وهذا بمحل لا مؤاخذة من زائد وقاصر، والدّعاء لكم مبذول ومنكم مسئول.

من الفقير إلى الله أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقّاف
حرر فاتحة جمادى الأولى ١٣٤٥هـ

وهذه المكاتبة من الحبيب أحمد إلى السيد حسن المذكور والشيخ علي بن محمد مكارم

تاريخها ١٤ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا نستمد به منه المزيد من فضله الواسع، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الحبيب الشافع، وعلى آله وصحبه الأنجم الطوالع، وعلى كل تابع، وراغب في العمل بالعلم النافع، وأسأل الله أن يجعلنا وأولادنا وإخواننا منهم، خصوصًا الولد الأنور المبارك العالم العامل سلالة الأفاضل ونخبة الأماثل، قرة العين، والمخصوص بكل زين، الحسن اسمًا ومسمّى وذاتًا وصفةً، ابن الأخ المرحوم برحمة الحي القيوم عبد الرحمن ابن الوالد محمد ابن الشيخ الكامل العارف الفاخر عبد القادر السقاف، والشيخ المحبوب الموهوب المخصوص بالنصيب الأوفر من محبة الله ورسوله المطهر وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم وسلم صلاة مستمرة إلى يوم المحشر، الداخل في عبادهم، سلمانهم علي ابن الشيخ محمد بن علي مكارم، أكرمهم الله بما أكرم به عباده الصالحين وجعلهما من المحسنين المحبوبين وإيانا آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من لديكم، صدرت من بلد سيؤن، ونحن وأولادنا وكافة الإخوان وأعمامكم سالم وعيسى والأخ شيخ وكافة القرابة والولد سعيد مكارم وإخوانه وأولاده وأعمامه الجميع بأتم حال

نرجو الله لنا ولكم المزيد، ودوام العافية والشكر عليها لنا ولكم ولكافة الإخوان محمّد بن عبدالله وآل بصري وآل بارجا وآل مكارم ومن لديكم، أتمّ الله علينا وعليكم نعمته الباطنه والظاهرة في الدُّنيا والآخرة. والكتاب الجليل فتح الباري وصل، وفرحنا به، ودعونا لكم أن يجازيكم الله عنّا من عنده على قدر كرمه بما تحبون في الآخرة مدّخرًا وذخيرة، هذه الهدية الفاخرة، التي يحصل بها إن شاء الله الانتفاع في الدنيا والآخره، وقد قرأنا اليوم في مدرس الأحد في كلام مولانا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أمدّنا الله بمددِه: أن رجلاً من أهل شبام كان يُسافر ويعبر عند سيدنا الحبيب عبدالله الحدّاد مع السفر ومع العودة، وذات مرة أصحبه الحبيب عبدالله الحدّاد كتاب صحيح البخاري ليجلّده في بعض البلدان فجلّده وأتى به، فقال له الحبيب عبدالله الحدّاد أمدّنا الله وإياكم بمدده: لو أتيت لي بمركب شاحن مِن كُل غالي ما فرحت به كفرحي بهذا الكتاب، ثم قال الحبيب - أحمد بن عمر بن سميط - انظروا إلى تعظيمهم شعائر الله عسى الله يجعلنا وإياكم ممن عظّم شعائر الله. وكذلك جدّنا الشيخ العارف الصّالح محمد بن عبدالله الخطيب بارجا، أرسل إليه أخوه الشيخ عبدالقادر نُسخة من صحيح الإمام البخاري، واشترى بير بألف ومائتين وحوّل له بخريفها، فقال: فرحي بالبخاري أعظم من فرحي بالبير أو ماهذا معناه، هذا والدعاء لكم مبذول ومنكم مسئول والسّلام عليكم وعلى الإخوان وأهل المكان منّا وممّن لدينا.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبدالرحمن بن علي السّقاف

عفا الله عنه آمين.. حرر ١٤ جماد الأولى ١٣٤٥هـ.

هذه المكاتبة من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى الحبيب أبي بكر بن محمد بن عمر السقاف - صاحب قرسي - تاريخ ١٩ رجب ١٣٤٧ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد خير دليل على سواء الدليل، وعلى آله وصحبه خير جيل، وسلم تسليماً كثيراً.

إلى الحضرة المحمية بالبضعة المحمدية، وصفوة البرية، خلاصة السادة العلوية، ووارث مقاماتهم العلية، وسالك طريقتهم المرضية، الداعي إليها بالقول والفعال الزكية، المخصوص منهم إن شاء الله ببلوغ الأمنية، أخينا في الله الذي نرجو ببركته أن نذوق ونشرب من شراب أهل الله، بالكأس الذي شرب منه وشربوه، ونصل ونتصل بمن أحبهم وأحبوه وقربوه، الأخ الفاضل العارف الغارف المحبوب الموهوب أبو بكر ابن الوالد محمد بن عمر بن أبي بكر السقاف حفظه الله وزاده من شراب أهله، وبلغه أمنيته من محبته، وجعل لنا نصيباً وافراً من ذلك، ولا حرمنا صالح دعواته ومحبته وصحبته، وإخواننا وأولادنا واللائذين بنا اللهم آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من بلد سيؤن، والقصد أن تجعلونا على بالكم، وتشركونا في توجهاتكم، بنصيب من دعواتكم، عسى دعوة ونظرة من نظرات الله بواسطة أهل الله، تنقذ أخاك من حالته الذميمة

بحُب الدّنيا وطاعة النفس الأمّارة واتّباع الهوى، إلى مقامات السّلف ومراتبهم وأحوالهم وأذواقهم، فإنّ العمر انقضى ولم نَصِل إلى مقصُود، ولا إلى شهود للواحد المشهود، المُغني عن جميع الوجود.

ونسأل عن ذاتكم الكريمة، أرجو الله أنكم والأولاد وأهل الوِداد بأتم حال، على ما يُرضي ذو الجلال، فإنا نحمد الله الذي لا إله إلّا هو ونشكره على جميع نِعَمِه الباطنة والظاهرة، لا نُحصي عدّها، ولا نستطيع أن نقوم بشكرها علينا وعلى جميع الإخوان، في كل الأحيان، ونسأله سبحانه وتعالى أن يزيد بلا تحديد، فإنه الولي الحميد.

والأخ الولد الأبر الأنور عمر بن عبد الرّحمن بن حامد وصل إلينا من عندكم لمعروفكم شاكر، وبالتعلّق بكم ظافر، فهنيئاً له ما أدرك، وهو أهل لما أكرمه الله به وأسْبَغ عليه من محبة أولياء الله العارفين بالله وحُسْن الظن الكامل فيهم مثلكم ومثل حبيبنا وشيخنا العارف بالله، والصّادق في حب أهل الله الصادع بالحق، الّذي لا يخاف في الله لومة لائم، عُمَرِيّ الحال، الوالد أحمد بن عبد الله ابن طالب العطاس، ومثل الحبيب الموهوب المحبوب عبد الله بن محسن العطاس وغيرهم من الرجال.

فالله يحفظهُم ويُخلف منهُمُ ... أمثالهم في حيّنا والمــربــعِ

والحمد لله الذي جعل لنا في خاصة عباده وعامّتهم مودّه، وستر مَساوينا، ونسأله كما ستَرَ أن يعفو ويغفر... آمين.

والأخ الفاضل المعاون على طاعة الله وتقواه إن شاء الله عبدالله بن عمر وابنه النجيب السَّعيد هود وصل منهم كتاب، وعرّفونا بذكركم الفقير واعتنائكم بذكره جعلنا هذا من طريقهم، ونشكرهم إليكم، زادهُم الله من فضله الوافر، وجعلهم واسطة ونفعاً لعباده، وجمع الشمل بكم وبهم في زيادة وعبادة وصحّة واستقامة على طاعة الله. والكتب التي ارسلتوها العام الماضي عقيدة الإمام الغزالي وعقيدة حبيبنا العارف بالله عبدالله بن حسين وصلت، وفرّقناها على المنتفعين بها إن شاء الله. أكمَل الله لنا ولكم النفع، وحسّن عقيدتنا ويقيننا بالاعتقاد النافع يوم الدين. وكذلك العمامة التي ارسلتوها صحبة الولد عبدالرّحمن بن علوي الجفري - ألبسكم الله وألبسنا لباس التّقوى - وصلت، وفرحنا بها وبذكركم والعطر صحبة الولد عمر بن عبدالرّحمن وصل. طيّبكم الله وطيّب بكم.. آمين.

والعفو سيدي مطلوب من كثرة الكلام، والتجري على المقام، ودُمتم في حفظ الله وعنايته ورعايته. والسّلام منّا ومن الأولاد محمّد وعبدالقادر وكرائمهم، وادعوالهم وانظروا إليهم واذكروهم واعتنوا بهم، ويُسلّم عليكم الإخوان محمّد بن عمر وأولاده وحسين وشيخ وعبدالرّحمن ومحمّد بن حسين وأولادهم، خصوصاً ولدنا المبارك قرة العين أحمد بن حسين والولد الأخ عمر بن عبدالرّحمن، وخُصّوا ولدنا وقرة عيننا الولد الفاضل حسن ابن عبدالرّحمن بن محمّد والأولاد علوي وسالم وإبراهيم ومحمّد بن عبدالله بن حسين وحسن بن حسين والولد عبدالرّحمن بن محمّد

وعبدالرحمن بن علوي والأخ عبدالله بن عمر وابنه الولد هود وسعيد بن علي مكارم بجزيل السلام.

من الفقير إلى ربه العلي

أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف حرر ١٩ رجب ١٣٤٧هـ

وهذه المكاتبة أيضاً من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن إلى الحبيب أبي بكر بن محمد السقاف
أرسلها إلى قرسي، تاريخها ٦ شوال ١٣٤٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) الحمد لله الواسع العليم المخصص من عباده من أحبه واجتباه وقربه وأدناه وألبسه خلعة المحبوبية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد شفيع الأنام والواسطة في كل خير باطن وظاهر لأهل الباطن والظاهر، في جميع المظاهر وفي اليوم الآخر، وعلى آله الكرام وصحبه الأعلام وعلى التابعين لهم بإحسان.

ونخص حضرة أخينا وعضدنا الأخ الكريم الموهوب من فضل العظيم المحبوب الداعي إلى الله، المقبول عند الله إن شاء الله، الحبيب الجليل الآخذ من الفضل بنصيب، أبي بكر بن محمد بن عمر السقاف، أمتع الله بوجوده وأوصلنا وإياه إلى حضرة شهوده، ورزقنا وإياه كمال المتابعة لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، ودوام المراقبة لله في كل حين ... آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى الولد عبد الله بن عمر وابنه هود وكافة الإخوان من حاضريكم، ونرجو أنكم وابنكم المبارك شيخ ومن لديكم بعافية، كما إنا وأولادنا الملتمسين منكم صالح الدعاء والاعتناء محمد وعبد القادر وعمكم محمد وأولاده وزوجتنا علويه بنت أحمد بن محمد

الجفري بنت عمّتكم فطوم وسائر القرابة والمحبين بعافية. الحمد لله على نعمه الجليلة الباطنة والظاهرة، نسأل الله دوامها وتمامها والشكر عليها، الموجب للمزيد من الحميد المجيد، وكتابكم الكريم المشتمل على الخطاب الجسيم عن ذوق وصدق وصل، ونزل عندنا أعلى محل.

الحمد لله على ما جعل لنا من الوِدْ عندكم، وأسبل علينا سِتْرَه، وما صدّرتوه من العِطر وصل. والولد عبدالله بن محمّد وصل إلينا شاكر ذاكر، وصحبته ولده وأولاد المحب حسين بن عمر بابهير، ووصل بالأولاد إلينا ودعونا لهم ولوالدهم، والهديّة منه وصلت شكر الله سَعْيَه وجزاه عنّا خيراً، وكذلك الأخ عبدالله بن عمر نشكره إليكم كثيراً، الله يبارك له ويعطيه على نيّته نفعاً للعباد.

والمقصود منكم أن تتوجّهون لنا بالدّعاء والمدد، دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مُستجابة، والأخ عمر بن عبدالرّحمن - بن حامد - والأخ عمر بن أحمد - بن جعفر - متعلِّقون بكم وشاكرون وذاكرون، وهم من الأعيان وأهل القلوب الرّيان، سالكين الطّريقة وناصحين الخليقه، الله ينفعنا بهم ويمتع بكم وبهم وبالأخيار.

والحمد لله على عمارة مجالسكم بالعلوم النّافعة والهِبَات الجزيلة لحاضري حضرتكم، نَفْعها بما يَصل للمؤمنين الحاضرين والغائبين، وبما تعود بركاتها على الكُل أجمعين ... آمين. وأهل الصّولو لهم زيادة، والدّعاء لكم مبذول

ومنكم مسؤول، ولا يقطعنا كتابكم ولذيذ خطابكم، والعفو من التقصير، وعليكم منا السلام الكثير وعلى جميع الإخوان في كلّ مكان ممن تحبُّون كما تحبُّون، منّا ومن أولادنا محمّد وعبد القادر وزوجتنا علوية المذكورة ومن الأخ محمّد بن عمر والولد طه بن عبد القادر بن حسن وسائر الإخوان ويطلبون الدُّعاء للجميع، وهذا تهنئة بالعيد السّعيد أعادها الله علينا وعليكم سنينًا وأعوام على ما يُرضي ذو الجلال والإكرام، وفي زيادة من كلّ مقام، بجاه وواسطة خير الأنام، عليه أفضل الصّلاة والسّلام، والسّلام.

طالب دعاكم / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرر ٦ شوال ١٣٤٨ هـ.

وهذه المكاتبة كذلك إلى الحبيب أبي بكر بن محمد السقاف، تاريخها ٥ القعدة ١٣٤٩هـ إلى قرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أكمل الحمد وأتمه على كل حال، ونشكره على فضله وإنعامه المتوال، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الشفيع المقبول، والواسطة في كل مسئول، من المولى ومنه ومن السّلف وبقيّة الخَلف المتصفين بالرّحمة لجميع الأمة، والدعوات المقبولة والنّفحات المبذولة، والنِّيابة عن النّبي صلى الله عَليه وآله وسلم في الدّعوة إلى الله تعالى وإلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، خصوصاً أخونا وحبيبنا وطبيبنا العارف بالله والدّال عليه، خليفة أهله وسلفه الصالحين، المحبوب لربِّ العالمين وسيِّد المرسَلين، صلى الله عليه وآله وصحبه والتّابعين، الأخ الأكرم الأنور، السّاعي على الطّريق والشّارب إن شاء الله تعالى من الرّحيق، أبو بكر بن محمّد بن عمر السقّاف، عَمر الله به المراتب، وأناله الرّغائب وأجزل له المطالب، وجعل لنا حظ من دعواته الصّالحة، وبركاته الشّاملة، وتوجهاته ونيّاته، وأكرمه بما يروم ياحيُّ ياقيُّوم... آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من بلد سيؤن، والمطلوب صالح الدُّعاء ومزيد الإعتناء، والسُّؤال عن الجناب الكريم، أرجو الله أنكم وابنكم المبارك وإخواننا الفضلاء الأجلّاء الكملاء، الأخ الواصل

إليكم عمر بن عبد الرحمن والأخ الفاضل عبد الله بن عمر والولد هود وسائر الإخوان من السادة والمشايخ والمحبين كالأخ عمر بن أحمد بن أبو بكر وأولاد المرحوم محمد بن أحمد وولدنا عبد القادر بن جعفر وآل السقاف الجميع والمشايخ والمحبين نرجو الجميع بعافية، ونحن وأولادنا محمد وعبد القادر والأخ محمد بن عمر وأولاده والأخ سالم بن محمد وكافة آل عمر بن سقاف ومن لدينا الجميع بعافية، وأهلنا بعافية، والذين درجوا إلى رحمة الله تعالى الأخ عبد الله بن حسين وعلوي بن بصري وعلي بن صالح الحامد وعمر عبيد حسان رحمهم الرحمن، وأسكنهم فسيح الجنان، وأعظم الله فيهم لنا ولكم الأجر. آمين.

والتعلق بكم كثير، ونحن ادعوا لنا بالتوبة الصادقة، وصلاح القلب والباطن، وجمع الهمّ للمولى، وإخراج السِوَى من القلب، والكفاية لِهَمِّ الدُّنيا والآخرة، وأن الله يجعل هَمَّنا هُو وَحده، ويقربنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويجمع بيننا وبينه، ويُرينا وجهه الشريف، ويرزقنا الأدب مع الله ومع رسوله ومع أولياء الله وسائر عباد الله، ادعوا للمسلمين بِصلاح أمورهم والرَّحمة العامَّة والخاصَّة، واسألوا لنا الدُّعاء من الإخوان أهل الصفاء والوفاء بصلاح الشأن، وما تحبون لأنفسكم ولإخوانكم.

ونشكر إليكم الإخوان وطلبة العلم، معهم نشاط وإقبال على محبة العلم والرَّغبة فيه ومجالِسِه، وحسب ما يخبركم الأخ عمر بن عبد الرحمن ادعوا لنا ولهم جمْ بالفتوح وصلاح النية والصدق والإخلاص ومتابعة

السَّلف الموصلة إلى اتّباع النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، واعذروا وسامحوا من كثرة الكلام، والسّلام عليكم وعلى من شئتم، وهذا من طريق الولد عمر ابن عبد الرّحمن، وكونوا معه في كلّ حال، وتوجّهوا إلى اللّه في قضاء حاجته وردّه إلينا قريب، وسفره شقّ علينا، ولكن للّه الأمر، وما شاء اللّه كان ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم، واللّه يجمع الشّمل به وبالإخوان والسّلام.

ومعناعزم على زواج الولد عبد القادر بن أحمد، والدته علوية بنت أحمد الجفري أمّها عمّتكم فطوم بانزوجه على بنت شيخ بن أحمد السقّاف في الأيام القريبة اللّه يصلح النيه.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرر ٥ القعدة ١٣٤٩ هـ.

وهذه مكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن إلى قرسي للحبيب أبي بكر بن محمد السقاف

تاريخها ١١ جمادى الآخر ١٣٥٠هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المشفع في يوم الثواب والمآب، وعلى آله وصحبه الأئمة الأنجاب، وعلى أخينا في الله المخصوص بسر من أسرار السلف الصالح بالقدر الراجح، العارف بالله أبي بكر ابن محمد ابن الوالد عمر بن أبي بكر السقاف، حفظه الله وأدامه مترقياً لمراتب الأسلاف، ونفعاً وملاذاً للطالبين السالكين، وأمدنا منه بدعواته الصالحة المقبولة، ونفحاته المبذولة، لكافة المحبين... آمين.

السلام عليكم وعلى من لديكم من إخوان الصفاء أهل الوفاء ورحمة الله وبركاته، صدرت من سيؤن لطلب الدعاء كما هو إن شاء الله لكم مبذول بحصول السول ونيل المأمول، ونرجو أنكم وولدكم المبارك وكافة الإخوان أهل قرسي وسربايه والصولو وباكلنقان وغيرهم ممن لاحظته عنايتكم بعافية كما إنا وأولادنا وإخواننا وعمكم الأخ محمد وأولاده وكافة آل عمر بن سقاف وآل طه وأهل البلد الجميع بعافية، ونعظم لكم الأجر فيمن قدس الله روحه إلى الجنة الأخ الفاضل السليم العظيم محمد بن شيخ بن محمد السقاف، توفي إلى رحمة الله ليلة الخميس بالأمس، فأعظم الله أجركم وأحسن عزاكم وغفر الله له

ولنا ولكم، وأخلفه بالخلف الصّالح آمين.

ونحن مشتاقون إليكم وإلى كتابكم ومحتاجون إلى دعاكم، وأنتم أولى بالفضل. وأهلاً لكُلّ جميل، وما أرسلتوه المسدرم وصلت، ألبسكم الله لباس التّقوى ولباس التّمكين ولباس العارفين، وجزاكم الله عنا خيرًا، وأخينا في الله عبدالله بن عمر وابنه الولد النجيب هود لنا مدّه من كتبهم، نرجو أنهم بعافية، ويعتاد أنه يسعى في دخون لمسجد طه ذكّروه، وقد وعد بخروج أولاده الصِغار، وله عزم على الخروج، الله يتمم عزمه ويبلّغه نيّته وهِمّته ويقضي حاجته، والولد عمر بن عبدالرّحمن بن حامد انظروا إليه وساعدوه بحيث هو كبير علينا، وباطنه إن شاء الله صالح وزين، ولا يصلح بقيم في جاوه كونوا معه حسب الظّن، ولا تحملون عليه من طرف أولاد الأخ الفاضل الكريم محضار بن أحمد، ربّى الأولاد وأدّبهم، أمّا الولد علوي بن محضار له فينا حُسن ظن وعقيدة ومحبة، وهو مبارك وإن شاء الله يكون قرة عين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأبيه، ويبارك الله فيه وفي والده وإخوانه وأما الولد عمر فهو عندنا، وفي هذه اللّيلتين عزم على التزوج على بنت أخينا عبد الرّحمن بن شيخ بن محمّد، وأخوه الصّغير وصل صحبة الولد السّعيد الجليل إبراهيم بن عقيل، نشكره إليكم كثير، الله يكثّر أمثاله آمين.

وبلّغوا الأخ محضار سلامنا ودعاءنا، والمحب أحمد باحويرث إن وصل إليكم سلموا عليه وقولوا له الصِله وصلت، والدُّعاء مطلوب من

الجميع ومبذول للجميع، والسّلام عليكم وعليهم وعلى من شئتم منّا ومن أولادنا الطّالبين لدعاكم واعتناكم محمّد وعبد القادر وكافّة من لدينا.

من الفقير إلى الله تعالى/ أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرّر ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ.

وهذه المكاتبة أيضًا إلى الحبيب أبي بكر المذكور، تاريخها ٢٤ جمادى الأولى ١٣٥١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ونشكره على جميع نعمه وعظيم آلاه، حمدًا وشكرًا نستجلب به المزيد من فضله وعطاه، ونسأله أن يصلي ويسلم على سيدنا محمد نبيه ومصطفاه، أشرف خلقه وأجل عبيده وأكرم شفيع إليه صلى الله وسلم عليه وزاده فضلاً وشرفًا لديه، وعلى آله وصحبه وكمل ورثته وحزبه، وأرجو الله أن يكتبنا ويدخلنا وأخانا في الله، الراقي بهمته إلى كمال محبة الله من الله وفي الله وبالله ولله، الأخ الكريم الحبيب العظيم، الداعي إلى المنهج القويم والصراط المستقيم، أبي بكر بن محمد ابن الوالد عمر بن أبي بكر بن عمر السقاف، عمر الله به ومنه طريق الأسلاف، وآمنه مما يخاف وأفاض علينا من بركته، ولا حرمنا صالح دعوته... آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من بلد سيؤن، ونحن والأولاد واللائذون والأقربون وعمكم محمد وأولاده وأهلنا الشريفة علوية بنت أحمد الجفري أمها عمتكم فطوم الجميع بعافية. نرجو أنكم والولد المبارك إن شاء الله قرة العين شيخ وسائر الإخوان أهل الصولو وأهل قرسي وسربايه وسائر المحبين بعافية، لازالوا يستمدون من بركتكم ويسعدون بنظركم، والأخ عبد الله ابن عمر وولده هود وأولادهم زادهم الله من فضله، نرجو أنهم بعافيه وأن

الأخ عبد الله على عزم على الخروج، والشيخ حسين بن عمر بابهير وسائر المتعلقين بلغوهم السلام، والأخ عبدالله يرسل إلى طرفنا دخون لمسجد طه ذكروه، ونحن بانكتب لهم كتاب منا ومن الأخ عبدالله بن أحمد من طرف المسجد، وهذه الأيام طلعنا من الخلا - المصيف بالقرن - ادعوا لنا بصدق النية وصفاء الوجهه، والشروع في عمارة المدارس والمساجد بالعلم والعمل والصدق والإخلاص والعافية التامة الدائمة والشكر عليها ولكم كذلك لازلتم في مزيد بكل خُلُق حميد الدُّعاء لكم مبذول ومنكم مسؤل ومن الإخوان مسئول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإن يسر الله وذاكرتوا بعض الإخوان المحبين في طبع نُسخه صحيحه من ديوان سيدنا الجد العارف بالله عمر بن سقاف فهو المطلوب وبركته يحصل للكل ممن عاون أو سعى كل مرغوب ومحبوب، ويسلم عليكم الأولاد حسن بن عبد الرحمن بن محمد وأولادنا محمد وعبد القادر وكافة القرابة عليكم وعلى من شئتم ممن ذُكر أو لم يُذكر.

من الفقير إلى الله الطالب للدعاء / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف حرر ٢٤ جمادى الأولى ١٣٥١هـ.

وهذه المكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن إلى اندونيسيا للولدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن وطه بن عبد القادر بن حسن آل السقاف، وذلك في شهر محرم الحرام سنة ١٣٥٢هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ونسأله أن يصلي ويسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه، وعلى أولادنا الكرام الذي منزلتهم عندي عظيمة، ودعواتي لهم مستديمة، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن وطه بن عبد القادر بن حسن آل السقاف، حفظهم الله خفي الألطاف من كل ما نحذر ونخاف، وأصلح نياتهم وقضى حاجاتهم، وجمع الشمل بهم في الوطن على أسعد حال، قريباً غير بعيد إنه حميد مجيد ... آمين يارب العالمين.

السلام عليكم وعلى من لديكم من الإخوان الفضلاء الأعلام، الحبيب أبو بكر بن محمد والحبيب عبد الله بن عمر وعلوي بن علي الحبشي وسائر الإخوان والأولاد والمحبين لنا ولكم أجمعين ورحمة الله وبركاته. صدرت من سيؤن، ونحن والأولاد عبد القادر وأهله ووالدته وكرايمه والولد المبارك عمر ووالدته وجدته وأخواله وأولاد الولد طه وأهله وإخوانه وسائر أصحابنا وقراباتنا وأولاد الجميع بعافية، نسأل الله لنا ولكم دوامها وتمامها، والشكر على جميع النعم، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين. والسلام عليكم وعلى الحبيب أبو بكر وعلى آل بن أحمد والأخ عبد الله بن عمر وولده هود.

• من الفقير إلى الله والدكم / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف حرر شهر محرم الحرام سنة ١٣٥٢هـ •

هذه المكاتبة من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى السيد العلامة الحبيب علوي
ابن محمد بن طاهر الحداد، تاريخها ٤ جمادى الآخر ١٣٥٢ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهاب، المتفضل على عباده بالعطاء بغير حساب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الألباب والوسيلة العظمى في فتح الأبواب، وعلى آله الأنجاب، وتابعيهم بإحسان إلى يوم المآب، وعلى الحضرة الكريمة الواسعة، ذات المقامات الرافعة، حبيبنا المحبوب السالك الموهوب المقتفي لآثار السلف الأمجاد والسادة الأسياد، والوارث لهم حقيقة بفضل الجواد، علوي بن محمد بن طاهر بن عمر الحداد، سلالة قطب الأقطاب، إمام الإرشاد، الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، أنكل الله لنا وله المراد، ونظمنا وإياه في سلك المخصوصين من العباد المقتفين لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وسلفنا الصالحين، نحن وأولادنا وإخواننا في الدين أجمعين آمين اللهم آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من سيؤن، والدعاء مسئول ولكم مبذول، والسؤال عن شريف خاطركم وعزيز حالكم، لا زلتم مصحوبين بأجل النعم من المولى ذي الكرم، وعافية ظاهرة وخافية، ونسأل الله دوامها وتمامها والشكر عليها الموجب للمزيد بفضل المولى الحميد، وما تفضلتم به من

الصِّلة الموصله صُحبة المحب عويجان والبنكس وصل، أوصلكم الله إلى المراتب العليّة. وهذا التّعريف صحبة الولدين المباركين محمّد بن أحمد بن عبد الرّحمن وطه بن عبد القادر بن حسن آل السقّاف توجّها إلى الله طالبين المدد من فضل الله والرِّزق الحسّي والمعنوي، ونظر الأكابر وزيارتهم، حطّوا نظركم عليهما، وعرِّفوهما الصّالحين، وإذا أذن الله بإرجاعهما إلى الوطن وإلينا قريب فذلك المطلوب، والدّعاء منكم مسئول، وذِكركم لا يزال، والسَّلام منّا ومن الولد عبد القادر، ونعظّم لكم الأجر في سيدنا وبركتنا وشيخنا الوالد صالح بن عبد الله بن طه الحدّاد - صاحب نصاب - أعظم الله أجركم وأحسن عزاكم وغفر لنا وله ولكم، وأخلفه على المسلمين الأقربين والأبعدين بالخلف الصّالح آمين. والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من شئتم من الإخوان والأولاد.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرر ٤ جماد الآخر ١٣٥٢ هـ.

هذه المكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى باكلنقان للحبيب علي ابن أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس، تاريخها ٦ جماد الآخر ١٣٥٢هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) (إذا جاء نصر الله والفتح) (نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) الحمد لله الحميد المجيد، المخصص من شاء من العبيد، بالفتح والتأييد والمزيد، خصص أقواماً بالعلم والعمل والأخلاق المرضية، والوراثة لسيد البرية، صلى الله عليه وآله وصحبه والسلف السادة العلويه، وجعلهم أئمة، بهم يقتدى وبنورهم يهتدى وسلاطين البلاد، والداعين إلى سبيل الرشاد، وارثين لآبائهم الأمجاد وقائمين بالنيابة عنهم وبالوراثة لهم، وأرجو الله أن يكون من أجلهم وأصدقهم الولد العالم العامل، الصادق الكامل، المتبع لسلفه الأكياس بإتباع سيد الناس صلى الله عليه وسلم، بركة المسلمين، وعامر مراتب الدين، ومآثر سلفه الصالحين العلماء العاملين، الصادعين بالأمر بالمعروف والناهين عن

المنكر نصراً الشريعة سيّد المرسلين عليه الصّلاة والسّلام، حبيبنا ومحبوبنا
عليّ المقام نجل الإمام سيّدنا أحمد بن عبدالله بن طالب العطّاس، حفظه الله
بما حفظ به أباه وجدّه قوي الأساس عمر العطّاس، وأسقاه أعذب كاس من
المحبة والمعرفة والعلم اللدنّي، والمشرب الصّافي الهني (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ
لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

أرجو إلهي ذا الكرم والإفضال — يفتح على قلبي سَنِيّ الاحوال
بما مَنَح أوتادها والابدال — واغواثها وافرادها والاقطاب
يا الله بذرة من محبة الله — أفنى بها عن كل ماسوى الله
ولا أرى مِن بَعدها سوى الله — الواحد المعبود رب الارباب

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هذا والمطلوب من فضلكم الدُّعاء
للفقير المعترف بالتقصير، بصلاح القلب والقالب، وحصول
المطالب، وتمام بلوغ المآرب. وقد عزم من أولادنا محمّد بن أحمد بن عبدالرّحمن
وطه بن عبدالقادر بن حسن، توجّهوا الى الله بالسّفر، منتظرين فضل الله
البر، إذا وصلوا إليكم عاونوهم وانظروهم وارحموهم واجبروهم، والدّعاء لكم
مبذول ومنكم مسئول، والسّلام عليكم وعلى الوالده والإخوان ومن شئتم ممن
حضر المقام من السّادة الأعلام وآل بارجا وآل حمران مِنّا ومن الأولاد، ودمتم
في زيادة وترقي وتلقي فتح الجواد. من الفقير إلى الله/ أحمد بن عبدالرحمن

ابن علي السقاف، حرر ٦ جمادى الآخر ١٣٥٢هـ.

لهذه المكاتبة من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن إلى الشيخ محمد بن عوض بن عمر شيبان
تاريخها ١١ شوال ١٣٥٤ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُل إنَّ الفضْلَ بيدِ الله يؤتيهِ من يشاء واللّهُ ذُو الفضْل العَظِيم)

الحمد لله البر الكريم، الرؤوف الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ذي الخُلق العظيم، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه المهديين صراطه المستقيم، وعلى أخينا ولينا في الله، الشيخ المكرم المحب المحبوب لأهل القلوب، محمد بن عوض بن عمر شيبان، أصلح الله لنا وله كل شان، وقرت له العينان، ورجح له الميزان، وبلّغه رضاء الرحمن، في جوار سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وآله وسلم في مقعد الصدق عند الملك الديان، وإيانا آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدورها من سيؤن، ونحن ووالدتكم وولدكم المبارك السّعيد إنْ شاءَ الله بالمزيد وإخوانكم شيبان وعيدروس وعبدالله وحسن وزوجتكم وأهلنا وأولادنا محمد وعبد القادر وكافة الحبائب والمحبين بعافية، نرجو أنكم ومن يلوذ بكم وكافة الحبائب الحبيب أبو بكر بن محمد ومن لديكم من القرابة والمحبين بعافية، نسأل الله لنا ولكم دوامها وتمامها والشكر عليها وعلى جميع النعم، جعلنا الله وإياكم من الشّاكرين الذّاكرين.

وقد مضى شهر رمضان معمورة أوقاته بالصّيام والقيام والصلوات والدّعوات، وذِكركم منّا ومن الجميع في كل ليلة لا يزال، نرجو أنكم تدعون لنا كذلك، وهو وف الولد المسمّى أحمد بارك الله لكم فيه وبارك عليه وأمده بالعمر الطّويل، ويتبعونه إنْ شَاء الله أولاد ذكور، محفوظاهو وإيّاهم من جميع الشرور، وكتابكم الكريم وصل، وفرِحنا به، حقّق الله خروجكم في شهر شوّال، حقق الله عزمكم في شهر شوّال، على أحسن وأصفى بال، وصلاح النيّات والأعمال والأحوال، جمع الله الشّمل بكم قريب إنه سميع مجيب، والدُّعاء مِنكم مسئول ولكُم مبذُول، والسّلام عليكم وعلى من شئتم منّا ومن الأولاد، والعيد عائد علينا وعليكم بالمزيد إن شاء الله.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن السقاف

حرّر ١١ شوال ١٣٥٤ هـ.

وهذه مكاتبة من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى الشيخ أحمد بن عمر بن محمد بارجا تاريخها ١٤ القعدة ١٣٥٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفضلِ العَظِيمِ)

والصّلاة والسَّلام على سيّدنا محمّد الرّسول الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم ومن سلك نهجه القويم، وأرجو الله أن يسلُك بي وبأخي وخالي المكرم الأجل أحمد بن عمر بن محمّد بارجا ووالده ووالدته وأولاده الصّراط المستقيم، ويصلح لنا ولهم أمر الدُّنيا والدِّين، ويقضي لنا ولهم جميع الحاجات، ويغفر لنا ولهم ويحفظنا من التّبعات، في الحياة وبعد الممات، بواسطة خير البريّات عليه أفضل الصَّلوات وأزكى التّحيّات ... آمين.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونحن ووالديكم وأولادكم وأولادنا في عافية، ونرجو من الله تمامها والشكر عليها، وحصول الشفائين وقرة العين وقضاء الدَّيْن، لنا ولكم أجمعين يا أرحم الرّاحمين ويا أكرم الأكرمين استجب لنا ... آمين.

وكُتبكم المُعْرِبة عن حُسن ظنّكم بربكم واسعة الرّجاء في فضله وجوده

إن لي في الله آما لأطويله وظنونا حسنه فيه جميله
ليس لي في نيل ما أرجو وسيله غير طه المصطفى زين الوجود

غيره:

حَسِّن ظنونك بالمولى ترى البُشرى فالرَّب عند ظنون العبد فلتدرِي

وبَشِّر القلب بالأفراح والفرح وبالعوافي من الأكدار والترح

هذا يا أخي والدّعاء لكم مبذول ومنكم مسئول، ونسأله سبحانه وتعالى أن يقضي حاجاتكم ويصلح نياتكم ويُعجِّل بملاقاتكم لوالديكم ودائرتكم في الوطن إنه سميع قريب يجيب دعوة العبد إذا دعاه ويعطي من رجاه من فضله وعطاه، والسَّلام لكم ولمن شئتم مِنَّا ومن الأولاد ومن والديكم.

من الفقير إلى الله/ أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عمر السقاف

حرر ١٤ القعدة ١٣٥٤هـ.

وهذه المكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف من سيئون إلى بور للسيد العلامة علي بن عبد القادر بن سالم العيدروس تاريخها ٥ جماد الأولى ١٣٥٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلِ الحمدُ لله وَسَلامٌ على عِبَاده الَّذِينَ اصْطَفَى) وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الحبيب المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل الصدق والصفا والوفا، ونتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ونسأله أن يمن بالحفظ واللطف والعافية التامة والشفاء لنا ولأخينا في الله الحبيب الكريم، ذي القدر العظيم، الطامع في مقام وورائة أسلافه الكرام، العلي القدر والنسب، ذي الشرف والحسب، علي ابن الوالد عبد القادر بن سالم العيدروس، حفظه الله وحماه من كل شر وبوس وأولاده واللائذين بنا وبه أجمعين آمين. السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من سيؤن للسؤال عن الجناب الكريم، نرجو الله أنكم وأولادكم بعافية، ورجعتم من تريم وزيارة السلف الصالحين، وحصلت معكم العافية إن شاء الله بحق أهل الله زال البأس، ونحن لنا مدة ثمانية أيام في البيت من أثر العيون، ونسأل الله اللطف والعافية لنا ولكم، ولنا مده نتذكر الخروج إليكم، لعل الله يقدر ذلك قريب بعد العافية، والدعاء لكم مبذول ومنكم مسؤول، والولد عبد القادر ابنكم جاء الدار عندنا يوم الحول وسألناه عنكم، وأخبار تريم وآل بن علوي لا تتشوش عليكم، والله يصلح الجميع، والسَّلام منا ومن الأولاد عليكم وعلى الأولاد. ونرجو الولد سالم بعافية. « من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف حرر ٥ جماد الأولى ١٣٥٤هـ »

لهذه مكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن إلى الصولو للسيد محسن بن علوي بن محسن ابن علوي السقاف، تاريخها ٤ شوال ١٣٥٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كافي من توكل عليه، ومُعين من استند إليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الشفيع المقبول لديه، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه، ونسأل الله تعالى أن يجعل في خاصتهم ويحمي بحمايتهم أخينا وولدنا المبارك الفاضل المحبوب، الفائز إن شاء الله بالمطلوب، محسن بن علوي ابن الحبيب العارف بالله محسن بن علوي بن سقاف السقاف، بلّغنا الله وإياه وأولادنا وأولاده وكافة الإخوان مراتب الأسلاف، وغمرنا بخفي الألطاف، وآمننا وإياكم مما نخاف آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من سيؤن، للسؤال عن الجناب الكريم، والتهنئة بالعيد العظيم، والترحيب والتأهيل بقدوم الولد المبارك عبد الله بن محسن، وصل إلينا في خواتيم شهر الأنوار، وأدرك له ولكم النصيب الوافر من قبول الدعوات والأسرار، فهنيئاً لكم وله وللأخ الفاضل عيدروس بن علوي الذي فرح به وقابله بالإكرام والأنس التام، وجزاه الله خير الجزاء، وجمع الشمل بكم وبأولاده عبد الله وأحمد، وقضى حاجات الجميع، وردهم إلى الأوطان، وعمر بهم وبسائر الإخوان منازل السلف الحسية والمعنوية وبلّغنا وإياكم وإياهم كل أُمنية، بجاه خير البرية، صلى الله وسلم عليه بكرةً وعشية

وهذا جعلناه تهنئة وإعلام بقدوم الولد عبدالله قُرّة العين، وإن شاء الله ربّنا يُكمل النِّعمه ويُتمها على الجميع بخروجكم وبقيّة الإخوان آل الصّولو وآل سورابايا وغيرها من البلدان «حَسْبِي وفي تعدادهم لم أطمع» وحسبما يخبركم عيدروس كفاية، والدّعاء لكم مبذول ومنكم ومن سائر الإخوان مسؤل والسَّلام عليكم وعليهم وعلى أولادكم وأولادهم وعلى من حضر مقامكم من الحبائب والمحبين مِنّا ومِن الأولاد.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبدالرحمٰن بن علي السقَّاف

حرّر ٤ شوال ١٣٥٥هـ.

هذه المكاتبة من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى الشيخ أبي بكر بن محمد بن عوض بافضل أرسلها إلى تريم، وذلك بتاريخ ٢٤ رمضان ١٣٥٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف بعباده الحليم الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي القدر العظيم، الواسطة العظمى والوسيلة في نيل كل مقام كريم، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه، المقتفين آثاره في طلب مرضاة الله، الموفقين إن شاء الله لطاعة الله، وأسأل الله أن يجعلني وأخي في الله، المحبوب الشيخ الفاضل الموهوب، وبعناية الله مصحوب، أبي بكر ابن الشيخ محمد بن عوض بافضل، تفضل الله علينا وعليه بالألطاف الحسية والمعنوية والإمدادات الجسمية والقلبية وأكمل لنا وله العطية، وأصلح لنا وله الذرية، بجاه خير البرية صلى الله عليه وسلم، وإخواننا والمسلمين... آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من سيؤن، لطلب الدعاء وهو لكم مبذول بحصول المسئول، إدعو لنا في خواتم هذا الشهر، ونرجو أنكم والأولاد والإخوان والأخ أبو بكر بن علي وكافة الحبايب والمحبين في لطف وعافية وإن شاء الله تزول الأذيات، ويحصل لنا ولكم الشفاء التام من جميع الأمراض والأسقام. ولنا مدة في البيت، والحمد لله على ما لطف، وهذه الأيام نخرج لصلاة العشاء والفجر، وما صدرتموه لنا الهدية طريق المحب محمد بن هادي

جوّاس وصلت واستلمناها، أوصلكم الله بما تحبّون من خيرات الدُّنيا والآخرة، وبارك لنا ولكم في السّعي والعمل الصّالح، وتقبّل منكم نياتكم وأعمالكم لازلتم أهلاً لفعل المعروف الجميل، موفقين لكل خير ظاهر وباطن. نسأل الله أن يُديم عليكم وعلينا عافيته وستره ولُطفه في الدُّنيا والآخرة آمين. وأنتم حاضرون عندنا، ونرجو أن نكون نحن مذكورون عندكم، والدُّعَاء لكم مبذول ومنكم مسئول وسلّموا لنا على من شئتم خصوصًا الأولاد علي وأحمد والإخوان محمّد بن عوض والأخ أبو بكر بن علي منَّا ومن الأولاد.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرّر في ٢٤ رمضان ١٣٥٥هـ.

وهذه المكاتبة أيضاً من الحبيب أحمد بن عبد الرحمن للشيخ أبي بكر بن محمد بن عوض بافضل، تاريخها ١٥ الحجة سنة ١٣٥٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمدٍ صلاة تشفينا وإخواننا بها من جميع الأمراض والأسقام، وعلى آله وصحبه السادة الكرام الأعلام، وعلى محبيهم وتابعيهم وسالكي سبيلهم في كل إقدام وإحجام، كمثل أخينا ولينا ومحبوبنا في الله الراغب فيما يقربه إلى مولاه، الشيخ المكرم الفاضل، أبي بكر بن محمد بن فضل بافضل، حفظه الله وتفضّل عليه بكل خير في دنياه وأخراه وألبسه لباس التقوى والعافية الظاهرة والخافيه، وأتم عليه نعمته وستره وصحته، وأولاده وإيانا وأولادنا أجمعين اللهم آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكتابكم الكريم المبشّر بالعافية والهناء بالعيد السعيد أعادها الله علينا وعليكم وعلى من تحبون في عافية ومزيد وصل والحمد لله على جميع نعمه، ونسأله التوفيق لشكره بالقلب واللسان والأركان حتى يزيد من كل خير في السر والإعلان. ونرجو أنكم وكافة الحبايب خصوصاً أبو بكر بن علي والإخوان بعافية، كما أنا بأتمها، والمذكرات لنا ولكم من النعم

المعنويّة، جعلنا الله وإيّاكم ممن يعرف حقّ النِّعم.

وهذا بقصد التهنئة بالعيد، والدُّعاء لكم مبذول ومنكم مسئول واسألوه لنا ممن تتوسّمون فيه الخير، والسّلام عليكم وعلى الأولاد علي وأحمد كما هو مِنَّا ومن الأولاد محمّد وعبد القادر، وسلموا عَلى الأخ أبو بكر بن علي وأولاده والأخ محمّد بن عوض وأولاده وإخوانكم والحبايب والمشايخ منا ومن الأولاد محمّد وعبد القادر ويطلبون منكم الدُّعاء.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن بن عَلي السقّاف

حرر ١٥ الحجة سنة ١٣٥٥هـ.

هذه المكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى سنغافورة للسيد الفاضل عبد الرحمن بن جنيد بن عمر بن علي الجنيد، تاريخها ٧ رمضان ١٣٥٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الجواد، المتفضل على من يشاء من خواص العباد، بالعطاء المبذول في شهر الرحمة والفضل والجود والإمداد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد شفيع العباد، وآله وصحبه الفائزين والسابقين إلى منهج الرشاد، وعلى أخينا المخصوص بما أكرمه الله من المحبة لخواص العباد، المحبوب لديهم والموهوب إن شاء الله بما أمّله وأراد، عبد الرحمن ابن الوالد المرحوم برحمة الحي القيوم الجنيد بن عمر الجنيد، أكرمه الله بكل فضل وخير، وجعله من أهل السير، إلى الرحيم الرحمن الحليم المنان، وبارك له فيما أعطاه وأصلح أمر دينه ودنياه وأخراه.. آمين وإيانا آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت من سيؤن، والدعاء لكم مبذول ومنكم مسئول، خصوصاً في شهر القبول، وما تفضلتم به من البنكس طريق الولد أحمد بن عمر الجنيد وصل، وتقبل الله منكم، وضاعف لكم الأجر، وزادكم من كل خير، ونرجو أنكم وكافة الإخوان والأولاد والأحفاد بعافية ظاهرة وخافية. نسأل الله لكم دوامها وتمامها (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) وكم من نعمة لله على عبد شاكر، ونحن والأولاد ودائرة آل الجنيد وكافة الحبائب

بسيؤن وتريم وغيرهم بعافية، حامدون لله وشاكرون له ما استطعنا ومقرّون بالتّقصير عن حمده وشكره والقيام بعُشر حقّه.

وقد زُرنا نبي الله هود عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسّلام واستحضرناكم إن شاء الله في تلك المواطن والمشاهد بالخصوص وبالعموم وهذا بعجل، ولا نزال ندعو لكم ونذكركم، واذكرونا أنتم، وسلموا لنا على أخينا العارف بالله علي بن عبد الرّحمن الحبشي وعلى الولد الفاضل عبد الرّحمن بن عمر الجنيد والولد محمّد بن عبد الرّحمن الجنيد وكافّة من لاذ بمقامكم منّا ومن الأولاد محمّد وعبد القادر.

من الفقير إلى الله / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقّاف

حرر ٧ رمضان سنة ١٣٥٦هـ.

وهذه المكاتبة أرسلها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن إلى تريم للشيخ الفاضل أبي بكر بن محمد ابن عوض بافضل، وذلك بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٥٦ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (وعنت الوجوه للحي القيوم) (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم) (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وإليه ترجعون) (ويشف صدور قومٍ مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور) (وإذا مرضت فهو يشفين) (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

الحمد لله شافي القلوب والرؤوس، ومفرج الكروب ومزيل البوس، المعنوي والمحسوس، وهو الملك الرحيم القدوس. وصلى الله على سيدنا محمد الشفيع في إذهاب كل ألم معنوي ومحسوس، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه وسلم تسليماً كثيراً.

وأسأل الله وأتوجه إليه بسر الذات والأسماء والصفات، أن يمن ويعجل بالشفاء، وإذهاب الألم والتعب والعناء، للشيخ المكرم الأجل الفاضل سلالة الأفاضل، المحب المحبوب، الفائز إن شاء الله بالمطلوب، أبي بكر

ابن محمّد بن فضل بافضل، بسر الشّيخ سالم بن أبي فضل يتولّاه الله ويرعاه، ويزيل ألمه وماعناه، ويكتبه في ديوان المحبوبين الرّاضين عن الله، بجاه رسول الله، وإيّانا وأولاده وأحفاده.. آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصل كتابكم، وفهمنا خطابكم وما أرسلتوه لنا وللأولاد وصل، أوصلكم الله بكل خير، ودفع عنكم كل بلاء وفتنة وبؤس وضير، ونرجو أنكم والأولاد بعافية وسكون وجع وزوال الألم، وذهاب الغم والهم، ونحن والأولاد بعافية. نطلب منكم الدّعاء، كما إنّا لكم باذلون وبكم متعلّقون وبسيد الرّسل مستشفعون.

وهذا صحبة الشيخ سالم بن سعيد الزّبيدي، الواصل إلينا بالكتاب وإن شاء الله تصل نحن منكم الأخبار المُسرّه بالشّفاء والعافية الظّاهرة والخافية، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العظيم العزيز الحكيم. وسلّموا على الأولاد علي وأحمد ومن شئتم من الإخوان والشيخ محمّد بن عوض، وعسى شي خطوط من الأخ أبوبكر بن علي تعلن بخروجه وصلاح حاله بحق ماينزل في هذا الشهر وفي ليلة القدر.

من الفقير / أحمد بن عبد الرّحمن بن علي السّقّاف

حرّر ١١ رمضان سنة ١٣٥٦هـ.

هذه المكاتبة بعثها الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف إلى تريم للحبيب عبد الباري ابن شيخ بن عيدروس العيدروس، بتاريخ ١٧ ظفر ١٣٥٦ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) (وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) اللهمّ صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآل كلٍّ وصحبه والتابعين وآل بيت رسول الله وخلاصتهم السادة العلويين، وأكرم بيت فيهم العيدروسيين، أهل علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين، واحفظ اللهمّ بجاههم خليفتهم وإمامهم ومقدّمهم، حبيبنا وسيّدنا الوارث لهم الإمام الكامل، المحقّق والمتخلّق بالفضائل والفواضل، ذي السر السّاري، الحبيب عبد الباري ابن الوالد العارف بالله المحبوب الموهوب شيخ ابن الحبيب العارف عيدروس العيدروس، حفظه الله وأمدّنا والإخوان والأولاد والمؤمنين ببركاته، وتقبّل صالح دعواته، وأطال في حياته.. آمين.

السّلام التّام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدّوام، وعلى أهل ذلك المقام، صدرت من سيؤن، والحمد لله على حصول العافية لكم، السّاري

مددها منكم في الجميع، بجاه سيّدنا محمّد الشّفيع، وأهل المقام الرّفيع، لم نزل نسأل الواصلين منكم، المبلّغين لنا سلامكم ودعاكم الصّالح، ونزداد فرح بأخبار العافية وخروجكم إلى مدرس القبه ومدرس الخميس بمسجد باعلوي، الحمد لله على جميع نعم الله الخاصّة والعامّة. ونسأله التّوفيق للشّكر على تلك النّعم الموجب للمزيد من فضل الله الحميد، ونحن بعافية وأولادنا كذلك، نعم بنت لنا توفّت، ادعوا لها بالرّحمة والمغفرة، وكذلك سائر الإخوان أولاد الوالد شيخ بن محمّد وعبد القادر بن حسين وسائر المتعلّقين بكم يسألون عليكم ويطلبون الدّعاء منكم، وأنتم لنا ولهم ذاكرون وداعون ومُدركون ومعتنون، استجاب الله دعاءكم، وبلّغكم مُناكم، ولنا شوق وقصد للزّيارة إن شاء الله في الشّهر الآتي، يمن الله علينا بها في عافية لنا ولكم ظاهرة وخافية، وأنتم لكم مدة من الحركة إلى سيؤن وما والاها، عسى الله يمن بوصولكم، وتسقون جدوبكم وجروبكم، والسّلام عليكم وعلى الأولاد محمّد وأحمد والإخوان مصطفى وعبد الله ومن حضر مقامكم من الحبائب الأخ علوي بن عبد الله بن شهاب وعبد الله بن عمر الشّاطري وعبد الرّحمن ابن حامد إمام مسجد باعلوي ومن شئتم من الحبائب والشّيخ عبد الله بافنع ونُعَظِّم لكم الأجر في الشيخ أبي بكر الخطيب رحمه الله وأخلفه علينا وعلى المسلمين بالخلف الصّالح آمين، ويسلّون عليكم الأولاد، ونطلب لنا ولهم الدعاء والإمداد.

طالب الدعاء / أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف حرر ١٧ ظفر ١٣٥٦ هـ.

القِسم الثَّالِث

المحتويات:

مُقتطفاتٌ من أربع كتب وهي:

١. مِنْحة الإله في الاتصال ببعض أولياه للحبيب سالم بن حفيظ ابن عبدالله.
٢. نفح الطّيب العاطري في مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشّاطري للحبيب محمّد بن سالم بن حفيظ.
٣. النّفحة الشذيّة إلى الدّيار الحضرميّة للحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط.
٤. مجموع كلام الحبيب علي بن محمّد الحبشي.

هذه مقتطفات من كتاب:

مِنحة الإله في الإتصال ببعضِ أولياه

لسيّدي الإمام الحبيب سالم بن حفيظ بن عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم

قال رضي الله عنه ما مثاله: - الشيخ الرابع عشر: الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف رضي الله عنه.

هو الإمام العلامة الحبر الفهّامة الزاهد المتواضع، السالك على منهج أسلافه الكرام، الوارث لأحوالهم والمتمسك من عرى التقوى بالعروة الوثقى التي ليس لها انفصام، والداعي إلى سبيل الله بالحال والمقال، مؤلف كتاب الأمالي: تراجم لبعض مشائخه الأجلاء الأعلام، رضي الله عن الجميع آمين.

اتّصلتُ بهذا الحبيب وعرفته، وأكثرت القراءة عليه بمدينة سيؤن، واستفدت منه فوائد ثمينة، فقرأت عليه في شرح ابن قاسم على أبي شجاع، وفتح المُعين ومنهاج الطالبين في الفقه، وحفظت عنده متن الآجرومية وقرأتها عليه وذلك في مسجد الرياض بسيؤن بعد صلاة الفجر في ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٩هـ.

وأجازنا رضي الله عنه بحضور الجمع الكثير في الأحزاب والأوراد ونَشْر العلم وألبسنا، كما أجازه وألبسه مشائخه الأعلام، وذلك بشعب نبي الله هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وفي اليوم الثاني حَصَل لنا منه التلقين لذكر التوحيد في زيارة آل الشيخ أبي بكر ابن سالم تحت الحصاة المعروفة بالناقة ، ثم إنه ذكّر الحاضرين مذاكرة وجلت منها القلوب وذَرَفت منها العيون.

وفي فاتحة ربيع أول سنة ١٣٥٣هـ أجازنا رضي الله عنه بتريم في الإتيان بقول: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، كل يوم أربعمائة وخمسين مرة بعدد حروفها بالجُمَّل كما أجازه شيخه العارف بالله علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه عن السيد محمد بن عبد الباري الأهدل نفعنا الله بهم.

وأجازنا أيضاً في قول «يا لطيف» كل يوم ١٢٩ مائة وتسعاً وعشرين مرة ثم: يا لطيف الطف بي في تيسير كل عسير فتيسير العسير عليك يسير، وأسألك اللطف والعافية في الدين والدنيا والآخرة «أربع مرات» كما أجازه مشائخه رضي الله عنهم.

ومما سمعته منه رضي الله عنه لما أتى إلى مِشْطَة أوائل ربيع الثاني سنة ١٣٤٤هـ وجماعته معه، منهم الأخ حسين بن عبد الله الحبشي رضي الله عنه والشيخ محمد عوض بافضل رضي الله عنه وغيرهم، قاصدين زيارة سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم رضي الله عنه، قوله في سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر رضي الله عنه، عند ذكر همّته العليّة قال: جاء إليه ذات يوم السيد عمر بن محمد بن سميط رضي الله عنه من شبام، وهو سيد داعي إلى الله بقوله وفعله كعادة سلفه وأهله، ولحقه دين نحو ستمائة ريال، وعزم على السفر وجاء إلى

المسيلة يستودع من الحبيب عبدالله بن حسين رضي الله عنه ويستشيره في ذلك، وأخبره بما لحقه من الدين الذي كان هو الحامل له على السفر، فقال له الحبيب عبدالله: ما يصلح لمثلك أن يسافر من بلده، وإنما الآن أقم عندنا حتى ننظر في أمرك، ثم التمس الحبيب من ابنه علوي مائة ريال، وقال له نريدها لعمر بن محمد، وأخبره بأوصافه الحميدة وخصاله العجيبة، قال الحبيب علوي: أنا ما أعتقد فيه شيئاً، فقال له: با يسافر وهو ما يستاهل السفر، قال: أنا قد سافرت قبله، ثم قال لوالده: نعم إن أردتها لحالك لا بأس، قال له: هاتها وأعطى الحبيب عمر، ثم قال لولده علوي: وأعطه مائة أخرى مما هو خاص بي من ربح الشركة الواقعة بيني وبينك، وقال لشخص آخر: اذهب لعبدالله بن عمر بن يحيى رضي الله عنه وقل له: يقول خالك هات مائة ريال فأعطاها الرسول، فدفع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر الثلاثمائة ريال المذكورة إلى السيد عمر بن محمد، وكتب تحويل إلى الشحر على السيد حسين بن سهل رضي الله عنه في مبلغ ثلاثمائة ريال أخرى تمام ما عليه من الدين، فدفعه إليه وطلع الشحر، فلما وصل بالتحويل على السيد حسين بن سهل فرح به كثيراً، وأقام عنده ما شاء الله تعالى، فلما عزم على الرجوع أعطاه ما حوّل به الحبيب عبدالله مع الجائزة والصلة الوافرة وعاد إلى شبام.

ومما حكى أيضاً رضي الله عنه: أن الحبيب علوي بن عبدالله بن حسين ابن طاهر رضي الله عنه أراد أن يستأجر من ينسخ كتاب مختصر مجمع الأحباب

لجدّه الحبيب محمد بن هاشم باعلوي رضي الله عنه، فاستشار والده في ذلك فقال له: ونِعمَ الرأي هو، وسنأتي لك بالناسخ، فأتى له بالحبيب عبدالله بن علي بن شهاب من تريم إلى المسيلة، فلما حضر قال لولده علوي: هيّاهذا الرجال الذي باينسخ لك النسخة، قال الحبيب علوي: وكم الأجرة. قال الحبيب عبدالله: اجعلوا أمرها لي، قال: لابأس لابأس يا أبي، إنما ارفق بي، فلما تمموا[1] قال الحبيب عبدالله لولده علوي: انفق أوّلاً على أهل دائرته مدّة النساخة وعلى التمام والكمال نخبرك بالأجرة إن شاء الله، فلم يسعه إلاّ الإمتثال لأمر والده. اهـ

1. تمموا أي اتفقوا

ويليه مقتطفات من كتاب

نفح الطيب العاطري

في

مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري

للسيد العلامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ

قال رضي الله عنه عند ذكر بعض المعاصرين للحبيب عبدالله بن عمر الشاطري ما مثاله: ومنهم الإمام المتسع في العلوم الظاهرة والباطنة، والمعدود من أكابر العارفين المتواضعين الزاهدين، الحائزين لأسرار أسلافهم الصالحين، الذي يقول في جنابه سيدنا أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه ما مثاله: إني جربته وخبرته فلم أجد ما يُنْتقد عليه فيه حتى مَنْقَط الشوكة، وأعظم بها من شهادة من عارف بالله لعارف بالله، وقد قيل في المثل: «لا يعرف الجوهر غير الجوهري» وأعني به شهاب الدين الحبيب أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف رضي الله عنه، المتوفى ببلد سيؤن في ٤ محرم سنة ١٣٥٧.

وقد كان سيدنا رضي الله عنه يَعُدّه من مشائخه ويبتهج به ويمدحه ويُثني عليه، ويطلب منه إذا وَرَد تريم زائرًا أن يجيء إلى الرباط ليتبرك الطلبة بالمثول بين يديه، ولينظر هو إليهم ويُرشدهم ويحدوهم إلى ما فيه نجاحهم.

وكان الحبيب أحمد يُعَظِّم سيدنا عَبدالله بن عمر ويُشير إليه بأنّه عالم تريم، وكان يحضر إذا كان بتريم درسه العام بالرّباط يومي السبت والأربعاء ويلتمس منه شيخنا أن يتكلم ويعِظ الحاضرين، فيوافقه في أكثر الأحيان، فكانا في أكثر مجالسهما يتذاكران سِيَرَ السَّلف الصّالحين وما درجوا عليه.

وفي بعض الجلسَات يطلب كل من الآخر إجازة الحاضرين وتلقينهم فيُسعف كل منهما بما رجَاه الآخر منه.

وكان سيدنا عبدالله يأمرنا بإثبات ما نسمعه مما يتكلم به الحبيب أحمد من النصائح الثمينة، فوفَّقني اللهَ لكتابة ما وعَظ به في مجلسين أو ثلاثة مجالس فقط، وقد أحببت إيراده هنا لئلا تأخذه يد الإهمال وحرصاً على إكمال الفائدة.

فمن كلام سيدنا أحمد رضي اللهَ عنه في الرّوحة الواقعة عشية الجمعة في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٥١، قال نفعنا اللهَ به آمين:-

العلوم كثيرة وهي للإنسان بمنزلة القُوت، بعضه يحتاج إليه على الدَّوام وبعضه يحتاج إليه عند الحاجة إليه، فعِلم الفقه مثل الرز والبُر وغيرهما مما به قوَام البدن، وعلم النحو مثل الإدام، وعلم الأدب مثل الفواكه، وأما علوم الحديث والتفسير فهي كما السواقي والمضالع يحتاج إليها في الإستدلال والتَّعليل إلى آخر ما تكلَّم به

ومن كلامه في رباط تريم في مدْرَس السبت الموافق ٨ محرم الحرام سنة

١٣٥١ هـ، بعد أن قرأ القارئ في مجمع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر رضي الله عنه، قال رضي الله عنه: من له رغبة في الخير فليستمع إلى ما قاله العلماء العارفون الصادقون المخلصون، ولا ناصح أعظم من النبي سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، ولا مؤدي للنصيحة مثل العلماء بالله النّاصحون لهذه الأمَّة.

فيجب علينا أن نتلقى نصيحتهم بالقبول والعمل بموجبها، فهُم نواب سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، فمن اتبعهم فقد سَعِد ونجا ومن خالفهم شَقِي وخَسِر، فجزاهم الله عنّا وعن هذه الأمة خير الجزاء، بيّنوا لنا طريق الخير وطريق الشر، وطريق الحلال وطريق الحرام، فمن سَلَك السبيل السوية ربح في الدّارين، ومن حادَ عنها يا ويله.

ثم قال: الله يجعلنا وإياكم من المُقبلين، وآه هو الإقبال؟ الإقبال هو اتباع النبي سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم (مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ) ومن لَهُ نصيب وافر وحَظْ كامل أدرك شي كثير من رضا الله عز وجل، وأقرب الناس إلى الله وأسعدهم أتقاهم لله، وأبعدهم بضد ذلك، ونحن بغينا من أيِّ الفريقين؟ من الّذين مدحهم المولى في كلامه القديم الأزلي؟ الّذي هو قبل خلق السّموات والأرض أو من الّذين ذمَّهم وسَخِط عليهم وحذّر منهم في القرآن

ثم حثَّ رضي الله عنه على العمل بما يُرضي الله عز وجل، ثم قال رضي

اللَه عنه: ولاسبيل الى ذلك إلاّ بإتباع النبي سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والأخذ بقوله عليه الصَلاة والسَلام: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

أما رأس المال وهو أصل الإيمان ومحبة النّبي سيّدنا محمّد صلّى اللّه عليه وسلم إن شاء اللَه محفوظ، ولكن بعض الأشياء الّتي لاتليق منّا ولاتصلح هيَ الّتي جعَلت الرّان علىٰ قلوبنا، قال اللَه تعالى: (كلّاَ بلْ رَانَ علىٰ قلوبِهِم مَاكانُوا يَكسِبُونَ كَلّاَ إنَهُمْ عَن ربّهِم يَومئذٍ لمحجُوبُونَ) قال الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي اللَه عنه: الرّان هو الكفر، بدليل قوله: (لمحجُوبُونَ) ولا محجوب إلاّ الكافر.

ثم قال: ونحن يا أمة سيّدنا محمّد صلى اللّه عليه وسلم على خير كبير، إذا فعل العبد معصية يُمْهَل العبد سِت ساعات بأمر مَلَك اليمين لملك الشمال، فإذا لم يَتُب كُتِبَت عليه سيئة واحدة ببركة الحبيب سيّدنا محمّد صلى اللّه عليه وسلم، وفي القرآن كثير آيات (مَن جَاءَ بِالحسَنة فَلهُ عَشْرُ أمثَالها ومَن جَاء بِالسيّئَة فَلايُجزى إلاّ مِثْلَها) ولكن احرصوا على اتباعه صلى اللّه عليه وسلم واتباع الذين:-

ثَبَتُوا علىٰ قدم الرّسُول وصحبِه ... والتّابِعين لهم فسَلْ وتَتَبّعِ

وَمَضوا عَلى قصد السَّبيل إلى العُلا قَدماً على قدمٍ بجدٍّ أوْزَع

ومن هم هؤلاء؟ هم سلفنا الصالحون السابقون، مثل الفقيه وغيره من السادة والمشايخ رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ثم قال: ونحن همّنا الفاني، وأسبابه كما ذكر الحبيب عبدالله بن حسين ابن طاهر في قوله:

واعلم هداك الله أنّ أربعْ خصالٌ فيها الشر قد تجمّعْ

إلى أن قال:

أوّلهن الجهل لا تُريده ولا تُجالس مَنْ هُم عبيده

ثم قال:

والثانيه ضَعفُ اليقين في الدّين فإنّ هذا بُغْيَة الشّياطين

والثالثة طول الأمل ونسيان الموت ذي يسقاه كل انسان

والرابعة أكل الشُّبَه وأموال حرام سُحت كيف حال ذي الحال

... إلى آخرها. وشَرْحُ ذلك يطول والعلماء بالله بيّنوها وفصّلوها، ولكن الله يجعلنا وإياكم ممن سَمِع فوعَى وهُدِيَ فاهتدى.

ثم قال نفعنا الله به: أسلافنا المتقدمون ورّثوا لنا العلوم وشرحوها لنا، وأكرمنا الله بالفهم، مهّدوا لنا طريق الجنّة، وحثّوا وحرّضوا، وما بقي منّا إلاّ الإقبال والمساعدة (مَنْ عَمِلَ صالحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَن أساءَ فَعَلَيها) هذه الدنيا دار عمل، ودار الثواب والعقاب هي الدار الآخرة، الرجاء في الله وفي أهل

اللهَ جميل .

ثم قال نفعنا اللهَ به : والعلم العلم، الشأن كله في تعظيم العلم: « ولَفَقِيه واحد أشد على الشَّيطان من ألف عابد ، ومن يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين » ومفهومه أن من لم يُرِدِ اللهَ به خيرًا لم يُفَقِّهه في الدِّين، وعِلم أهل البيت قَلِيلُه كثير جم:

بيت النبوة والفتوة والهُدى   والعلم في الماضي وفي المتوقَّع

لآه ما نتحقق بها، وهذه بشارة من سيدنا الحداد رضي اللهَ عنه قوله: «والعلم في الماضي » يعني فيمن مضوا و « في المتوقع » في الذين يأتون من بَعْد «بيت الإمامة والزّعامة والشّهامة » إلى آخر البيت .

اللهَ يزيدهم ويرفع قدرهم، ويكونون قرة عين لنبيهم صلى اللهَ عليه وسلم وأسلافهم ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ .

ثم قال بعد أن أثنى على أهل البيت : وهذه خصوصية لهم ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ما هو رحمة المطر فقط بل والرحمة الباطنة، أي يختص بها من يشاء إلى آخر ما تكلم به أو ما هذا معناه واستغفر اللهَ .

ومن كلامه نفعنا اللهَ به يوم السبت في ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ بمدرس الرباط أيضًا ، بعد أن التمس منه شيخنا الحبيب عبد اللهَ ذلك ، قال رضي اللهَ عنه : وَرَدَ عن النبي سيّدنا محمّد صلى اللهَ عليه وسلم أنه قال: « حضور مجلس علم يُكَفِّر سبعين مجلسًا من مجالس اللّهو ومعنى مجالس اللهو مجالس

الغفلة، ماهي مجالس الغيبة والنميمة، وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا، قيل: وما رياض الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: حلق الذِكر» الحمد لله إذ وفقكم لهذه الخصال الكريمة.

جزى الله السلف خير ألفوا، وجزى الله الخلف خير جمعوها وبيّنوها، قربنا ودرينا وعقلنا، ولكن وين العمل؟ وين النتيجه؟ قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) ما خلق الله الخلق إلّا ليعرفوا بالعلم أنه هو الإله الواحد، وفرض علينا تَعَلُّم شرائع الإسلام، ومعرفة صحيح المعاملة من فاسدها لتعريف الحلال والحرام، وجعل مآل من عرف ذلك وعمل به الخلود في دار السَّلام، وجعل مصير من خالفه وعصاه دار الانتقام، ومن هو المخالف؟ المخالف يُقام المجلس أو الدّرس ولا يحضره الإنسان وهو ما معه شُغل، هذا هو المخالف.

ما خَلَقَ اللهَ الخلق إلّا للعلم والعبادة (إنّ في خَلْقِ السَّمٰوات والأرض) إلى قوله: (لآياتٍ لِقَوْمٍ يعقِلُون) (لآياتٍ لِقَوْمٍ يسْمَعُون) (لآياتٍ لِقَوْمٍ يتفكّرون) (لآية لِقَوْمٍ يعلمون) (لآية لِقَوْمٍ يذّكّرون) وفي بعض الآثار «ابن آدم خَلَقْتُ الخلق من أجلك وخَلَقْتُك من أجلي» أي لتعبدني.

استمعوا، قال الله تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) ومقابل هذه الآية (أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي

النار) إنّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلخَلقَ ليربحُوا عليه لا ليربح عليهم، وورد في الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه أنه قال: «من تقرّب إليّ شِبرًا تقربت إليه ذِراعاً، ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولة، ولا يزال العبد يتقرّبُ إليَّ بالنّوافل حتى أُحِبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطِينّه، ولئن استعاذَني لأعيذنّه» ولا يتقرّب بالنوافل حتى يؤدي الفرائض التي أوجبها اللهَ عليه.

خَلَقَ اللهَ الخلق لعبادته وليربحوا عليه، لآه ما نسمع كلامه ونمتثل أوامره ونجتنب نواهيه وزواجره، ارجعوا إلى اللهَ وسارعوا إليه، قال اللهُ تعالى (وَمَا أتاكُمُ الرَّسُول فخُذُوهُ وَمَا نهاكُمْ عَنه فانتهوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إنَّ اللهَ شَدِيد العِقَاب) وقال صلى اللهَ عليه وآله وصحبه وسلم: إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمرٍ فاجتنبوه كله .

ثم قال: ما سَبَبُ منع القطرِ وغلاء الأسعار وجور الولاة إلّا بسبب المعاصي والمخالفات، وإلّا فرحمته وسِعَت كلّ شيءٍ (وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهَ عَلَيكم وَرَحْمَته مَا زَكَى مِنكُمْ مِن أحدٍ أبدًا) لكن بغينا إقبال على اللهَ (قُلْ إنْ كُنتُم تحبُّونَ اللهَ فَاتبعُونِي يُحبِبْكُمُ اللهَ) علامة المحبّة الاتباع والاستماع، فإذا سَمِعت واتَّبعت يا بختك وإن خالفت يا ويلك.

اللهُمَّ يا مَنْ وفّقَ أهلَ الخير للخير وأعانهم عليه وفّقنا للخير وأعِنّا عليه

واملأ قلوبنا بمحبة الله ومحبة أهل الله:

هداةُ الورى طوبى لعبد رآهمُ وجا السهم لو مرةً منه في العُمرِ

الله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ) إذا فذا النبي صلى الله عليه وسلم كيف الآن المخالف والعاصي، ونحن لا نبعد؟ ولكن الغفله وطول الأمل أعمى البصائر عن رؤية الحق الظاهر أو كما قال، واستغفر الله.

انتهى ما قدّر الله لي تقييده من كلام سيدي الحبيب أحمد بن عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وهذه مقتطفات من كتاب

النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية

للحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط رحمه الله

قال رضي الله عنه عند ذِكر من اجتمع بهم في شبام أثناء رحلته من العلماء والفُضلاء وأمثاله: وممن اجتمعت بهم السيد العالم العامل، الذي ثبَتَ على كمال المتابعة قدَمُه، وارتفع بين العلماء المحققين عَلَمُه، العارف بالله والدال عليه، الحبيب أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف، وشرّفني غير مرة بوصوله إلى منزلي، وفيه أجازني في هذا الدعاء كما أجازه العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي وهو: «اللهمّ إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيّك محمّد صلى الله عليه وسلم، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيّك محمّد صلى الله عليه وسلم، يا حي يا قيوم بِكَ أستغيث ومن عذابك أستجير، أصلح لي شأني كلَّه ولا تَكِلني إلى نفسي طرفة عين، اللهمّ إني ظلَمْتُ نفسي ظُلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»

وفي أثناء الحديث معه بمنزل السيد عمر بن عبد الله بن سميط جرى ذِكر الحضور، فقال - أي الحبيب أحمد -: سُئل الحبيب علي بن محمّد الحبشي عن

السبب في كون الإنسان إذا حضر في مجالس الأكابر من العارفين يحصُل له حضور وتزول عن قلبه الوساوس، عكس حاله في الصلاة وهو في حضرة الله. فقال: لأن في مجالس العارفين يكون التَّعرف من الله إلى الإنسان وفي الصَّلاة يكون التَّعرف من الإنسان إلى الله، وفرق بين التَّعرف إذا كان من تحت وبين ما إذا كان من فوق.

وبعد تمام حديثه أنشد المُنشد بقصيدة حُمَيْنِيَّة للعارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي مطلعها: «الحبشي اليوم غنَّى»، فسألت الحبيب أحمد عن بعض إشارات فيها، من ذلك قوله: «كاف حالي ونونا» من قوله

يا اهل الدَّرك عاونونا　　في كاف حالي ونونا

فقال: يُشير بذلك إلى أنه أُعطِيَ التصريف ويطلب من أهله الإعانة على ذلك. ومنها قوله «السِّر من سِر سِينه» من قوله:

سقَّافنا مُجْلِي الهمّْ　　نوره لذا الكَون قد عَمّْ

السِّر من سِر سِينه

فقال: يُشير بذلك أنه سَقَّفَ بحاله على جميع الأولياء، فهم جميعًا يستمدون منه. ومنها قوله «مِقيَاس عَرضي وطُولي» من قوله:

العَدني البَحر سولي　　مقياس عرضي وطولي

فقال: يُشير إلى أنه وارث حال العدني. ومنها قوله: كاف شِينَه من قوله

أولاده الكُل منهم　　بو بكر مقوي رسَنْهُم

« سَكْران من كَاف شِينه »

فقال: أي أنه سكران من كأس شراب المحبة. وفي أثناء الحديث معه بمنزل صديقنا الشيخ عبدالله بن عمر باجرش، دخل علينا السيّد العارف بالله الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور وقد انتهى الحديث بنا إلى ذِكر العلماء بالله وانتفاع الخلق بهم، ولما أجرينا الحديث بحضرة الحبيب علوي قال موجهاً خطابه إلى الفقير: وأنتم النظر إلى هذا الحبيب يَكفيكُم، وأشار إلى الحبيب أحمد، فقال الحبيب أحمد: استغفر الله لا تقولوا هكذا، فسألت الحبيب علوي: أيَكْفي النظر الصُّوري وحده؟ فقال: يكفي ولو مرّة، وتمثّل بقول سيدنا الحداد:

هداةُ الورىٰ طوبىٰ لعبدٍ رآهمُ وجالسَهُم لو مرّةً منهُ في العمرِ

ويقول الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر:

طوبى لمن رآهم ومَنْ مَشَىٰ وراهم

وفي آخر المجلس رتّب الحبيب أحمد الفاتحة وأمدّنا بدعواته الصالحة. اهـ

ويليه مقتطفات من

مجموع كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي

قال رضي الله عنه:

كانت زوجة الشيخ محمد الخطيب رضي الله عنهما من الصالحات، ولها تعلُّق بأهل البيت ومودّة وحنان وشَفَقة عليهم، فمن شِدّة فَنَاها في أهل البيت أنها كانت من خطَب عندها من السّادة أحد بناتها تُزوِّجه إياها تبرُّكًا ولم تأخذ منه نفقة ولا غيرها، وتُبالغ في كتْم سِرّها، فمن مبالغتها في كتم سرّها أن الحبيب عبدالرّحمن بن علي السقاف رضي الله عنه تزوّج بنتها ولم تُعْلِم به أحدًا، وولدَت له هذا الولد المبارك أحمد بن عبدالرحمن رضي الله عنه، وأخذ خمس سنين ولا أحد داري هو ولد منْ، حتى طلبه أبوه الحبيب عبدالرّحمن وأظهر أنه ولده.

ثم إن الحبيب عبدالرّحمن طلّق بنتها أم أحمد المذكورة وخطَب بنتها الثانية، فزوجته عليها وأختها الثانية في البيت، وهذا قليل من يعمل بهذا العمل في المتقدمين فضلاً عن المتأخرين، ولكن هذا من غاية فَنَاها في أهل بيت النبي المطهر صلى الله عليه وسلم، فبلَغَت في محبتها لأهل البيت مقامًا عظيمًا. رأيتها بعد موتها في أثناء رؤيا منامية وقعت لي، وهي أني رأيت بحر

المحبة بحرٍ واسع عظيمٍ، وإذا به ماء صافٍ غاية الصّفا، فمن شدة صفاه قعره ظاهر، فدخلْتُ فيه أنا ووالدتي علوية، فلما وصلت وسْطه فإذا أنا بالشيخة نور بنت عبد الرّحمن بن عبدالله بارجا رضي الله عنهم في وسط بحر المحبة، فقلت لها: من أين جئت إلى هذا المحل قالت: قدْني هنا، قُلتُ لها: يَهْنَاك خُذِي قسمك.

وهذا كله سبب محبَّتها لأهل البيت، فهي وزوجها الشيخ محمد الخطيب رضي الله عنهم نفعتهما محبة أهل البيت.

ولما قَدِمت إلى سيؤن جَلَس معي ذات يوم الشيخ محمّد الخطيب وقال لي: ياحبيب علي، اليوم سرّتنا كلمة سمعتها من أحمد بن حسين بابهير ماكنت أحسبه يأتي بها، قلت له: وماهي؟ قال: قال لي: ياشيخ محمد، قلت له: لبيك، قال: مجيء الحبيب علي الحبشي رضي الله عنه إلى عندنا إلى سيؤن ونزوله فيها خير لنا من سبعة سيول، قلت له: سرّيتنا الله يسر خاطرك ويشرح بالك على كلام حَسَن ومَشْهَد حَسَن. اهـ

الفهرس

• كلمة النَّاشر ــــــــــــــــــــــــــــ ٥ ـ

• صُور المخطوطات . ــــــــــــــــــــــــ ٧ ـ

• ترجمة الحبيب أحمد بن عبد الرَّحمن السقّاف . ــــــــ ١٣ ـ

* القِسم الأوَّل : ــــــــــــــــــــــــ ٢١ ـ

مجموع كلام الحبيب أحمد بن عبد الرَّحمن السقَّاف . ــــ ٢٣ ـ

* القِسم الثَّاني : ــــــــــــــــــــــ ٢٥٣

١ـ الوصَايا . ــــــــــــــــــــــــــ ٢٥٥

٢ـ المكَاتبات . ــــــــــــــــــــــــ ٢٧٢

* القِسم الثَّالث : ــــــــــــــــــــــ ٣١٩

١ـ مقتطفَات مِن كِتاب مِنحة الإله . ــــــــــــ ٣٢١

٢ـ مقتطفَات مِن كِتاب نفح الطِّيب العَاطري . ــــــ ٣٢٥

٣ـ مقتطفَات مِن كِتاب النفحة الشذيّة إلى الدّيار الحضرميّة . ـ ٣٣٤

٤ـ مقتطفَات مِن مجمُوع كلام الحبيب علي بن محمَّد الحبشي . ــ ٣٣٧